

الشمس المنيّة

في شرح

الفية السيرة للحافظ العراقي

تأليف

أبي وليد بن أحمد بن عبد العزيز المنبجي

الجزء الأول

دار الجامعة الإسلامية بمنيسوتا للنشر

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى ١٤٤٢ هـ / ٢٠٢١ م

اسم الكتاب	الشمس المنيرة في شرح ألفية السيرة للحافظ العراقي
اسم المؤلف	وليد بن إدريس المنيسي
اللغة	العربية
رقم إذن الطباعة والتداول	ISBN: 9798-4906-86248

Islamic University Of Minnesota
8201 Park Ave . South
Bloomington , MN 55420



الجامعة الإسلامية بمنيوتا
كلية الدراسات الإسلامية
بلومنتون - منيسوتا

الشَّمْسُ الْمُنِيرَةُ

فِي شَرْحِ

أَفْئِدَةِ السَّيْرِ لِلْحَافِظِ الْعِرَاقِيِّ

تَأْلِيفِ

أَبِي وَلِيدِ بْنِ إِدْرِيسَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْمُنْبَسْتِي

دَارُ الْجَامِعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِمَنْبَسُوتِ النَّشْرِ

الجزء الأول

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الشارح

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

أما بعد فإن علم السيرة النبوية من أجل العلوم فهو العلم الذي يزداد به المسلم محبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيماً له وشوقاً إليه ومعرفة بأحواله وما كان عليه المصطفى ﷺ من مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، فلذلك كتب فيه أهل العلم كتباً عظيمة جليلة القدر نثراً ونظماً، وكان على رأس المنظومات في سيرة النبي ﷺ ألفية الإمام الحافظ أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي رحمه الله ورضي عنه، حيث تميزت منظومته باشتمالها على جميع أبواب السيرة وما يتبعها من الخصائص والشمائل، كما تميزت بعذوبة الألفاظ وجمالها وبهائها فاجتمع فيها جمال المبنى وجمال المعنى، ولذلك فقد اعتنى بها أهل العلم ووضعوا عليها عدداً من الشروح، إلا أنني رأيت قصور همم كثير من الطلاب في عصرنا عن مطالعة الشروح السابقة وغموض عبارة بعض تلك الشروح وإيجازها، فوضعت هذا الشرح بلغة عصرية سهلة ليسهل على طلاب العلم المبتدئين من أمثالنا مطالعته وفهم مراد الناظم رحمه الله بيسر وسهولة، وسميته (الشمس المنيرة في شرح ألفية السيرة) سائلاً الله تعالى أن ينفع به ويكتب له القبول، والحمد لله رب العالمين.

الإسناد إلى الناظم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد،

قال وليد بن إدريس المنيسي: أروي ألفية السيرة للحافظ العراقي عن الشيخين محمد بن عبد الرزاق الخطيب الدمشقي وعبد الرحمن بن شيخ الحبشي اليمني كلاهما، عن أبي النصر محمد بن عبد القادر الخطيب، عن الوجيه الكزبري، عن مرتضى الزبيدي، عن أحمد بن شعبان الزعبلّي، عن شمس الدين محمد بن العلاء البابلي، عن الشمس محمد بن أحمد الرملي، عن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، عن الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، عن المؤلف الحافظ العراقي رحمهم الله أجمعين وألحقنا بهم في الصالحين.

نبذة عن الناظم رحمه الله [١]

هو الحافظ، أبو الفضل، عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن العراقي. وهو كردي الأصل، ووُلِدَ رحمه الله بالقاهرة، سنة خمس وعشرين وسبعمئة للهجرة النبوية ٧٢٥ هـ. حيث قَدِمَ أبوه رحمه الله من مدينة إربل، إلى القاهرة، وتوفي بها رحمه الله سنة ست وثمانمئة ٨٠٦ للهجرة النبوية.

شيوخه: تتلمذ على عدد من الشيوخ، منهم: الإسنوي رحمه الله وهو من الفقهاء الكبار، وتقي الدين الأحنائي، والعلاء التركماني، وابن جماعة، وغيرهم من العلماء. وبدأ طلب العلم في صِغَرِهِ، وكانت له رحلات في طلب العلم، رحل من القاهرة إلى الإسكندرية، وإلى بيت المقدس، وإلى الشام، وإلى الحجاز: إلى مكة والمدينة، وتتللمذ على علماء هذه البلاد.

تلاميذه: تتلمذ عليه كثير مَمَّنْ صاروا بعد ذلك من كبار العلماء، وأبرز تلاميذه:

١- الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله وهو من الأئمة الكبار، وكان قاضي قضاة مصر في زمانه، وذُكِرَ أنه لازم الحافظ العراقي نحو عشر سنين ملازمة تامة، كان يتعلم فيها من الحافظ العراقي، وكان ابن حجر لا ينادي الحافظ العراقي إلا بـ (يا سيدي)، إجلاله له.

٢- الحافظ نور الدين الهيثمي: من كبار حُفَّاظ الحديث وأئمة السُّنة.

٣- ابنه: أبو زرعة، ولي الدين العراقي، وهو مؤلف كتاب «طُرْح الشَّريب» في عدة مجلدات في شروح الحديث النبوي الشريف.

[١] للاستزادة ينظر «إنباء الغمر» ج٢، ص٢٧٥، «الضوء اللامع» للسخاوي، ج٤، ص١٧١.

مؤلفاته: له مؤلفات كثيرة: منها:

- ١- «شرح على سنن الترمذي».
 - ٢- وفي الفقه: «تتمات المهمات في الفقه وأصوله».
 - ٣- وله منظومة في غريب القرآن الكريم - معاني الكلمات الغريبة في القرآن الكريم -.
 - ٤- وله كتاب «المغني عن حَمْل الأسفار في الأسفار» وموضوعه تخريج أحاديث كتاب «إحياء علوم الدين» للإمام أبي حامد الغزالي رحمه الله.
 - ٥- وله ألفية في الحديث النبوي - غير ألفية السيرة التي معنا - في علوم الحديث النبوي الشريف اسمها: «ألفية الحديث».
- مناصبه وأعماله: تولى القضاء في المدينة النبوية، وتولى الخطابة في المسجد النبوي الشريف، وإمامة المسجد الشريف نحو ثلاث سنين وخمسة أشهر، وذلك عندما رحل إلى المدينة رحمه الله.
- وتولى التدريس في دار الحديث الكاملية، والظاهرية، وجامع ابن طولون، والمدرسة الفاضلية، وكانت هذه المدارس العلمية بمنزلة الجامعات الكبيرة في زماننا هذا، وكانت يُرَحَّل إليها لطلب العلم.
- وكان رحمه الله كثير الحياء، مجتهدًا في العبادة، يقول الحافظ ابن حجر: لازمه مدة فلم أره ترك قيام الليل، وكان يصوم ثلاثة أيام من كل شهر رحمه الله.
- وعُرف رحمه الله بصلاحه واستجابة دعائه؛ كان الناس في القاهرة إذا أصابهم قحط في زمانه، وتوقف نهر النيل بسبب الجذب وقلة المطر؛ صلى بهم الحافظ العراقي رحمه الله صلاة الاستسقاء، وخطب خطبة بليغة، ودعا الناس إلى التوبة والاستغفار، فأنهم المطر، وجاء النيل عاليًا.

موضوع الكتاب

موضوعه في علم السيرة النبوية.

أولاً: ما المقصود بالسيرة النبوية؟

السيرة في اللغة معناها: طريقة السير، وتأتي أيضاً بمعنى مسير الأيام والليالي، يقال: سيرة فلان: أي كيف سارت أيامه ولياليه؟

وبمعنى الحالة التي يكون عليها الشيء، ومن هذا الباب قول الله ﷻ: ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾ [طه: ٢١] أي: سنعيد العصا إلى حالتها الأولى.

أما في الاصطلاح: فعلم السيرة النبوية عُرِّفَ بتعريفات منها:

- ١- ما كان عليه النبي ﷺ من مولده إلى وفاته.
- ٢- وقيل: العلم الذي تُدرَس فيه أنباء النبي ﷺ من مولده ونشأته، وبعثته، وهديه في الدعوة إلى الله ومغازيه ﷺ.

موضوع علم السيرة النبوية هو: شخص رسول الله ﷺ وما يتعلق بذاته الشريفة، وأخباره، وأحواله ﷺ.

ثمرة دراسة السيرة النبوية: دراسة السيرة النبوية لها فوائد وثمرات عديدة، منها:

- ١- أنها تعين على فهم كتاب الله ﷻ وذلك أن حياة النبي ﷺ هي التطبيق العملي لما في القرآن الكريم من التكاليف الشرعية، فكان النبي ﷺ هو المثل العملي والتطبيق العملي للقرآن.

٢- أنها توصل المسلم إلى الإيمان برسول الله ﷺ فمن خلال دراسة سيرته يعلم أن هذا النبي ﷺ لم يكن مجرد إنسان عادي له ذكاء أو فهم، فتميز به عن الآخرين، وإنما كان رسولاً مؤيداً من عند الله ﷻ بالمعجزات وبخوارق العادات، وأن مَنْ اتصف بهذه الصفات لا يمكن إلا أن يكون رسولاً من عند الله ﷻ.

٣- أنها تدعو المسلم إلى الاقتداء برسول الله ﷺ، واتخاذهُ أسوة حسنة ﷺ امتثالاً لأمر الله ﷻ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١].

٤- الاقتداء بهدي النبي ﷺ في التربية، وفي التعليم، وفي العبادة، وفي كل باب من أبواب الدين.

٥- أنها السيرة الوحيدة الباقية لنبي من الأنبياء ﷺ فلا يوجد نبي من الأنبياء ﷺ نُقلت إلينا تفاصيل أحواله من يوم مولده إلى يوم وفاته، وجميع أعماله خلال اليوم والليلة، والحضر والسفر، وأحواله في بيته، وأحواله مع الناس، وأحوال في كل جانب من جوانب الحياة، وهذا الأمر مما تميز به رسولنا ﷺ ولا يُعرف لغيره، فمَنْ أراد أن يقتدي بالأنبياء بصفة عامة فلن يجد أمامه سيرة كاملة لنبي منهم سوى سيرة نبينا ﷺ.

علاقة السيرة النبوية بغيرها من العلوم الإسلامية:

أولاً: علاقة السيرة النبوية بعلم التاريخ: هي قسم من التاريخ، ولكنها قسم عظيم، ولا بد من معرفته، وله أثره فيما بعده.

فعلاقة السيرة بالتاريخ علاقة الجزء بالكل؛ لأنها قسم من التاريخ، لكنه أفرد لأهميته وللعناية به، وأثره في سلوك المسلم، فمعظم أحداث التاريخ لا ينبنى عليها عمل، وإنما تُذكر للاعتبار، ومعرفة الحوادث، وربما للتسلية والتفكه، وغير ذلك، لكن سيرة النبي ﷺ

إنما تراد للتعلم وللتأسي، والافتداء به ﷺ وللتعرف عليه وزيادة الإيمان به ﷺ؛
فلذلك أُفردت عن عموم التاريخ

ثانياً: علاقة السيرة بالسُّنة النبوية: السيرة لها علاقة بالسُّنة النبوية، فبينهما ما يُسمى بعموم وخصوص من وجه؛ فكل منهما أعم من الآخر من جهة، وأخص من جهة أخرى، فهناك جزء مشترك بين السيرة والسُّنة، فالسُّنة: هي ما أُضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير. وما أُضيف إلى النبي ﷺ: منه ما يتعلق بغزوات رسول الله ﷺ، ومنه ما يتعلق بهديه في الدعوة ﷺ ومراحل دعوته إلى غير ذلك.

فهناك قسم مما أُضيف إلى النبي ﷺ مشترك بين السُّنة والسيرة، لكن نجد جزءاً من أحداث السيرة ينطبق عليه أنه سيرة، ولا ينطبق عليه أنه سُنّة، مثل: ما يتعلق بقصص الصحابة أثناء مواقفهم مع النبي ﷺ مما ليس فيه رواية عن النبي ﷺ.

وهناك قسم من السيرة يتعلق بما قبل بعثة النبي ﷺ مما رُوي عن غير رسول الله ﷺ من الأخبار والروايات التي تُروى في حال الناس قبل بعثته ﷺ، فهذا مما لا يدخل في السيرة ولا في السُّنة.

وهناك قسم في السُّنة ليس داخلياً في السيرة، مثل: أحاديث النبي ﷺ المتعلقة بأحكام الطهارة والصلاة، وأحكام البيوع...، فهي من سُنّة النبي ﷺ لكنها ليس لها تعلقٌ بالسيرة.

كذلك هناك أيضاً ما يتعلق بسير الصحابة ﷺ، فجزء منه له علاقة بسيرة النبي ﷺ، وهو ما يتعلق بقصصهم وأخبارهم أثناء مرافقتهم رسول الله ﷺ في حوادث السيرة المختلفة، وهناك أجزاء أخرى من سير الصحابة تتعلق بأحوالهم قبل لقاء رسول الله ﷺ، وأحوالهم بعد وفاة رسول الله ﷺ، فهذه متعلقة بسير الصحابة وتراجمهم.

وعلم السيرة النبوية تفرّعت منه علوم إسلامية، وصارت لها مؤلفات مستقلة، فمن ذلك: علم المغازي والملاحم.

المغازي: هي غزوات النبي ﷺ، أي: المعارك الحربية التي شهدتها الرسول ﷺ.

أما الملاحم: فهي المعارك الحربية بصفة عامة بين المسلمين وغيرهم من الأمم الأخرى، فأَي معركة بين المسلمين وأُمة أخرى تُسمى ملحمة، وعندما يقال: الفتن والملاحم، يُقصد بالفتن: المعارك التي وقعت بين المسلمين، والملاحم: المعارك التي وقعت بين المسلمين وأُمم أخرى من غير المسلمين.

فتجد كتبًا في الملاحم تتكلم عن المعارك الحربية بصفة عامة، من ضمنها المغازي، وهناك كتب أُفردت للمغازي تتكلم عن غزوات النبي ﷺ، وغزوات النبي ﷺ وتفاصيل أحداثها هي جزء من سيرة النبي ﷺ.

وهناك أيضًا كتب الشمائل النبوية، وهي: الكتب التي تتكلم عن الصفات الخلقية والخلقية لرسول الله ﷺ وما يتعلق بعادات النبي ﷺ في الأمور الجبيلية مثل: عادات النبي ﷺ في الأكل والشرب والمشي والجلوس، كل هذا يُسمى الشمائل النبوية، فهو جزء من السيرة، لكنه أُفرد بعلم مستقل وصارت هناك كتب مخصصة للشمائل النبوية.

وهناك علم الخصائص النبوية: وهي الأمور التي اختص الله ﷻ بها الرسول ﷺ، وميّزه بها عن غيره من الأنبياء، ويدخل فيها ما ميّز الله أمته به عن غيرها من الأمم، مثل قول النبي ﷺ: «أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكْتُهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى

قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً» [١]. وهناك عدة مؤلفات أُفردت في الخصائص النبوية.

وهناك علم دلائل النبوة، والمقصود به: تبشير الأنبياء السابقين بنبينا ﷺ وتبشير الكتب السابقة على القرآن برسول الله ﷺ، ومما يُذكر فيها أيضًا: بعض الحكايات التي تُحكى عن الكُهَّان والمنجمين، فبعضهم أخبروا عن بعثة النبي ﷺ، وهذه الأشياء لا يُعتمد عليها، لكن يذكرونها على أنها مما يُروى من الأشياء التي حصلت قبل بعثة النبي ﷺ ودفعت بعض الناس إلى السؤال عن النبي ﷺ، وهناك كتبٌ في دلائل النبوة، مثل: دلائل النبوة للحافظ أبي نعيم، ودلائل النبوة للبيهقي، وغيرهما من الأئمة أَلْفُوا كتبًا خاصةً في موضوع دلائل النبوة.

وهناك المعجزات النبوية أيضًا، وهي علم من العلوم المنبثقة عن السيرة، والمعجزات جزء من دلائل النبوة، مما يُستدل به على نبوة النبي ﷺ، والمعجزات: هي خوارق العادات التي أجزاها الله ﷻ على يد النبي ﷺ فأفرد بعض العلماء كتبًا للكلام عن معجزات الرسول ﷺ.

ومعجزات النبي ﷺ قالوا: أكثر من مائة نوع، كل نوع تحته وقائع متعددة، مثل: تسبيح الحصى بين يدي النبي ﷺ، وتسليم الشجر والحجر عليه، ونُبع الماء من بين أصابعه الشريفة ﷺ في عدة وقائع كان يعطش الصحابة ولا يجدون ماءً فينفجر الماء من بين أصابع النبي ﷺ حتى يشرب الجيش كله، عدة آلاف يشربون من هذا الماء، ويملئون أوعيتهم، وبركة الطعام، أي: تكثير الطعام ببركة وضع النبي ﷺ يده فيه، في أكثر من واقعة يضع النبي ﷺ يده في الطعام، ويدعو فيُبارك في هذا الطعام القليل، حتى

يأكل منه مئآت من الناس، ويبقى الطعام بعد الأكل أكثر منه مما كان عليه قبل أن يؤكل، ومعجزة انشقاق القمر للنبي ﷺ.. وسيأتينا كثير من هذه المعجزات إن شاء الله لاحقاً.

وهناك علم حقوق النبي ﷺ وهو من العلوم التي انبثقت عن السيرة النبوية: وحقوق النبي ﷺ مثل: حق طاعته، واتباعه، وتصديق خبره، والصلاة والسلام عليه كلما ذُكر ﷺ ومحبته ﷺ، وتقديم محبته على محبة الوالد، والولد، والناس أجمعين، وغير ذلك من حقوق النبي ﷺ على أمته.

وفي العصر الحاضر، ظهر نوع جديد من الكتابة في السيرة النبوية تُفرد لتناول جوانب معينة من حياة النبي ﷺ مثل: دراسة حياة النبي ﷺ باعتباره قائداً عسكرياً، كما فعل اللواء محمود شيت خطاب من علماء العراق، في كتابه «الرسول القائد» والمؤلف كان لواءً في الجيش، واستغل مهارته العسكرية في الكتابة في هذا الموضوع، وله عدة مؤلفات متخصصة في مهارة النبي ﷺ كقائد عسكري حربي، وكيفية تخطيط وإدارة النبي ﷺ للمعارك.

وهناك ما يتعلق بالنواحي الإدارية في حياة رسول الله ﷺ باعتباره قائداً إدارياً ضرب المثل الأعظم في حُسن الإدارة، وكذلك هديه ﷺ في مجال التربية والتعليم، واستعمال النبي ﷺ للوسائل التربوية التي يزعمون أنها وسائل حديثة، وكلها قد استعملها النبي ﷺ على أكمل وجه في طُرق تربيته وتعليمه ﷺ.

كذلك: الجوانب الأسرية في حياة النبي ﷺ باعتباره زوجاً، وباعتباره أباً ﷺ وتناول هذه الجوانب ودراستها في حياة رسول الله ﷺ، فالآن توسعت الدراسات في جوانب من سيرة المصطفى ﷺ.

فكل هذه العلوم متفرعة عن علم السيرة النبوية.

ترتيب كتب السيرة:

موضوعات السيرة النبوية مرتبة تاريخياً حسب تسلسل الأحداث التاريخية من مولده ﷺ إلى يوم وفاته ﷺ والمراحل التي مرَّ بها، بخلاف كتب السنة، والكتب التي لها علاقة بالسيرة، فهذه تكون مُرتبة ترتيباً موضوعياً حسب الموضوعات.

من فضائل علم السيرة النبوية:

- ١- أنه داخل في فضل العلم الشرعي بصفة عامة؛ فهو علم من العلوم الإسلامية.
- ٢- أنه يدخل في تدبر القرآن الكريم، وقد قال الله ﷻ: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ [محمد: ٢٤]، وتدبر القرآن الكريم يتضمن تدبر آيات الغزوات، وآيات أحداث السيرة، فسورة آل عمران بها نحو أكثر من ثمانين آية تتعلق بغزوة أحد، والدروس والعبر المستفادة من الغزوة، وسورة الأنفال معظمها يتعلق بأحداث غزوة بدر، وما يستفاد من أحداث الغزوة، وسورة التوبة تتعلق بغزوة تبوك، وما صاحبها من مواقف المنافقين في هذه الغزوة، وتخلفهم وقعودهم، وكيدهم لرسول الله ﷺ، وغزوة الأحزاب -وهي غزوة الخندق- تناولتها سورة الأحزاب، وغير ذلك من مغازي رسول الله ﷺ، فدراسة السيرة النبوية تدبر لكتاب الله ﷻ ومرور على هذه الآيات الكريمة وفهم المراد منها.
- ٣- أنها تدخل في فهم سنة النبي ﷺ وتبليغها؛ لأن هناك قسماً مشتركاً بين السنة والسيرة، فدراسة السيرة تُعتبر دراسة لقسم من سنة رسول الله ﷺ، وقد قال ﷻ: «نَضَرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا، فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبْلَغَهُ غَيْرُهُ، فَإِنَّهُ رُبَّ حَامِلٍ فَقِهِ لَيْسَ بِفَقِيهِ، وَرُبَّ حَامِلٍ فَقِهِ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ» [١].

[١] رواه أحمد في مسنده ٢١٥٩٠ وأبو داود ٣٦٦٠ والترمذي ٢٦٥٦ وابن ماجه ٢٣٠.

أَوَّل مَنْ كُتِبَ فِي سِيرَةِ النَّبِيِّ ﷺ :

يذكر العلماء أن أوَّل ما من كتب في سيرة النبي ﷺ هو الصحابي الجليل سهل بن أبي حثمة الأنصاري رضي الله عنه، فقد كتب جزءاً من سيرة رسول الله ﷺ، رواه عنه حفيده، وتلميذ حفيده هو الواقدي، وهو واحد من كبار علماء السيرة.

وكذلك سعيد بن عباد الخزرجي، وسعيد بن المسيب، والشعبي، وعروة بن الزبير، وأبان بن عثمان بن عفان، ومحمد بن شهاب الزهري، كل هؤلاء من علماء التابعين كتبوا في سيرة النبي ﷺ، لكن كانت كتاباتهم غير كاملة؛ لأنها لم تكن مشتملة على سيرة النبي ﷺ من بدايتها إلى نهايتها، وإنما كانت أجزاء متفرقة.

ثم بعد ذلك: الكتب الكاملة، ومن أوائلها كتاب المغازي للواقدي، وسيرة محمد بن إسحاق رضي الله عنه وكان من علماء المدينة النبوية، وهو من أتباع التابعين، من معاصري الإمام مالك رحمه الله، و كل مَنْ كُتِبَ فِي السَّيْرَةِ بَعْدَهُ فَهُمُ عِيَالٌ عَلَيْهِ، أي: عائلة على كتب محمد بن إسحاق رضي الله عنه، فكتابه في السيرة أكبر كتب السيرة، وكل مَنْ كُتِبَ فِي السَّيْرَةِ بَعْدَهُ كَانَ تَلْخِيصًا لِكِتَابِهِ.

وهناك الطبقات لابن سعد وتاريخ الطبري، وغيرها، فهذه بدايات كتب السيرة، لكن أجمعها وأشملها هو كتاب ابن إسحاق، وبعد ذلك تابعت كتب السيرة، وأكثرها إما تلخيص لكتاب محمد بن إسحاق أو تلخيص لكتاب من التي اعتمدت عليه.

اسم هذا العلم:

علم السيرة النبوية، ويقال له أيضا: المغازي، فبعض العلماء يكتب في السيرة تحت اسم المغازي، مثل: كتاب «المغازي» للواقدي، وهذا من باب تسمية الكل بالجزء؛ لأن المغازي النبوية هي القسم الأعظم في سيرة النبي ﷺ؛ فلذلك يُطْلَقُ عَلَى السَّيْرَةِ

كلها (علم المغازي)، وبعضهم يجمع الأمرين، فيقول: السَّيرَ والمغازي، وبعضها يسمى السيرة النبوية، وبعضها تسمى المغازي فقط.

استمداد هذا العلم:

مستمد من كتاب الله ﷺ فأحداث السيرة كثير منها ذُكر في القرآن الكريم، ومن سنة النبي ﷺ، ومن مرويات السلف وعلماء السَّير.

حُكم الشارع في تعلُّم السيرة النبوية:

فرض كفاية، أي: يجب على المسلمين أن يكون فيهم طائفة يعلمون سيرة نبيهم ﷺ، ولو خلا المسلمون ممَّنْ يعلم سيرة النبي ﷺ لأثموا جميعًا بهذا، فهو من فروض الكفايات التي لا بد أن تقوم بها طائفة، إذا قامت بها طائفة سقط الإثم عن الباقيين.

مسائل هذا العلم:

بعض العلماء يُقسِّم مسائل السيرة إلى ثلاثة أقسام رئيسة: المبتدأ، والمبعث، والمغازي.

١- المبتدأ: هو ما قبل بعثة النبي ﷺ، مما يشمل الحديث عن نشأة العالم، وحاله من أيام آدم ﷺ والأنبياء السابقين، ثم حالة العالم قبل بعثة النبي ﷺ.

٢- المبعث: هو ما يتعلق بنشأة النبي ﷺ وبعثته، وما يتبع ذلك من المرحلة المكية+.

٣- المغازي: هو ما يتعلق بالمرحلة المدنية -أحداث ما بعد الهجرة- من حياة رسول الله ﷺ.

مقدمة المؤلف

١- يَقُولُ رَاجِي مَنِ إِلَيْهِ الْمَهْرَبُ «عَبْدُ الرَّحِيمِ بْنِ الْحُسَيْنِ» الْمُذْنِبُ:

وصف المؤلف نفسه بأنه يرجو مَنْ إِلَيْهِ الْمَهْرَبُ، والذي إِلَيْهِ الْمَهْرَبُ هو الله ﷻ كما قال الله ﷻ: ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ [الذاريات: ٥٠]، وقال ﷻ: «لا ملجأ ولا منجى منك إلا إِلَيْكَ» [١] فالله ﷻ هو الذي إِلَيْهِ الْمَهْرَبُ، أي: إِلَيْهِ الْمَنْجَى، وَإِلَيْهِ الْمَفْرَءُ، فالإنسان يهرب من غضب الله إلى رحمته، ومن عذاب الله ﷻ إلى جنته ونعيمه، ومن عبادة غير الله إلى عبادة الله ﷻ.

«عَبْدُ الرَّحِيمِ بْنِ الْحُسَيْنِ» الْمُذْنِبُ) هذا من تواضعه وانكساره بين يدي الله تعالى؛ يصف نفسه بأنه مُذْنِبٌ خَطَّاءٌ يرجو رحمة الله تعالى.

٢- أَحْمَدُ رَبِّي بِأَتَمِّ الْحَمْدِ وَلِلصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ أَهْدِي:
٣- إِلَى نَبِيِّهِ، وَأَرْجُو اللَّهَ فِي نُجْحِ مَا سُئِلْتُهُ شِفَاهَا
٤- مِنْ (نَظْمِ) سِيرَةِ النَّبِيِّ الْأَمَّجِدِ «أَلْفِيَّةً» حَاوِيَةً لِلْمَقْصَدِ

(أَهْدِي إِلَى نَبِيِّهِ) أي: يُهْدِي الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وإنه يرجو الله ﷻ (فِي نُجْحِ) أي: أَنْ يَنْجَحَ الْأَمْرَ الَّذِي (سُئِلْتُهُ)، فالمؤلف سُئِلَ (شِفَاهَا) أي مشافهة، بعض الناس طلبوا منه مشافهةً (نَظْمِ سِيرَةِ النَّبِيِّ الْأَمَّجِدِ) والنظم هو: الشعر، فالكلام: منظومٌ،

ومثور، فالمنظوم هو الشعر، والمثور: ما سواه، والمؤلف سئل أن ينظم سيرة النبي ﷺ شعراً؛ لأن الشعر حفظه أسهل من النثر؛ لذلك سلك العلماء هذا المسلك في ضبط العلم، وتسهيله للمبتدئين، فعملوا المنظومات العلمية في كثير من العلوم؛ لأنها تضبط العلم، وتكون أسهل في الحفظ والاستحضار.

بعض النسخ فيها (سألته) أي: أنه سأل الله ﷻ لكن الصواب: أن المقصود هنا: أنه سئل مشافهةً أن ينظم السيرة، ويسأل الله ﷻ أن يوفقه لأداء هذا الأمر الذي طُلب منه. (الْفَيْه): أي منظومة من ألف بيت، (حَاوِيَةٌ لِلْمَقْصِدِ) شاملة لمقاصد السيرة النبوية، وغاياتها، وأهم أحداثها.

٥- وَلْيَعْلَمْ الطَّالِبُ أَنَّ السِّيَرَةَ: تَجْمَعُ مَا صَحَّ، وَمَا قَدْ أَنْكَرَ

هنا يُنبه المؤلف على أن كتب السيرة النبوية تجمع ما صح على قوانين علماء الحديث وضوابطهم في تصحيح الأحاديث وقبولها، فمنها ما صح، وما قد أنكر، أي ليست له أسانيد تصح، وربما تُروى الحادثة الواحدة أحياناً بعدة روايات بينها تعارض، بحيث لا يمكن قبول هذه الروايات جميعاً في آنٍ واحد، فالحادثة وقعت مرة واحدة، فإما أن تكون وقعت هكذا، أو هكذا، وأحياناً يتعذر الجمع والتوفيق بحيث يُعلم أن إحدى هذه الروايات فيها خطأ أو فيها خلل.

٦- وَالْقَصْدُ: ذِكْرُ مَا أَتَى أَهْلَ السِّيَرِ

٧- فَإِنْ يَكُنْ قَدْ صَحَّ غَيْرُ مَا ذُكِرَ:

بِهِ، وَإِنْ اسْنَادُهُ لَمْ يُعْتَبَرْ

ذَكَرْتُ مَا قَدْ صَحَّ مِنْهُ وَاسْتَطِرَّ

قصد في هذه الألفية أن يأتي بما ذكره أهل السَّير، حتى لو كان إسناده ليس بالإسناد القوي، لكنه يُنبه إذا كان (صَحَّ غَيْرُ مَا ذُكِرَ) أي إذا كان الموضوع الواحد قد وردت فيه عدة روايات، بعضها صحيح، وبعضها ضعيف، (ذَكَرْتُ مَا قَدْ صَحَّ مِنْهُ وَاسْتَطِرَّ) فإنه يُنبه على الصحيح منها.

وهنا نبّه على أن علماء الإسلام منذ القرون الأولى نبّهوا على أن السيرة النبوية لا يُشترط لها ما يُشترط للأحاديث المتعلقة بالعقائد والأحكام من الشروط، أي: يُتساهل في روايات السيرة النبوية ما لا يُتساهل في أحاديث العقائد والأحكام، من جهة قبول الروايات التي فيها انقطاع في الإسناد، فأحياناً يكون الإسناد غير متصل، لكن الخبر شاع وانتشر، والناس يروونه، فعلماء السيرة الأوائل الذين جمعوا الأخبار كانوا يجمعونها مما شاع واشتهر بين الناس، وإن لم يكن له إسناد متصل.

مثلاً: أحداث الغزوات وتفاصيل ما وقع فيها، هي أخبار مما يرويه الناس، وأصبح مشهوراً بينهم، فكان علماء السيرة الأوائل يكتفون بهذا.

والإمام أحمد رحمه الله كان يقول: (ثلاثة علوم ليس لها إسناد: التفسير، والملاحم، والمغازي). والمقصود بقوله: (ليس لها إسناد) أي: الغالب على رواياتها أنها تكون موقوفة على الصحابة، وليس لها إسناد متصل إلى النبي ﷺ، ثم ما كان متصلاً منها إلى النبي ﷺ قد لا يوجد له إسناد صحيح على شروط المُحدِّثين، ولذا قال الإمام الزركشي معلقاً على قول الإمام أحمد رحمه الله: «قال المحققون من أصحابه: ومراده: أن الغالب أنها ليس لها أسانيد صحاح متصلة، وإلا فقد صح من ذلك كثير»^[١].

و بالرغم من هذا فإنهم كانوا يقبلون هذه المرويات - في نطاق السيرة النبوية -، لكن

إذا جاؤوا إلى مجال الاعتقاد، والحلال والحرام، تكون هناك درجة أعلى من التدقيق، لكن مجرد أحداث السيرة، وأن فلاناً من الصحابة قد شهد هذه الغزوة أو لم يشهد هذه الغزوة، أو أن الذي قتل فلاناً من الزعماء الكافرين هو فلان، أو مثل هذه الأمور، فما كانوا يدققون فيها؛ لأنها روايات لا يترتب عليها تحليل وتحريم، ولم يترتب عليها مسألة من مسائل الاعتقاد، فجرى العمل في السيرة بتخفيف شروط قبول الخبر.

ولذا فمن الخطأ أن نحاول إخضاع علم السيرة لقواعد المحدثين؛ لأن هذا خلاف صنيع العلماء المتقدمين، ولأننا إذا فعلنا هذا سوف نطرح أكثر روايات السيرة النبوية، وسوف يحدث فجوة في أحداث هذا العلم، ويقطع تسلسلها، وقد حاول بعض المعاصرين أن يدققوا في مرويات السيرة النبوية، ويطبقوا قواعد علم الحديث على السيرة النبوية، فألفوا كتباً، تحمل عنوان «صحيح السيرة النبوية»، واستبعدوا كل ما خالف قواعد المحدثين، فأدى هذا إلى استبعاد قسم كبير من مرويات السيرة، مما جعل أحداث السيرة غير متسلسلة، وأصبحت السيرة النبوية كأنها عبارة عن مواقف متفرقة لا رابط لها ولا تسلسل، وربما كان بين الموقف والموقف سنوات أو شهور، مما يعيق فهمها ويؤدي إلى تمزقها وضياع الفائدة منها، وهذا منهج غير المنهج الصحيح الذي كان عليه علماء السلف، فقد كانوا يروون سيرة النبي ﷺ مقتصرين على هذه الأخبار طالما أن المسألة لم يترتب عليها تحليل وتحريم ومسألة من مسائل الاعتقاد.

ومعظم علماء السيرة كانوا يأخذون عن أولاد الصحابة، فالواقدي ومحمد بن إسحاق كانوا معاصرين لأولاد الصحابة ﷺ، فكانوا يسمعون من أولاد الصحابة ما يحكون عن آبائهم، لكن لا يعتنون بكون الإسناد متصلاً ومدى ثقة الرواة، اعتماداً على الشهرة وانتشار الخبر.

أَسْمَاؤُهُ الشَّرِيفَةُ ﷺ

هذا الباب ذكر فيه أسماء رسول الله ﷺ وكان من عادة العرب أنهم إذا فحّموا شيئاً واعتنوا به، وأهمهم أمره كثّروا أسماءه، أي: جعلوا له أسماء كثيرة تدل على عنايتهم به، واهتمامهم بأمره، وكل اسم منها يدل على صفة من صفات المسمى، والنبي ﷺ له أسماء كثيرة، سيأتي بيانها في النظم.

١- مُحَمَّدٌ مَعَ الْمُقَفِّي أَحْمَدًا الْحَاشِرُ الْعَاقِبُ وَالْمَاحِي الرَّدَى

قال ﷺ: « لِي خَمْسَةُ أَسْمَاءٍ: أَنَا مُحَمَّدٌ وَأَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِي الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي، وَأَنَا الْعَاقِبُ » [١].

وقول النبي ﷺ: « لِي خَمْسَةُ أَسْمَاءٍ » لا يفيد الحصر؛ لورود غيرها في أحاديث أخرى، ولكن إما أنها خمسة أسماء وردت في الكتب السابقة، أو خمسة أسماء لم يتسمّ بها أحدٌ قبله.

ونحوه، قول النبي ﷺ: « إِنَّ لِلَّهِ ﷻ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مَن أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ » [٢]. فهذا لا يفيد انحصار أسماء الله في تسعة وتسعين، فأسماء الله - تعالى - لا يحصيها العد، وإنما المقصود من بين أسماء الله ﷻ تسعة وتسعون اسماً لها هذه المزية.

[١] متفق عليه: البخاري ٣٥٣٢ ومسلم ٢٣٥٤.

[٢] متفق عليه: البخاري ٢٧٣٦ ومسلم ٢٦٧٧.

أول اسم من أسمائه ﷺ هو (مُحَمَّدٌ) ﷺ، وهذا الاسم جاء في كتاب الله ﷻ قال الله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩]، وقال الله ﷻ: ﴿وَأَمْنُوا بِمَا نَزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [محمد: ٢] وهو أشهر أسمائه ﷺ وأشرفها.

(مُحَمَّدٌ) أي: الذي يُحَمَّد لكثرة خصاله الحميدة ﷺ، فالله ﷻ وملائكته حمدوه، والحمد بمعنى الثناء والذكر الحسن، فالله ﷻ حمد رسوله ﷺ، أي: مدحه وذكره ذكراً حسناً، وأثنى عليه رب العالمين، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: أَتَانِي جِبْرِيلُ، فَقَالَ: إِنَّ رَبِّي وَرَبَّكَ يَقُولُ لَكَ: كَيْفَ رَفَعْتَ ذِكْرَكَ؟ قَالَ: اللَّهُ أَعْلَمُ، قَالَ: إِذَا ذُكِرْتُ ذُكِرْتَ مَعِيَ^[١].

رفع الله ﷻ ذِكْرَ النبي ﷺ، فلا يُذَكَّر الله ﷻ في الأذان، ولا في الخطبة، ولا في الصلاة، ولا غير ذلك إلا ذِكْرَ رسول الله ﷺ تشريفاً له.

قال القاضي عياض: حمى الله كل من تسمى به أن يدعي النبوة أو يدعيها أحد له أو يظهر عليه سبب يشكك أحداً في أمره^[٢].

فلم يتسم به أحد قبل رسول الله ﷺ إلا قُرب ميلاد النبي ﷺ لما أخبر الأخبار والكهَّان أن نبياً يُبعث اسمه محمد، فتسمى به بعض العرب.

قال القاضي عياض عن اسم محمد: لم يسم به أحد من العرب ولا غيرهم إلى أن شاع قبيل وجوده ﷺ وميلاده، أن نبياً يبعث اسمه محمد، فسمى قوم قليل من العرب أبناءهم بذلك، رجاء أن يكون أحدهم هو، والله أعلم حيث يجعل رسالته، وهم محمد بن

[١] أخرجه ابن حبان في صحيحه (٨ / ١٧٥) برقم: (٣٣٨٢) وأبو يعلى في مسنده (٢ / ٥٢٢) برقم: (١٣٨٠).

[٢] الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ١ / ٢٣١.

أحيحة بن الجلاح الأوسي ومحمد بن مسلمة الأنصاري ومحمد بن براء البكري ومحمد ابن سفيان بن مجاشع ومحمد بن حمران الجعفي ومحمد بن خزاعي السلمي، لا سابع لهم^[١].

ومن أسمائه ﷺ (أحمد)، على وزن (أفعل) وهو اسم التفضيل، بمعنى: أنه أكثر الناس حمداً لربه ﷺ.

فهو محمد، وأحمد، وحامدٌ، ومحمود ﷺ من الله ﷻ وملائكته والمؤمنين، والأنبياء كلهم حمادون لربهم، وهو أحمدهم ﷺ، وفي حديث الشفاعة الطويل يقول النبي ﷺ: «فَيَأْتُونِي، فَأَنْطَلِقُ، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي، فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ، فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ لَهُ سَاجِدًا، فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعُنِي، ثُمَّ يَقَالُ لِي: ارْفَعْ مُحَمَّدًا، وَقُلْ يُسْمَعُ، وَسَلْ تُعْطَى، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِمَحَامِدَ عَلَّمَنِيهَا، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحْدُثُ لِي حَدًّا، فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَرْجِعُ، فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعُنِي، ثُمَّ يَقَالُ: ارْفَعْ مُحَمَّدًا، وَقُلْ يُسْمَعُ، وَسَلْ تُعْطَى، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِمَحَامِدَ عَلَّمَنِيهَا رَبِّي، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحْدُثُ لِي حَدًّا، فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَرْجِعُ، فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعُنِي، ثُمَّ يَقَالُ: ارْفَعْ مُحَمَّدًا، قُلْ يُسْمَعُ، وَسَلْ تُعْطَى، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِمَحَامِدَ عَلَّمَنِيهَا، ثُمَّ أَشْفَعُ، فَيَحْدُثُ لِي حَدًّا فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَرْجِعُ فَأَقُولُ: يَا رَبِّ مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ»^[٢] فالله ﷻ سيُلهِمُ نبيه ﷺ محامد وتساويح يحمده بها، يقول: «لا أعلمها الآن» ولكن سيُعلمه الله ﷻ هذه المحامد في الآخرة.

وُخِصَّ ﷺ بسورة الحمد، وهي سورة الفاتحة.

[١] السابق.

[٢] هو جزء من حديث الشفاعة الطويل، وهو متفق عليه: البخاري ٧٤١٠ ومسلم ١٩٣.

واختصه الله ﷺ بلواء الحمد، وهو لواء يحمله النبي ﷺ ينضوي تحته كل النبيين.
واختصه الله ﷺ بالمقام المحمود وهو الشفاعة العظمى، يشفع في فصل القضاء،
يطلب من الله ﷻ أن يقضي بين عباده، وسُميت أُمته بالحمّادين.

قال القاضي: سماه الله تعالى في كتابه محمداً وأحمد، فمن خصائصه تعالى له أن
ضمن أسماءه ثناءه، فطوى أثناء ذكره عظيم شكره... ثم في هذين الاسمين من عجائب
خصائصه وبدائع آياته فن آخر هو إن الله جل اسمه حمى أن يمسى بهما أحد قبل زمانه
أما أحمد الذي أتى في الكتب وبشرت به الأنبياء فمنع الله تعالى بحكمته أن يسمى به
أحد غيره ولا يدعى به مدعو قبله حتى لا يدخل لبس على ضعيف القلب أو شك^[١].

ومن أسمائه ﷺ: (المُقَفِّي) أي تابع الأنبياء وخاتمهم، وقافية كل شيء آخره، فهو
المقفي للأنبياء أي الخاتم لهم، وهو السائر أيضاً على طريقتهم ونهجهم.

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۖ ﴾ [الحديد: ٢٧]
فالنبي الذي يُقَفِّي أي يأتي مُتَبَعًا وسائرًا على نهج نبيّ قبله، والله ﷻ قَفَّى على آثار كل
نبي بنبي، حتى كان نبينا ﷺ هو المقفي لجميع الأنبياء الخاتم لهم، والسائر على
طريقتهم ونهجهم ﷺ.

ومن أسمائه ﷺ: (الْحَاشِرُ) قال: «وأنا الحاشر: الذي يُحْشَرُ الناس على قدمي»
أي: على إثري، أي: يأتي الحشر في زمن نبوته ورسالته، فليس بينه وبين الحشر نبي.

والتفسير الثاني للحاشر: أنه أوّل مَنْ تنشق عنه الأرض يوم القيامة ﷺ، ثم يُخْرَجُ
الناس من القبور، ويُحْشَرُونَ ليوم القيامة؛ لأنه قال ﷺ - وهذه من خصائصه -: لَا
تُخَيَّرُ وَابَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ،

فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى أَخِذْتُ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ ، فَلَا أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعَقَ ، أَمْ حُوسِبَ بِصَعَقَةِ الْأُولَى ^[١] .

ومن أسمائه ﷺ : (العاقب)، وفسّر ﷺ العاقب في الحديث نفسه فقال: «وأنا العاقب: الذي ليس بعدي نبي».

و من معاني العاقب أيضًا: الذي خلف مَنْ قبله في الخير، يقال: فلان عاقِب أي: قد خلف مَنْ قبله في الخير، فهو ﷺ عاقب لِمَنْ سبقه من الأنبياء.

ومن أسمائه ﷺ : (الماحي) وفسّر ﷺ الماحي في الحديث نفسه فقال: «وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر» والناظم ﷺ يقول: (وَالْمَاحِي الرَّدِّي)، الردى: معناه الهلاك، والمقصود به: الكفر هنا.

فالمقصود أن الكفر سيُمحي ببعثته ﷺ أولاً فأول إلى أن يضمحل بعد نزول -عيسى ﷺ- فقالوا: يمحو الله به الكفر، وهذا محمول على الأغلب، وليس المقصود أن الكفر ينمحي من جميع البلاد، فلا يوجد كفر ولا يوجد كافر، ولكن المقصود: أن النبي ﷺ جاء لمحو الكفر، فينمحي الكفر، ويضمحل بدعوة النبي ﷺ وبدينه وبشريعته ﷺ أي شيئاً فشيئاً.

وبعض السلف فسّر الماحي، فقال: يمحو الله ﷻ به سيئات مَنْ تبعه، وهذا التفسير رُوي مرفوعاً إلى النبي ﷺ، ولكن الحافظ ابن حجر يقول: الأشبه أنه من قول أحد الرواة، لكن التفسير الثابت عن النبي ﷺ أنه قال: «يمحو الله بي الكفر».

ومسألة ظهور الإسلام على الكفر قالوا: أحياناً يكون بالسيف والسنان، وأحياناً بالحُجة والبيان، فالظهور بالحجة والبيان هذا دائم في كل وقت، محا الله الكفر أي:

[١] أخرجه البخاري (٣ / ١٢١) برقم: (٢٤١٢) ومسلم (٧ / ١٠٢) برقم: (٢٣٧٣)

بالحجة والبيان، فحجة الإسلام تمحو حجة الكفر، وتدحضها، أما انتصار الإسلام على الكفر بالقوة، والسلاح، والسلطان، فهذا ليس في كل وقت وفي كل زمن، فقد قال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ آيَاتُ نُدَاوِلْهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، وسُنة الله ﷺ في الرسل وأتباع الرسل مع أعدائهم أن الحرب بينهم سجال، يُدالون مرة، ويُدال عليهم أخرى، لكن دائماً الإسلام يدحض الكفر ويمحو بالحجة والبيان، والبرهان.

٢- وَهُوَ الْمَسْمَى: نَبِيِّ الرَّحْمَةِ فِي «مُسْلِمٍ» وَنَبِيِّ التَّوْبَةِ

الاسم السابع: (نبي الرحمة) عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي سَكَّةٍ مِنْ سِكَكِ الْمَدِينَةِ: أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَالْحَاشِرُ، وَالْمُقَفِّي، وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ^[١].

وكان ﷺ رحيماً بأُمَّته، كما وصفه ربه: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] وبعثه الله رحمةً للعالمين، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] يرجو لهم الهداية، ولما جاءه ملك الجبال يُخَيِّرُهُ أَنْ يُطَبِّقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشِينَ فَقَالَ: «أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً»^[٢]، فكان من رحمته ﷺ أنه يريد لهم الهداية ويسعى في هدايتهم، وادخر دعوته شفاعته لأُمَّته ﷺ يوم القيامة.

وشريعته ﷺ كلها رحمة، رحمة بالأطفال والمساكين، والضعفاء والأرامل،

[١] أخرجه ابن حبان في صحيحه [١٤ / ٢٢١] برقم: (٦٣١٥) وأحمد في مسنده [١٠ / ٥٥٧٢] برقم: (٢٣٩٢٥)، [١٠ / ٥٥٧٢] برقم: (٢٣٩٢٧) والترمذي في الشمائل [١ / ٢٠٣] برقم: (٣٦٧)، [١ / ٢٠٣] برقم: (٣٦٨).

[٢] أخرجه البخاري في صحيحه [٤ / ١١٥] برقم: (٣٢٣١)، [٩ / ١١٨] برقم: (٧٣٨٩) ومسلم في صحيحه [٥ / ١٨١] برقم: (١٧٩٥).

والأيتام، وحتى بالحيوان، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكُمُ مَنْ فِي السَّمَاءِ»^[١].

الاسم الثامن: (نبي التوبة)، قال: (في «مُسْلِمٍ» وَبَنِي التَّوْبَةِ) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيُّ التَّوْبَةِ...^[٢]. أَي: نبي يُخْبِرُ عَنْ اللَّهِ ﷻ بِقَبُولِ التَّوْبَةِ، ويدعو إلى التوبة، وهي: الرجوع إلى الله ﷻ والندم على الذنوب، والإقلاع عنها، والعزم على عدم العودة إليها.

وكان ﷺ كثير التوبة، على الرغم أن الله غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فكان ﷺ يقول: «إِنَّهُ لَيَغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ»^[٣].

وعن ابنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ^[٤].

وَعَنْ زَادَانَ قَالَ: حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي دُبْرِ الصَّلَاةِ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الْغَفُورُ»، حَتَّى بَلَغَ مِائَةَ مَرَّةٍ^[٥].

[١] أخرجه الترمذي (١٩٢٤).

[٢] أخرجه مسلم (٩٢ / ٥) برقم: (١٦٦٠).

[٣] أخرجه مسلم (٧٢ / ٨) برقم: (٢٧٠٢).

[٤] أخرجه مسلم (٧٢ / ٨) برقم: (٢٧٠٢).

[٥] أخرجه النسائي في [الكبرى] (٤٥ / ٩) برقم: (٩٨٥١)، وأحمد في [مسنده] (١٠ / ٥٤٩٣) برقم:

٣- وَفِيهِ أَيْضًا: نَبِيِّ الْمَلْحَمَةِ وَفِي رِوَايَةٍ: نَبِيِّ الْمَرْحَمَةِ

الاسم التاسع: (نبي الملحمة) والملحمة: الحرب، سميت بذلك؛ لاشتباك الناس فيها كاشتباك السدى باللحمة، (سدى الثوب: بفتح السين، جمع أسدية وأسداء: وهي الخيوط الممتدة طولاً، وهي التي ينسج منها الثوب، واللحمة: الخيوط الممتدة عرضاً) فالناس في الحرب يشتبك بعضهم ببعض، فُسِّمَت الحرب أو المعركة ملحمة. وُسِّمِي ﷺ نبي الملحمة؛ لأنه ﷺ كان مجاهداً غازياً في سبيل الله، عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بُعِثْتُ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي»^[١] أي: كان مصدر رزقه ﷺ مما يغنمه في الغزوات، فقد جعل الله ﷺ له نصيباً من المغانم، وبعض الأنبياء السابقين كانوا غير مأمورين بقتال أعدائهم كعيسى ﷺ ولكن نبينا ﷺ شريعته كشرعية موسى ﷺ كان موسى مأموراً بقتال أعدائه. ونبينا ﷺ مرَّ بمرحلتين: المرحلة المكية: كان منهيّاً فيها عن القتال، ثم المرحلة المدنية: كان مأموراً فيها بقتال أعدائه ﷺ.

الاسم العاشر: (نَبِيِّ الْمَرْحَمَةِ) والمرحمة هي: الرحمة، قال تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُولَئِكَ أَحَبُّ الْمَيِّمَةِ ﴿١٨﴾ [البlood: ١٧-١٨].

فأصحاب الميمنة: هم الذين يوصي بعضهم بعضاً بالصبر، ويوصي بعضهم بعضاً بالمرحمة، ومرّ بنا أن النبي ﷺ هو نبي الرحمة، ونبي المرحمة، والمرحمة: هي الرحمة.

٤- طه وَيَاسِينَ مَعَ الرَّسُولِ كَذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ فِي التَّنْزِيلِ

الاسم الحادي عشر والثاني عشر (طه وَيَاسِينَ) وهذان الاسمان ذكرهما عدد من العلماء، ومن المفسرين، وعدوهما في أسماء رسول الله ﷺ، وأخذوا هذا من قوله تعالى: ﴿طه ١﴾ مَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿طه: ١-٢﴾، وقوله تعالى: ﴿يَس ١﴾ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿يس: ١-٣﴾، فقالوا: الآيات فيها خطاب لرسول الله ﷺ، إذا طه وياسين اسمان من أسماء رسول الله ﷺ.

لكن الصواب في هذا: أن طه، وياسين من الحروف المقطعة في فواتح السور مثلهما مثل: (حم، وطسم، والر، والم) وليس المقصود بها تسمية الرسول ﷺ.

والاستدلال بضمير الخطاب لرسول الله ﷺ بعدها استدلال ضعيف؛ لأننا إذا تتبعنا بقية الحروف المقطعة سنجد أن ضمير الخطاب ورد مع حروف أخرى، ومع ذلك لم يفد هذا أنها من أسماء رسول الله ﷺ، كقوله تعالى: ﴿ت ١﴾ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿القم: ١-٢﴾ فهنا الخطاب لرسول الله ﷺ، وهذا لا يعني أن (ت) من أسمائه.

ومثل: ﴿المص ١﴾ كَتَبْنَا نُزْلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ ﴿الأعراف: ١-٢﴾ فهنا الخطاب أيضًا لرسول الله ﷺ، لكن هذا لا يعني أن ﴿المص﴾ من أسمائه.

ففي القرآن كثير من الحروف المقطعة الأخرى غير طه وياسين، وورد بعدها خطاب لرسول الله ﷺ، فورود الخطاب لرسول الله ﷺ لا يعني أن هذه الحروف المقطعة من أسمائه ﷺ، لكن المؤلف تبع مَنْ قال من المفسرين: إنها من أسماء رسول الله ﷺ.

لكن (ياسين) بالذات قالوا: ورد اسمًا لنبي الله إلياس عليه السلام في بعض القراءات القرآنية

كقراءة نافع ومن وافقه: ﴿ سَلِّمْ عَلَى إِبْلِيسَ ﴾ [الصفات: ١٣٠] أي: آل نبي الله ياسين ﷺ، فيمكن التسمي بـ (ياسين) على أنه من أسماء نبي الله إلياس ﷺ .

وأما التسمي بـ (طه، وياسين) فالأصل في الأسماء الإباحة ما لم يرد دليل ينهي عن التسمي بها، فمسألة أنها من أسماء رسول الله ﷺ أو ليست من أسمائه، فهذه مسألة لا علاقة لها بمسألة جواز التسمي بها.

الاسم الثالث عشر: (الرَّسُولُ) وهذا الاسم ورد كثيرًا في كتاب الله، قال تعالى: ﴿ يَتَأْتِيَا الرَّسُولَ بِلَغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾ [المائدة: ٦٧] (الرسول) أي المُرسَل، ومعناه: الذي أرسله ربه ﷺ فبلغ رسالة الله ﷺ وبلغ دينه وشرعه.

الاسم الرابع عشر: (عَبْدُ اللَّهِ) وهذا اسم وارد في (التَنْزِيلِ) أي في القرآن.

وبعض هذه الأسماء التي ذكر أنها من أسماء النبي ﷺ قد تأتي على أنها صفات للرسول ﷺ، وبعضهم يقول: إنها من أسمائه، فمن أسمائه في القرآن: عبد الله، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾ [الجن: ١٩] أي: لما قام النبي ﷺ يدعو إلى الله تعالى ﴿ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾ لبداً: أي مزدحمين عليه، مجتمعين عليه، فقالوا: إما أن يكون المقصود: ازدحام الجن على النبي ﷺ لسماع القرآن منه، أو المقصود ازدحام المشركين عليه يصدونه عن الدعوة إلى الله تعالى.

ووصف الله تعالى بالعبودية في أشرف المقامات: في مقام الدعوة إلى الله، وفي مقام الإِسْرَاءِ، وفي مقام التحدي بالقرآن، ففي الإِسْرَاءِ قال تعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا ﴾ [الإسراء: ١]، وفي مقام التحدي بالقرآن الكريم: ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ ﴾ [البقرة: ٢٣] .

٥- وَالْمَتَوَكِّلُ النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ وَالرَّؤُفُ الرَّحِيمُ أَيُّ رُحِمٍ

الاسم الخامس عشر: (الْمَتَوَكِّلُ) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال عن النبي: «أَجَلٌ، وَاللَّهِ أَنَّهُ لَمْ يَوْصُفْ فِي التَّوْرَةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ: ﴿يَتَأَيَّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥] وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ الْمَتَوَكِّلَ لَيْسَ بِفَطٍّ وَلَا غَلِيظٍ، وَلَا سَخَابٍ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَغْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ، بِأَنْ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيَفْتَحَ بِهَا أَعْيُنًا عُمِيًّا، وَإِذَا نَا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا» [١]

فسماه الله ﷻ المتوكل، وهو الذي يعتمد على الله ﷻ ويلتجئ إليه، ويفوض الأمور إليه ﷻ.

الاسم السادس عشر: (النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ)، وهذا الاسم ورد في كتاب الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

و(النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ) أي: الذي لا يكتب، وبعضهم يقول: لا يكتب ولا يقرأ، لكن الصواب أن يقال: لا يكتب ولا يقرأ من كتاب، لكن هو يقرأ ﷻ: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ [العلق: ٣] فهو يقرأ ﷻ لكن من غير كتاب، فالقراءة قد تكون من كتاب، وقد تكون من الحفظ، فالذي يقرأ من حفظه يقال: إنه يقرأ، فهو ﷻ لا يكتب ولا يقرأ الكتاب، كما قال ﷻ: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لِأَنَّكَ لَمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨].

وعدم الكتابة كمال في حقه ﷺ، ونقص في حق غير النبي ﷺ من البشر؛ لأن الله ﷻ أراد من أميته أن تكون دليلاً على صدق نبوته ﷺ كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذْ أَلَزَّتْكَ أَلْأَنْتَابُ الْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨] فلو كان النبي ﷺ -قبل القرآن- يقرأ الكتب لقال المبطلون: إنه قرأ من الكتب السابقة، وهذا القرآن اقتبسه من كتب سابقة عليه، فأراد الله ﷻ أن يكون أمياً، ما سبق له أن قرأ كتاباً قبل القرآن الكريم، حتى إذا نزل عليه الوحي لا يدّعي مُبطل أنه نسخ من كتب سابقة أو أخذ عنها، فقطع الله ﷻ شبهة الكافرين، وجعل أميته دليلاً من دلائل صدق نبوته ﷺ.

ووصف الأمي وَرَدَ في صفة النبي ﷺ، وفي صفة أمته، فعن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ، لَا نَكْتُبُ وَلَا نَحْسُبُ [١]، والعرب يقال لهم: الأميون، ﴿قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّةِ سَبِيلٌ﴾ [آل عمران: ٧٥].

ووصف الأمية في أمة النبي ﷺ، بمعنى أن مصدر علوم أمة الإسلام هو الحفظ والتلقي بالمشافهة، فالقرآن الكريم هو مصدر علوم الأمة الإسلامية، والأصل فيه أنه يُتَلَقَّى مشافهةً وأنه محفوظ في الصدور، والعرب الذين بُعثَ فيهم النبي ﷺ كانت علومهم معتمدة على الحفظ أكثر من اعتمادها على القراءة في الكتب السابقة.

لكن هذا - كما ذكرنا - لا يعني ذمَّ تعلُّم الكتابة والقراءة، بل إن النبي ﷺ حثَّ على تعلُّم الكتابة، وكان له كُتَّاب يُملي عليهم النبي ﷺ ويكتبون القرآن بأمره، ويكتبون الحديث له ﷺ.

وكذلك أيضاً في أسرى بدر جعل النبي ﷺ فداءهم أن يُعلِّم كل واحد منهم عشرة من أولاد المسلمين الكتابة، فإذا علِّم عشرة من أولاد المسلمين الكتابة يُطْلَق سراحه،

[١] متفق عليه: البخاري ١٩١٣ ومسلم ١٠٨٠.

فانتشرت الكتابة في المسلمين، وكثر تعلمها، فكان النبي ﷺ حريصاً على تعلم المسلمين الكتابة، وهي من وسائل حفظ العلم.

الاسم السابع والثامن عشر: (الرَّؤْفُ الرَّحِيمُ)، (أَيُّ رُحْم) أي: رحمة تلك التي اتصف بها ﷺ تفخيماً وتعظيماً لرحمته ﷺ، والرافة: هي رقة القلب ولينه، وهي شدة الرحمة.

وهنا في البيت قال: (الرَّؤْفُ) وهو لغة في الرؤوف، وقراءة متواترة أيضاً للاسم (رؤف رحيم) أو رؤوف رحيم، فهو ﷺ (رؤف، ورؤوف، رحيم)، وجاء هذا في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ قالوا: إما الخطاب للبشر بصفة عامة أنه رسول منكم، أي بشر من الإنس ليس من الجن ولا من الملائكة. أو منكم أيها العرب.

وفي بعض القراءات غير المتواترة: (مِنْ أَنْفُسِكُمْ) من النفاسة، يعني: من أشرفكم وأعلاكم.

﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: يشق عليه أن يصيبكم عنت أو حرج، فأى شيء يشق عليكم فهو يشق عليه.

﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ يريد لكم الخير.

﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ شديد الرأفة، وشديد الرحمة بالمؤمنين ﷺ.

٦- وَشَاهِدًا مُبَشِّرًا نَذِيرًا كَذًا سِرَاجًا، صَلِّ بِهِ مُنِيرًا

الاسم التاسع عشر: (الشاهد)؛ فهو يشهد للأنبياء على أممهم أنهم بلغوا أممهم، ويكون شهيداً على أمته ﷺ أنه بلغهم رسالة ربه، والله ﷻ يقبل شهادته، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يَجِيءُ نُوحٌ وَأُمَّتُهُ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى، هَلْ بَلَغْتَ؟ يَقُولُ نَعَمْ أَيُّ رَبِّ، يَقُولُ لِأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَغْتُمْ؟ يَقُولُونَ لَا، مَا جَاءَنَا مِنْ نَبِيٍّ، يَقُولُ لِنُوحٍ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ يَقُولُ: مُحَمَّدٌ ﷺ وَأُمَّتُهُ، فَتَشْهَدُ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ، وَهُوَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ وَالْوَسْطُ: الْعَدْلُ» [١].

وقال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾

[النساء: ٤١].

الاسم العشرون: (المُبَشِّر): أي: يُبَشِّرُ المؤمنين بالرضوان والجنة.

الاسم الحادي والعشرون: (النذير) الذي ينذر مَنْ عصى الله ﷻ، أي: يُخَوِّفُهُمْ مِنْ عِقَابِ اللَّهِ ﷻ فهو بشير ونذير ﷻ.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ، وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦].

وقال ﷻ عن الرسل جميعاً: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ [النساء: ١٦٥]، فكل الرسل بما فيهم نبينا محمد ﷺ يبشرون وينذرون؛ يبشرون مَنْ أطاع الله بما أعدَّ الله له من الثواب والأجر العظيم، ويُنذرون مَنْ عصى الله ﷻ وخالف أمره من عقاب الله ﷻ.

قال: (كَذَا سِرَاجًا، صِلْ بِهِ مُنِيرًا) أي صِلْ بكلمة سراج كلمة منير؛ لأن الله تعالى قال: ﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٦]، فسماه الله ﷻ سراجًا ووصف هذا السراج قال: ﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٦]، فهذا الاسم عُدَّ اسمًا، وعُدَّ اسمين، فمن أسمائه (السراج) ﷻ ومن أسمائه (المنير) لقوله تعالى: ﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٦].

والسراج هو: المصباح، والمنير: أي: العظيم الإضاءة.

لأن المصباح قد يكون منيرًا، وقد يكون المصباح منطفئًا، أو ضعيف النور، لكنه ﷻ سراج منير ﷻ أي: مصباح عظيم الإضاءة.

والسراج: يأتي بمعنى المصباح، ويأتي بما هو أعظم من المصباح؛ لأن الله ﷻ وصف الشمس بأنها سراج فقال: ﴿نَبَارَكُ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ [الفرقان: ٦١].

فالرسول ﷺ سراج، وهو منير ﷻ، فهو ينير للمؤمنين طريق الحق، ويبين لهم طريق الحق من طريق الباطل، وهو نور جعله الله ﷻ يستضيء به المؤمنون، ويستدلون به على طريق الحق الذي يوصلهم إلى الله ﷻ.

وهو ينير قلوب المؤمنين كما أن المصباح ينير البصر، فعين الإنسان المبصرة تحتاج إلى نور لتبصر، وبدون النور لا ترى شيئًا؛ لأن الإنسان إذا كان في الظلام لا يستفيد ببصره شيئًا، إلا عن طريق النور، فكذلك القلب أيضًا، وهذا النور هو في الأصل مستمد من الله ﷻ فهو الذي ألقى هذا النور في قلب العبد، وجعل الرسول ﷺ وسيلة وسببًا لهذا النور الذي يبصر به المؤمن طريقه.

٧- كَذَابِهِ الْمُزْمَلِ الْمُدَّثِّرِ وَدَاعِيَا اللَّهِ وَالْمُذَكَّرِ

الاسم الرابع والعشرون والخامس والعشرون: (الْمُزْمَلِ، الْمُدَّثِّرِ)

(الْمُزْمَلِ الْمُدَّثِّرِ) أي المتغطي بثوب، أو ما يُزْمَلُ به الإنسان أو يدثر به بمعنى يلبسه فوق ثيابه، أو يتغطى به فوق ثيابه، ويلتحف به، فالترميل والتدثير هو ما يلبس فوق الثياب.

وهو ﷺ تزَّمَلَ وتدَثَّرَ عندما نزل عليه الوحي أول ما نزل، فذهب إلى خديجة ﷺ يرجف فؤاده فقال: «زملوني زملوني، دثروني دثروني» فزَمَلُوهُ: أي أعطوه ثوبًا لتَحْفَ به، أو وضعه عليه فوق ثيابه ﷺ، فأنزل الله تعالى عليه: ﴿يَأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنْذِرْ ۝٢﴾ [المدثر: ١-٢]، وأنزل الله عليه: ﴿يَأَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۝١ قُورَيْلًا قَلِيلًا ۝٢﴾ [المزمل: ١-٢] أي انزع عنك رداء الراحة وقم لله ﷺ وبلغ رسالة ربك، فصار من أسمائه ﷺ المزمل والمدثر. مع أنه وُصفَ عارض لرسول الله ﷺ، لكن لما ناداه الله ﷺ به اكتسب هذا الاسم تشريفًا؛ لكون رب العالمين ﷺ ناداه به.

الاسم السادس والعشرون: (الداعي إلى الله) وذلك في قوله تعالى: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ، وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٦]، فهو ﷺ يدعو إلى الله، والدعوة إلى الله ﷺ هي أحسن القول، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ [فصلت: ٣٣]، وقال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ [النحل: ١٢٥] فأمره الله ﷺ بالدعوة، أي يرشد الناس ويبيِّن لهم، ويدلهم على طريق النجاة.

الاسم السابع والعشرون: (الْمُذَكَّرِ) ﷺ؛ وهذا الاسم مأخوذ من قول الله ﷺ: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ﴾ [الغاشية: ٢١]، فهو ﷺ يُذَكَّرُ الناس بالله ﷺ، يدعوهم إلى ذكر الله ﷺ.

سواء ذَكَرَ الله ﷻ باللسان، أو ذَكَرَ الله تعالى بالقلب، فهو يُذَكِّرُ الناس بالله ﷻ، وهذا يشمل ذَكَرَ الله ﷻ باللسان، ويشمل ذِكْرَهُ بالقلب، أي: أن تستحضر قلوبهم توحيد الله ﷻ والإخلاص له، وعبادته، وأن يذكروا أمر الله ﷻ فيمثّلوه، ويذكروا نهي الله فيجتنبوه.

٨- وَرَحْمَةً وَنِعْمَةً وَهَادِيً وَغَيْرُهَا تَجَلُّ عَنْ تَعْدَادِ

الاسم الثامن والعشرون: (رحمة)، وذلك في قول الله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ﴾ [التوبة: ٦١] الأذن: بمعنى يصدق ما يقال له، فقال الله تعالى: ﴿ قُلْ أذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ يَوْمُنُ بِاللَّهِ وَيَوْمُنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ ﴾ [التوبة: ٦١]؛ فهو ﷻ أذن خير، وهو ﷻ رحمة للذين آمنوا، فهو ﷻ يرحم المؤمنين، وهو نفسه رحمة رَحِمَ الله به المؤمنين، وَرَحِمَ الله به البشرية حين أرسله إليهم ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ومن مظاهر هذه الرحمة أن الله لم يعذبهم وهو فيهم ﷻ، فالأمم السابقة أهلكهم الله ﷻ لما خالفوا أنبياءهم، فمنهم مَنْ أرسل الله عليه الصيحة، وأرسل عليه حاصبًا، وَمَنْ خَسَفَ به الأرض، لكن أمة محمد ﷺ رغم أنهم كذبوه إلا أن وجوده بينهم كان رحمةً، فقال الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَتْ أَلَلَةٌ لِّعَذَابِهِمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ﴾ [الأنفال: ٣٣] فلم يأخذهم بعذاب عاجل.

الاسم التاسع والعشرون: (نعمة) في بعض الآيات الكريمة التي يأتي فيها التذكير بنعمة الله، يذكر بعض المفسرين أن النعمة هي محمد ﷺ وهذا من تفسير النعمة ببعض معانيها، فهو نعمة عظيمة من الله ﷻ أنعم الله ﷻ بها على عباده.

الاسم الثلاثون: (وَهَادِيً) من أسمائه ﷻ «الهادي»، وذلك أن الله ﷻ قال: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى: ٥٢]، فهو ﷻ هادٍ.

ولكن كيف نوفق بين الآيات التي وصفه الله فيها بأنه هادٍ والآيات التي نفى عنه الهداية، أنه يهدي، كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ﴾ [النمل: ٨١]، وكذلك: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦]؟

الجواب: أن الهداية نوعان: هداية التبيين والإرشاد، وهداية التوفيق والإسعاد.

هداية التبيين والإرشاد: أنه يبين للناس طريق الحق من طريق الباطل؛ فهذه الهداية أعطاها الله تعالى لنبيه ﷺ فهو يهدي بمعنى يُبين للناس، يقول لهم: هذا طريق الحق، وهذا طريق الضلال، يُعلم الناس ويرشدهم.

أما هداية التوفيق: وهي جعل القلوب تستجيب لهذه الهداية، فهذه لا يملكها إلا الله ﷻ، النبي ﷺ لا يهدي مَنْ أَحَب، لا يستطيع أن يجعل قلب المدعو يستجيب لدعوته ﷻ، ويُوفِّق للعمل بمقتضى هداية الإرشاد.

فهو ﷻ يهدي هداية الإرشاد، أي: يُعلم ويرشد ويبين للناس، ويقول لهم: هذا طريق الحق، وهذا طريق الضلال، لكن هو ليس عليهم بمصيطر ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الغاشية: ٢٢]، وما في معناها من الآيات الكريمة مثل: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤٠]، فهو ﷻ عليه البلاغ وعليه الهداية أي: هداية التبيين والإرشاد، يُبلغ ولكن كون الناس تستجيب أو لا تستجيب، هذا بأمر الله ﷻ ومما لا يملكه النبي ﷺ.

فهذه ثلاثون اسمًا ذكرها المؤلف.

قال: (وَعِزُّهَا تَجَلُّ عَنْ تَعْدَادٍ) غير هذه الأسماء أسماء أخرى (تَجَلُّ عَنْ تَعْدَادٍ) ذكروا منها: المختار، والمصطفى، والشفيع، والمشفع، والصادق، الأمين، المصدق، وغير ذلك من أسمائه ﷻ، فهو لم يقصد حصر الأسماء في هذه الأسماء الثلاثين.

٩- وَقَدْ وَعَى (ابْنُ الْعَرَبِيِّ) سَبْعَةَ مِنْ بَعْدِ سِتِّينَ، وَقِيلَ: «تِسْعَةَ

١٠- مِنْ بَعْدِ تِسْعِينَ»،

يشير إلى أن القاضي أبي بكر بن العربي، القاضي المالكي، له كتاب اسمه «عارضة الأحوزي في شرح سنن الترمذي» فالإمام أبو بكر بن العربي ذكر سبعة وستين اسمًا للنبي ﷺ.

(وَقِيلَ: «تِسْعَةَ مِنْ بَعْدِ تِسْعِينَ») وهذا القول حكاه ابن العربي بعد أن عدَّ سبعة وستين اسمًا من أسماء رسول الله ﷺ عن بعض العلماء قال: وذكر بعض العلماء، أو زادها بعض العلماء حتى أوصلها إلى تسعة وتسعين اسمًا لرسول الله ﷺ.

١٠-، وَلَا بِنِ دِحْيَةٍ: «الْفَحْصُ يُوفِيهَا ثَلَاثِمِئَةً»

يشير هنا إلى الإمام ابن دحية، واسمه: أبو الخطاب عمر بن حسن الكلبي الداني من علماء الأندلس، من حفاظ الحديث في الأندلس، الحافظ ابن دحية عدَّ ثلاثمائة اسم من أسماء رسول الله ﷺ.

١١- وَكَوْنُهَا أَلْفًا فِي «الْعَارِضَةِ» ذَكَرَهُ عَنْ بَعْضِ ذِي الصُّوفِيَّةِ

في عارضة الأحوزي لابن العربي ذكر أن بعض الصوفية أوصلوا أسماء رسول الله ﷺ إلى ألف اسم، لكن هذا فيه تكلف منهم، لكن فيما ذُكر الكفاية ويحصل به المقصود. فالمقصود: أن هذه الأسماء الكريمة مشتملة على صفات كريمة اتصف بها رسول الله ﷺ، ومما يتعرف به المسلم على رسول الله ﷺ، ويكمل به إيمانه برسول الله ﷺ.

أن يتعرف على صفاته، وهذه الأسماء سواء كانت أسماء أو صفات هي مشتملة على صفات رسول الله ﷺ التي وصفه الله بها في القرآن الكريم، أو وُصِفَ بها في السُّنة الشريفة.

باب ذكر نسبه الزكي الطيب الطاهر ﷺ

هذا الباب في نسب النبي ﷺ وهذا مما يحتاج المسلم إلى معرفته، فالنبي ﷺ بُعث في العرب، وهؤلاء العرب الذين بُعث فيهم الرسول ﷺ كان من عادتهم الفخر بالأنساب، لا يستجيبون لِمَنْ لا يعرفون نسبه، ولا يعرفون آباءه وأجداده، فمما أيد الله ﷻ به نبيه ﷺ أنه بعثه من قبيلة هي أشرف قبائل العرب، واختاره الله ﷻ من نسب معروف فيهم من جهة الآباء والأجداد، كلهم ذُوو ذِكر عند العرب ومعروفون بمكارم الأخلاق والصفات الحميدة.

والمقصود بالزكي الطيب الطاهر، أنه ﷺ نشأ من نكاح صحيح من جهة الآباء والأجداد، فأبائه وأجداده معروفون ﷻ وكذلك من جهة الأمهات لم يُذكرن بسفاح، فصانه الله ﷻ وهذا جعله سبباً من الأسباب التي تقطع الحجة على الكافرين حتى لا يسيئوا إلى النبي ﷺ أو يجعلوا هذا عذراً له في عدم اتباعه.

١- وَهُوَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَبْدُ الْمُطَّلِبِ أَبُوهُ، وَهُوَ شَيْبَةُ الْحَمْدِ نُسَبُ

(وَهُوَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ) هو محمد بن عبد الله ﷺ، (عَبْدُ الْمُطَّلِبِ أَبُوهُ) أي: عبد المطلب هو أبو عبد الله.

(وَهُوَ شَيْبَةُ الْحَمْدِ نُسَبُ) يعني عبد المطلب سُمي شيبَةَ الحمد؛ لأنه وُلِدَ، وفي رأسه شيبَة أي شعرة بيضاء، فَلُقِّبَ بشيبة الحمد.

٢- أَبُوهُ عَمْرُو هَاشِمٌ، وَالْجَدُّ عَبْدُ مَنْافٍ بْنُ قُصَيٍّ زَيْدٌ

(أَبُوهُ عَمْرُو هَاشِمٌ) أي: أبو عبد المطلب: اسمه عمرو، ولقبه: هاشم، ولُقِّبَ بهاشم؛ لأنه أوَّل مَنْ هَشَمَ الثريد لقومه، وهو الخبز الذي يؤكل مع اللحم، يضعون اللحم مع المرق ويثردون معه الخبز، فكان أوَّل مَنْ هَشَمَ الثريد، يأتي بالخبز اليابس، فيهشمه أي يُكسِّره ويُفتته ويضعه مع المرق واللحم ويُطعم قومه.

(وَالْجَدُّ عَبْدُ مَنْافٍ) وهو والد هاشم، قالوا: سُمي به؛ لطوله، كان طويلاً من النيف وهو الزيادة فلُقِّبَ بـ (عبد مناف).

(ابْنُ قُصَيٍّ زَيْدٌ) والد عبد مناف اسمه: زيد، ولقبه: قُصَيٌّ.

٣- ابْنُ كِلَابٍ أَيْ حَكِيمٌ يَا أَخِي وَهُوَ ابْنُ مِرَّةَ بْنِ كَعْبٍ بْنِ لُؤَيٍّ

- هو ابن كلاب.

(ابْنُ كِلَابٍ أَيْ حَكِيمٌ) والد قُصَيٍّ، واسمه: حكيم، ولقبه: كلاب.

ولُقِّبَ بـ (كلاب)؛ قيل: لأنه كان يكالب الأعداء في الحرب، أي كثير المقاومة للأعداء في الحرب، وقيل: لأنه كان يحب الصيد بالكلاب، وهذا المشهور.

(وَهُوَ ابْنُ مِرَّةَ بْنِ كَعْبٍ بْنِ لُؤَيٍّ) فكلاب ابن مِرَّةَ، ومِرَّةَ ابن كعب، وكعب ابن لؤي.

٤- وَهُوَ ابْنُ غَالِبٍ أَيْ ابْنُ فَهْرٍ وَهُوَ ابْنُ مَالِكٍ أَيْ ابْنُ النَّضْرِ

لؤي ابن غالب بن فهر بن مالك بن النضر.

والفهر معناه: الحجر الطويل، وفهر هذا لُقِّبَ بـ (قريش) وإليه نُسبت قريش، فكل مَنْ تفرَّع من فهر فهو قرشي، وهذا الكلام رجَّحه البيهقي وغيره: أن قريشاً هو فهر: (فمَنْ لم يلدَه فهر بن مالك فليس بقرشي).

وذهب الرافعي والنووي إلى أن قريشاً هم أولاد النضر بن كنانة، فكل أولاد النضر بن كنانة فهم قريش، فإذا ليسوا فقط أولاد فهر.

٥- وَأَبُهُ كِنَانَةُ مَا أَبْرَكَهُ وَالِدُهُ خُزَيْمَةُ بْنُ مُدْرِكَةَ

(وَأَبُهُ) أي: وأبوه، وهذه على لغة النقص في الأسماء الخمسة، بعض العرب يحذفون حروف العلة من الأسماء الخمسة، ويعربونها بالحركات يقول: جاء أبه، ورأيت أبه، ومررت بأبه، ومنه قول رؤبة بن العجاج:

بأبه اقتدى عدي في الكرم
ومَنْ يشابهه أبه فما ظلم
يقول: (وَأَبُهُ كِنَانَةُ مَا أَبْرَكَهُ) أي: تعجب من كثرة بركته، والبركة: هي الخير الكثير، أي: تفرَّع منه خير كثير؛ لأن من ذريته رسول الله ﷺ، والمهاجرون من قريش، وكثير من المؤمنين يتفرع من ذرية هذا الرجل.

وَالِدُهُ خُزَيْمَةُ بْنُ مُدْرِكَةَ: أي أن كنانة هو ابن خزيمة بن مدركة.

٦- وَهُوَ ابْنُ إِيَّاسَ أَيِ ابْنِ مُضَرَ ابْنِ زَرَّارِ بْنِ مَعَدٍّ لَا مِرَا

(لَا مِرَا): أي لا شك في هذا النسب.

٧- وَهُوَ ابْنُ عَدْنَانَ. وَأَهْلُ (النَّسَبِ) قَدْ أَجْمَعُوا إِلَى هُنَا فِي الْكُتُبِ

أهل النسب أجمعوا إلى هنا أي: إلى عدنان؛ لأن النبي ﷺ كان إذا انتسب لا يجاوز عدنان، ويقول: كذب النسابون ثلاثاً، فكان ﷺ ينتسب إلى عدنان.

وبعض أجداد النبي ﷺ هؤلاء كانوا في فترة التوحيد، قبل حصول الشرك في جزيرة العرب، فيذكرون أن معداً وعدنان ومن بعدهم من أجداد النبي ﷺ كانوا من الموحدين على ملة إسماعيل؛ لأن أول من سبب السوائب وبحر البحيرة في جزيرة العرب هو: عمرو بن لُحي.

بعض المؤرخين يقولون: إن معد وعدنان كانا في زمن موسى ﷺ أو في الفترة التي بين موسى وعيسى -عليهما السلام- وهما من ذرية إسماعيل ﷺ وكانا هما وآبائهما على ملة إسماعيل ﷺ يوحدون الله ﷻ ولا يشركون به، لكن بعد ذلك حصل الشرك، في قسم من أجداد النبي ﷺ.

٨- وَبَعْدَهُ خُلْفٌ كَثِيرٌ جَمٌّ أَصَحُّهُ حَوَاهُ هَذَا التَّنْظُمُ

بعد ذلك بقى النسب من عدنان إلى آدم ﷺ، فيه (خُلْفٌ كَثِيرٌ): أي اختلاف كثير، وهي آراء يتناقلها النسابون، وأصح هذه الآراء المروية هو ما (حَوَاهُ هَذَا التَّنْظُمُ).

ثم ذكر المؤلف النسب إلى آدم ﷺ فقال:

٩- عَدْنَانُ فِي الْقَوْلِ الْأَصَحِّ: ابْنُ أَدَدٍ وَبَعْضُهُمْ يَزِيدُ أَدَاً فِي الْعَدَدِ:

عدنان ابن أدد، وبعضهم يقول: عدنان بن أد بن أدد.

١٠- بَيْنَهُمَا، وَأَدَدُ وَالِدُهُ مُقَوِّمٌ، نَاحُورٌ بَعْدَ جَدِّهِ

عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور.

١١- وَهُوَ ابْنُ تَيْرِجَ أَيُّ ابْنِ يَعْزَبَا وَأَنَّ يَعْزَبَا هُوَ ابْنُ يَشْجَبَا

ناحور ابن تيرج بن يعرب بن يشجب.

١٢- وَهُوَ ابْنُ نَابِتٍ، وَإِسْمَاعِيلُ أَبُّ لَهُ، وَجَدُّهُ الْخَلِيلُ

١٣- إِبْرَاهِيمُ بْنُ تَارَحَ أَيُّ آزَرُ

يعرب بن يشجب بن نابت بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام.

(بُنْ تَارَحَ أَيُّ آزَرُ) يقول: آزر لقب لـ (تارح).

١٣- وَهُوَ ابْنُ نَاحُورٍ، وَهَذَا آخَرُ

آزر بن ناحور، وناحور هذا غير ناحور السابق الذي هو ابن تيرج.

١٤- وَهُوَ ابْنُ شَارُوحَ بْنِ أَرْغُو، فَالَخُ أَبُّ لَهُ، ابْنُ عَيْبَرَ بْنِ شَالَخَ

ناحور بن شاروح بن أرغو بن فالخ. ويقال: ساروح، ويقال: ساروغ، ضبطه النووي ساروغ بالغين المعجمة، وضبطه المناوي ساروح بمهملات، والحافظ ابن حجر ضبطه شاروح بالشين، المعجمة.

١٥- وَهُوَ ابْنُ أَرْفَخْشَدَ، أَبُوهُ سَامُ أَبُوهُ نُوحٌ صَائِمٌ قَوَّامٌ

شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام.

قال: (صَائِمٌ قَوَّامٌ) وهو نوح عليه السلام.

١٦- وَهُوَ ابْنُ لَامِكَ بْنِ مَتُوشَلَخَا ابْنِ خُنُوحَ، وَهُوَ فِيْمَا وَرَّخَا

١٧- إِدْرِيسُ فِيْمَا زَعَمُوا
.....

نوح عليه السلام ابن لامك بن متوشلخ بن خنوخ، (خُنُوحَ، وَهُوَ فِيْمَا وَرَّخَا إِدْرِيسُ) قالوا:
إن خنوخ هذا هو اسم أو لقب لنبي الله إدريس عليه السلام.

١٧- يَرْدُ أَبُهُ وَهُوَ ابْنُ مَهْلِيلَ بْنِ قَيْنَ يَعْقُبُهُ

١٨- يَانِشُ شَيْثُ أَبُهُ ابْنُ آدَمَا صَلَّى عَلَيْهِ رَبُّنَا وَسَلَّمَا

إدريس عليه السلام ابن يرد، بَنُ مَهْلِيلَ، بَنُ قَيْنَ بن يانش، بن شيث، بن آدم.

وشيث هذا نبي، وردت نبوته في السنة في حديث أبي ذر رضي الله عنه أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم: كم
كتاباً أنزل الله؟ قال: «مِائَةُ كِتَابٍ، وَأَرْبَعَةُ كُتُبٍ، أُنْزِلَ عَلَى شَيْثٍ خَمْسُونَ صَحِيفَةً»^[١].

١٩- أَمَّا (قُرَيْشٌ) فَلَا أَصَحَّ: فَهَرُ جَمَاعُهَا، وَالْأَكْثَرُونَ النَّضْرُ

هذا الخلاف ذكرناه آنفا في البيت الرابع من هذا الفصل.

[١] أخرجه ابن حبان في صحيحه (٢ / ٧٦) برقم: (٣٦١).

- ٢٠- وَأُمُّهُ أَمْنَةُ، وَالِدُهَا وَهْبٌ، يَلِي عَبْدُ مَنَافٍ جَدُّهَا
٢١- وَهُوَ ابْنُ زُهْرَةَ، يَلِي كِلَابٌ وَفِيهِ مَعَ أَبِيهِ الْإِنْتِسَابُ

ذكر نسب أم النبي ﷺ، فيقول: أمه هي آمنه بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، فتلتقي مع النبي ﷺ في الجد الذي لُقِّبَ بـ كلاب، واسمه حكيم، ولُقِّبَ بـ (كلاب) لأنه كان كثير الصيد بالكلاب.

ذكر مولده وإرضاعه ﷺ

- ١- وَوُلِدَ النَّبِيُّ عَامَ الْفِيلِ
- ٢- لِيَوْمِ الْاِثْنَيْنِ، مُبَارَكًا أَتَى
- ٣- وَقِيلَ: «بَلْ ذَاكَ لِثْنَتَيْ عَشْرَةَ»
- ٤- بِأَرْبَعِينَ أَوْ ثَلَاثِينَ سَنَةً
- أَيَّ فِي رَيْبِ الْأَوَّلِ الْفَضِيلِ
- لِلْيَلَتَيْنِ مِنْ رَيْبِ خَلَّتَا
- وَقِيلَ: «بَعْدَ الْفِيلِ ذَا بَقَرَةٍ
- وَرُدَّ ذَا الْخُلْفِ، وَبَعْضُ وَهْنَهُ

يشير في هذه الآيات إلى أن النبي ﷺ وُلِدَ بمكة عام الفيل، فمكان ولادته ﷺ: مكة المكرمة، وزمان ولادته ﷺ: عام الفيل، في شهر ربيع الأول ﷺ.

ولم يكن عند العرب تقويم يرتبون فيه الأعوام، ويسلسلونها بالعدد، فكانوا يُؤرِّخون بالحوادث المشهورة، فإذا حدثت حادثة مشهورة يقولون: وُلِدَ فلان في العام الذي حصل فيه كذا، ك وفاة ملك من الملوك، أو وقوع حرب من الحروب، أو حادثة مشهورة، فيؤرخون بهذا العام، ويقولون: وُلِدَ فلان في عام كذا، أو قبله بكذا سنة، أو بعده بكذا سنة، ثم إذا حدثت حادثة مشهورة بعدها بدؤوا يؤرخون بها وتركوا التاريخ الأول.

فالعام الذي وُلِدَ فيه النبي ﷺ وقعت فيه حادثة شهيرة جاء ذكرها في كتاب الله ﷻ وهي: حادثة الفيل، وذلك أن أبرهة وكان ملكاً حبشياً يحكم اليمن في ذلك الوقت، وكان قد بنى بناءً كبيراً في اليمن - في صنعاء - وكان يريد من الناس أن يحجوا إليه، ويتركوا الحج إلى بيت الله الحرام، فلم تطاوعه العرب على ذلك، بل على العكس:

فإن قريشاً أرسلوا بعض شبابهم فحربوا في هذا البناء الذي بناه أبرهة، وأحرقوا بعضاً منه، فاستشاط غيظاً، وأرسل جيشاً كبيراً، ومعه فيل يقال له: محمود، وبعض الروايات ذكرت أنه عدة أفيال، وكان محمود هذا قائد هذه الأفيال.

فلما وصل جيش أبرهة، وكان جيشاً ضخماً فيه عشرات الآلاف، ومعهم الأفيال والأسلحة الكبيرة الكثيرة، منع الله ﷻ الفيل من التحرك في اتجاه الكعبة، فبرك الفيل، وكلما أرادوا أن يوجهوه في اتجاه الكعبة أبى عليهم، مهما أزعجوه ليتحرك يأبى أن يتحرك، فإذا حركوه إلى أي اتجاه آخر يتوجه، فإذا وجهوه جهة الكعبة ثبت في مكانه وامتنع من الحركة، ثم إن الله ﷻ أرسل طيراً أبابيل، أي جماعات كثيرة من الطيور، كل طير منها في منقاره حجر، وفي مخلبيه حجران، فجعلت الطيور ترمي هذا الجيش بهذه الأحجار، فلا يصيب أحدهم حجر من هذه الأحجار إلا أصابه مرض شديد حتى تتمزق أعضاؤه، وتتساقط أعضاؤه شيئاً فشيئاً، تتساقط أصابعهم ثم أيديهم وأرجلهم، وأهلكهم الله ﷻ وكان ذلك آية عظيمة.

وكان هذا من إرهابات النبوة، أي: من التمهيدات أو العلامات التي جعلها الله ﷻ تهيئةً لقدم النبي ﷺ لأن الله ﷻ أعلى هذه الحادثة شأن قريش، وصارت لهم مكانة أكبر مما كانت لهم عند العرب، وصار للبيت الحرام منزلة عظيمة، وسمع العرب بهذا الخبر.

فالنبي ﷺ وُلِدَ عام الفيل، وحسب التقويم الهجري، فالنبي ﷺ مكث في مكة ثلاثاً وخمسين سنة، بُعث وله أربعون سنة، ومكث ثلاث عشرة سنة قبل الهجرة، فإذا عام الفيل هو العام الذي يكون قبل الهجرة بثلاث وخمسين سنة.

- ٢- لَيَوْمِ الْاِثْنَيْنِ، مُبَارَكًا أَتَى لِلَّيْلَتَيْنِ مِنْ رَيْعِ خَلْتَا
٣- وَقِيلَ: «بَلْ ذَاكَ لِثَنَتِي عَشْرَةٌ» وَقِيلَ: «بَعْدَ الْفَيْلِ ذَا بَفْتَرَةٍ
٤- بِأَرْبَعِينَ أَوْ ثَلَاثِينَ سَنَةً» وَرَدَّ ذَا الْخُلْفِ، وَبَعْضُ وَهْنَهُ

وُلِدَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ، وَيَوْمَ الْاِثْنَيْنِ يَوْمَ مُبَارَكٍ؛ فَتُرْفَعُ فِيهِ أَعْمَالُ الْعِبَادِ إِلَى اللَّهِ - تَعَالَى - وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَحِبُّ صِيَامَ يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ.

(لِلَّيْلَتَيْنِ مِنْ رَيْعِ خَلْتَا) تَعَدَّدَتِ الْأَرَاءُ، بَعْضُهُمْ يَقُولُ: وُلِدَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ، وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: الْيَوْمُ الثَّانِي عَشَرَ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ، وَقِيلَ: الثَّامِنُ، وَقِيلَ: الْعَاشِرُ، وَقِيلَ: السَّابِعَ عَشَرَ، وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ.

وَهَذَا الْاِخْتِلَافُ فِي تَحْدِيدِ يَوْمِ مِيلَادِ النَّبِيِّ ﷺ - وَإِنْ عَلِمَ الشَّهْرُ - أَكْبَرُ دَلِيلٍ عَلَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَتَعَنَّ بِذِكْرِ هَذَا الْيَوْمِ، وَأَنَّ الصَّحَابَةَ ﷺ لَمْ يَحْتَفِلُوا بِيَوْمِ مَوْلَدِهِ ﷺ، وَإِلَّا لَذُكِرَ هَذَا الْيَوْمُ وَحُفِظَ، فَلِذَلِكَ تَعَدَّدَتِ الْأَرَاءُ لِعَدَمِ اعْتِنَائِهِمْ بِحِفْظِ ذَلِكَ الْيَوْمِ؛ لِكَوْنِهِ لَا يَتَرْتَبُ عَلَيْهِ عَمَلٌ، وَلَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ وَلَا صَحَابَتُهُ يَحْتَفِلُونَ بِذِكْرِ الْمَوْلَدِ، فَلِذَلِكَ تَعَدَّدَتِ الْأَرَاءُ فِي تَحْدِيدِ الْيَوْمِ.

وَيَقُولُونَ: الْيَوْمُ الَّذِي اشْتَهَرَ عِنْدَ الْمُتَأَخِّرِينَ أَنَّهُ يَوْمُ الْمَوْلَدِ وَهُوَ الثَّانِي عَشَرَ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ، هَذَا الْيَوْمُ حَسَبَ الْحِسَابَاتِ الْفَلَكَيَّةِ يَسْتَحِيلُ أَنْ يُوَافِقَ يَوْمَ اِثْنَيْنٍ، فَهَذَا يُؤَكِّدُ أَنَّ هَذَا الْيَوْمَ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ هُوَ مِيلَادُ النَّبِيِّ ﷺ.

(وَقِيلَ: «بَعْدَ الْفَيْلِ ذَا بَفْتَرَةٍ بِأَرْبَعِينَ أَوْ ثَلَاثِينَ سَنَةً») بَعْضُ النَّاسِ رَوَوْا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وُلِدَ بَعْدَ عَامِ الْفَيْلِ بِثَلَاثِينَ سَنَةً أَوْ أَرْبَعِينَ سَنَةً.

(وَرَدَّ ذَا الْخُلْفِ، وَبَعْضُ وَهْنَهُ) هَذَا الْخِلَافُ خِلَافَ مُرَدُّودٍ وَبَعْضُ الْعُلَمَاءِ حَكَى

الإجماع على أن النبي ﷺ وُلِدَ عام الفيل ﷺ.

ثم يذكر بعض العجائب التي حصلت يوم ميلاد رسول الله ﷺ، قال:

٥- وَقَدْ رَأَتْ إِذْ وَضَعَتْهُ نُورًا خَرَجَ مِنْهَا رَأَتِ الْقُصُورَ

وفي نسخة: (فأضأ القصور) أي: فأضاء القصور.

٦- قُصُورُ بَصْرَى قَدْ أَضَاءَتْ، وَوُضِعَ بَصْرُهُ إِلَى السَّمَاءِ مُرْتَفِعٌ

إن النبي ﷺ حين وضعته أمه آمنة بنت وهب خرج منها نور أضأ وانتشر حتى رأت آمنة قصور بصرى - مدينة بالشام-، أو حتى أضأ هذا النور قصور بصرى.

وَوَرَدَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا نَزَلَ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ ﷺ كَانَ رَافِعًا بَصْرَهُ إِلَى السَّمَاءِ (وَوُضِعَ بَصْرُهُ إِلَى السَّمَاءِ مُرْتَفِعٌ) ﷺ.

فكان النبي ﷺ حين وُضِعَ رافعًا بصره إلى السماء، ووردت عجائب أخرى، منها: أنه في الليلة التي وُلِدَ فيها النبي ﷺ انكسر إيوان كِسرى -أي قصر مُلكه، وكسرى ملك الفرس- وسقطت منه أربع عشرة شرفة، وخمدت نار الفرس، ولم تخمد قبل ذلك بألف سنة، فكانوا يذكرون أنها من أَلْفِ سَنَةٍ مَوْقِدَةٌ وَكَانَ كُفَّانُ الْمَجُوسِ يَتَعَاهَدُونَ هَذِهِ النَّارَ الْعَظِيمَةَ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَهَا بِحَيْثُ تَكُونُ مَوْقِدَةٌ لَا تَنْطَفِئُ أَبَدًا، وَيَوْمَ وَلَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ انطفأت هذه النيران.

٧- مَاتَ أَبُوهُ وَلَهُ عَامَانِ وَثُلُثٌ، وَقِيلَ بِالتَّقْصَانِ:

٨- عَنْ قَدْرِ ذَا، بَلْ صَحَّ كَانَ حَمَلًا

مات والد النبي ﷺ، وكان عمره ﷺ عامين وثلاثاً، (وَقِيلَ بِالنَّقْصَانِ: عَنْ قَدْرِ ذَا) وقيل: كان عمر النبي ﷺ أقل من عامين وثلاث العام، فقيل: كان ابن سبعة أشهر، وقيل: إنه كان حملاً ﷺ عندما مات أبوه، والحافظ العراقي يصحح هذه الرواية فيقول: (بَلْ صَحَّ كَانَ حَمَلًا) فأصح ما قيل في عُمر النبي ﷺ يوم وفاة والده أنه كان حملاً ﷺ، وعلى كل حال: فالنبي ﷺ نشأ يتيماً كما قال ﷺ: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى﴾ [الضحى: ٦]

و(أَرْضَعَتْهُ) حِينَ كَانَ طِفْلاً

٩- مَعَ عَمِّهِ حَمْزَةَ لَيْثِ الْقَوْمِ وَمَعَ أَبِي سَلَمَةَ الْمَخْزُومِي

١٠- «ثَوِيَّةٌ» وَهِيَ إِلَى أَبِي لَهَبٍ أَعْتَقَهَا، وَإِنَّهُ حِينَ انْقَلَبَ:

١١- هُلْكَاً، رُئِيَ نَوْمًا بِشَرِّ حَبِئَةٍ لَكِنْ سُقِيَ بِعَتَقِهِ ثَوِيَّةً

و(أَرْضَعَتْهُ) ثويبة جارية لأبي لهب (حِينَ كَانَ طِفْلاً)، مع عمه حمزة ومع أبي سلمة المخزومة، فهذان أخوا رسول الله ﷺ من الرضاعة: حمزة بن عبد المطلب (لَيْثِ الْقَوْمِ) أي أسد القوم الذي كان مضرب المثل في الشجاعة والإقدام ﷺ.

وأبو سلمة المخزومي واسمه: عبد الله بن عبد الأسد ﷺ، وهو من السابقين الأولين إلى الإسلام، وهو زوج أم سلمة السابق قبل زواجها برسول الله ﷺ، وكان من المهاجرين إلى الحبشة ﷺ، وسيأتي ذكره في السابقين إلى الإسلام.

(«ثَوِيَّةٌ» وَهِيَ إِلَى أَبِي لَهَبٍ) أي: وهي مملوكة لأبي لهب.

وفي النسخة الأخرى: (وهي التي أبو لهب أعتقها) فالمقصود أنها المملوكة لأبي لهب، أو أنها التي أعتقها أبو لهب، وكلا المعنيين صحيح، فهي كانت مملوكة لأبي

لهب، وأعتقها أبو لهب لما جاءت تبشّره بولادة الرسول ﷺ.

(وإِنَّهُ حِينَ انْقَلَبَ: هُلُكًا) لما هلك أبو لهب - أخزاه الله - (رُئِيَ نَوْمًا بِشَرِّ حَبِيبَةٍ) أي بشَرِّ حالة، وورد هذا في حديث أن العباس ﷺ وقيل: غيره، رأى رؤيا في المنام أن أبا لهب سقي قطرات من الماء قدر ما بين السبابة والإبهام، وقيل له: هذه بعثتك ثوية، أي: كوفئ بعثك ثوية بأن سقي قطرات من الماء مكافئةً لعتقه ثوية.

لكن على كل حال، هناك كلام في اتصال إسناد هذه الرواية، ثم إنها رؤيا منامية، والله ﷻ أعلم بحقيقة الأمر؛ لأن الذين يحتفلون بالمولد يتعلقون بهذه القصة وينون عليها أنها علامة أن يوم المولد يوم شريف.

وفي الحقيقة ليس في القصة دلالة على هذا، فغاية ما في الأمر أنه لو صحت هذه القصة فغاية ما تفيد أنه خُفِّف عنه شيء يسير من العذاب؛ لأنه أعتق هذه الأمة، وكان هذا التخفيف في فترة البرزخ، والله ﷻ لا يظلم مثقال ذرة ﷻ.

١٢- وَبَعْدَهَا «حَلِيمَةُ السَّعْدِيَّةُ» فَظَفِرَتْ بِالدُّرَّةِ السَّيِّئَةِ

١٣- نَالَتْ بِهِ خَيْرًا وَأَيَّ خَيْرٍ مِنْ سَعَةٍ وَرَعْدٍ وَمَيْرٍ

يتكلم عن المرضعة الثانية لرسول الله ﷺ بعد ثوية، وهي حليلة السعدية.

واسمها: حليلة بنت أبي ذؤيب السعدية نسبةً إلى بني سعد بن بكر قبيلة من قبائل العرب، التي كانت في البادية.

وكان من عادة قريش أن يرسلوا أطفالهم في فترة الرضاع والطفولة إلى البادية؛ ليرضعوا في البادية، ويجلسوا عند أهل البادية؛ ليتعلموا من أهل البادية الشهامة

والشجاعة، ويتعلموا منهم فصاحة اللغة، والاحتمال والصبر، وما في البادية من أخلاق حميدة، فكانت هذه من عادات العرب.

فلما وُلِدَ النبي ﷺ بعد أن أرضعته ثوية فترة، بحثوا له عن مرضعة من أهل البادية وأرسلوه إلى حليلة السعدية في بادية بني سعد.

ففاضت حليلة السعدية (بِالدُّرَّةِ السَّيِّئَةِ) الدرة: هي الجوهرة أو اللؤلؤة، السنية: أي المضيئة، فهنا يُشبه النبي ﷺ بالدرة السنية، ففاضت بكنز عظيم وبفضل كبير؛ حيث اختارها الله ﷻ لإرضاع رسول الله ﷺ، ف (نَالَتْ بِهِ خَيْرًا وَأَيَّ خَيْرٍ) وحصلت لها سعة في رزقها، ورغد في عيشها، وذلك أنها لما ذهبت لرسول الله ﷺ دَرَّ اللبن في ثديها وكثر، وكان عندها ناقة هزيلة فإذا بالناقة تسمن ويكثر فيها اللبن، وأتأنها كانت بطيئة المشي فإذا بها تسبق غيرها، وكثر الدَّر في شياهاها، فحصل لها رزق وافر، وهو من البركة التي جعلها الله ﷻ في رسوله ﷺ.

١٤- أَقَامَ فِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ عِنْدَهَا أَرْبَعَةَ الْأَعْوَامِ تَجْنِي سَعْدَهَا

أقام النبي ﷺ في البادية عند بني سعد بن بكر أربعة أعوام (تَجْنِي سَعْدَهَا) أي تجني العِزَّة والشرف والخير الكثير الذي جعله الله ﷻ عندها.

١٥- وَحِينَ شَقَّ صَدْرَهُ جِبْرِيلُ خَافَتْ عَلَيْهِ حَدَّثًا يَأْوُلُ

١٦- رَدَّنْهُ سَالِمًا إِلَى «أَمِنَةٍ»

لما شق جبريل صدر النبي ﷺ (خَافَتْ عَلَيْهِ حَدَثًا يُؤُولُ) خشيت أن يحصل له حادث، فيموت عندها ﷺ، فسعت - رغم فرحها بالنبي ﷺ وسرورها ببقائه عندها - لكن خافت عليه أن يحدث له ضرر وهو في حوزتها فردته إلى أمه آمنة.

وهنا الإشارة إلى حادثة شق رسول الله ﷺ، فعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل ﷺ وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه، فشق عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقه، فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه، ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه - يعني ظئره - فقالوا: إن محمدًا قد قُتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون، قال أنس: «وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره»^[١] وهذه المرة الأولى التي شق فيها صدر النبي ﷺ وهو في بادية بني سعد، وكان عمره ﷺ أربعة أعوام، كما مر بنا في هذه الرواية.

فالنبي ﷺ أخبر أن الصدر شق من غير ألم ولا دم، فالنبي ﷺ رأى الملكين وعليهما ثياب بيض، وأجلساه، وشق صدره فانفتح صدره من غير أن يحس بالألم ولا أن يرى دمًا، وأخرجوا قلبه ﷺ فرأى قلبه أخذ ﷺ وشق القلب، وأخرجوا منه علقه سوداء، أي: قطعة من الدم المتجلط الأسود، فأخذا علقه سوداء فطرحاها، ثم قالوا: هذا حظ الشيطان منك، فألقياها بعيدًا، ثم وضعاه فيه قطعة بحجمها لونها مثل لون الفضة، وقالوا له: هذه الرأفة والرحمة، ثم أعادا قلبه إلى مكانه، وضمما صدره.

فلما علمت حليلة بهذه الواقعة خشيت على النبي ﷺ، وهي لا تعلم ما حصل، أنه أخذ بعيدًا وأتاه رجلان وأضجعا، فخشيت أن أحدا يريد به سوءًا أو يريد أن يقتله، فأعادته إلى أمه آمنة.

- وَحَرَجَتْ بِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ
 ١٧- تَزُورُ أَخْوَالَ لَهُ، فَمَرَضَتْ
 رَاجِعَةً وَقَبِضَتْ، فَدُفِنَتْ:
 ١٨- هُنَاكَ بِالْأَبْوَاءِ، وَهُوَ عُمَرُ
 سِتُّ سِنِينَ، مَعَ شَيْءٍ يَقْدَرُهُ
 ١٩- ضَابِطُهُ: بِمِئَةِ أَيَّامَا
 وَقِيلَ: «بَلْ أَرْبَعَةُ أَعْوَامَا»
 ٢٠- وَحِينَ مَاتَتْ حَمَلَتْهُ «بَرَكَه»
 ٢١- كَفَلَهُ إِلَى تَمَامِ عُمُرِهِ
 لِحَدِّهِ بِمَكَّةَ الْمُبَارَكَةِ
 ثَمَانِيًا، ثُمَّ مَضَى لِقَبْرِهِ

يُخْبِرُ أَنَّهُ لَمَّا أَعَادَتْهُ حَلِيمَةُ السَّعْدِيَّةِ إِلَى أُمِّهِ آمَنَةَ بَقِيَ سَالِمًا عِنْدَ أُمِّهِ آمَنَةَ حَتَّى أَكْمَلَ سِتَّ سِنِينَ، عِنْدَ ذَلِكَ خَرَجَتْ بِهِ أُمُّهُ آمَنَةَ، وَمَعَهَا جَارِيَتُهَا بَرَكَةُ الْحَبْشِيَّةِ الَّتِي تُكْنَى بِأُمِّ أَيْمَنَ ﷺ وَأَرْضَاهَا، وَذَهَبَتْ إِلَى الْمَدِينَةِ تَزُورُ أَخْوَالَهُ مِنْ بَنِي النُّجَارِ، فِي الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ. فَأَقَامَتْ بِهِ عِنْدَهُمْ شَهْرًا، ثُمَّ رَجَعَتْ، وَهِيَ رَاجِعَةٌ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ مَرَضَتْ، فَمَاتَتْ فِي مَنَاطِقَةٍ يُقَالُ لَهَا: الْأَبْوَاءُ، بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، وَهِيَ إِلَى الْمَدِينَةِ أَقْرَبُ، أَيْ فِي وَسْطِ الطَّرِيقِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، لَكِنْ أَقْرَبُ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَكَانَ عُمَرُ النَّبِيِّ ﷺ فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ سِتَّ سِنِينَ وَمِائَةَ يَوْمٍ.

وَقِيلَ: «بَلْ أَرْبَعَةُ أَعْوَامَا» قِيلَ: إِنْ عُمَرُ النَّبِيِّ ﷺ كَانَ أَرْبَعَةَ أَعْوَامٍ عِنْدَمَا مَاتَتْ أُمُّهُ، لَكِنْ الْأَوَّلُ أَصَحُّ أَنَّ عُمُرَهُ كَانَ سِتَّ سِنِينَ وَمِائَةَ يَوْمٍ ﷺ، فَرَجَعَتْ بِهِ أُمُّ أَيْمَنَ الْحَبْشِيَّةِ ﷺ، وَذَهَبَتْ بِهِ إِلَى جَدِّهِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ، فَدَفَعَتْهُ إِلَيْهِ.

فَكَفَلَهُ جَدُّهُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ حَتَّى صَارَ عُمَرُ النَّبِيِّ ﷺ ثَمَانِيًا سِنِينَ، ثُمَّ تَوَفَّى عَبْدِ الْمَطْلَبِ. وَقَبْلَ وَفَاتِهِ أَوْصَى ابْنَهُ أَبَا طَالِبٍ أَنْ يَكْفُلَ مُحَمَّدًا ﷺ وَأَنْ يَعْتَنِيَ بِهِ وَبِرَبِيتِهِ ﷺ.

باب ذكر كفالة أبي طالب له ﷺ

- ١- أَوْصَى بِهِ جَدُّهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ إِلَى أَبِي طَالِبٍ الْحَامِي الْحَدَبِ
 - ٢- يَكْفُلُهُ بَعْدُ، فَكَانَتْ نَشَأَتُهُ ظَاهِرَةً مَأْمُونَةً غَائِبَتُهُ
- الحذب: أي العطوف.

نشأ ﷺ نشأة آمنة من المكر والخديعة؛ حيث كان الذين يكفلون النبي ﷺ من العطوفين عليه، الراغبين له في الخير، الحريصين عليه ﷺ.

- ٣- فَكَانَ يُدْعَى بـ«الْأَمِينِ» وَرَحَلَ
 - ٤- بُصْرَى رَأَى مِنْهُ «بَحِيرًا» الرَّاهِبُ:
 - ٥- مُحَمَّدٌ نَبِيُّ هَذِي الْأُمَّةِ
 - ٦- مِنْ أَنْ يَرَى بَعْضُ الْيَهُودِ أَمْرَهُ
- مَعَ عَمِّهِ لِلشَّامِ، حَتَّى إِذْ وَصَلَ:
- مَا دَلَّ أَنَّهُ النَّبِيُّ الْعَاقِبُ
- فَرَدَّهُ تَخَوُّفًا مِنْ ثَمَّةَ
- وَعُمُرُهُ إِذْ ذَاكَ: ثِنْتَا عَشْرَةَ

انتقل النبي ﷺ بعد ذلك إلى كفالة عمه أبي طالب، وكان أبو طالب عطوفًا عليه، مشفقًا عليه، حتى إنه كان لشدة حبه للنبي ﷺ يُؤَخِّرُ عشاء أولاده حتى يحضر محمد ﷺ، فألقى الله ﷻ في قلب أبي طالب محبة طبيعية للنبي ﷺ، وعطفًا عليه؛ ليتولى نصره والدفاع عنه ﷺ.

وكان أبو طالب فقيرًا؛ فكثُرَ ماله لما آوى النبي ﷺ إليه، فكانت بركة النبي ﷺ ملازمةً لكل مَنْ كَفَلَهُ ﷺ.

(فَكَانَ يُدْعَى بِ«الْأَمِينِ») ﷺ ، فكان قومه يلقبونه بالأمين، وكانوا يلقبونه بـ(الصادق) أيضًا ﷺ لما رأوا من أمانته وصدقه.

ولما بلغ اثنتي عشرة سنة، رحل مع عمّه أبي طالب إلى الشام، للتجارة حتى إذا وصلا إلى بصرى - وهي مدينة بالشام غير البصرة التي بالعراق -.

فلما وصلا إلى بصرى، مرا براهب يقال له: بحيرا، بفتح الباء، بحيرا الراهب، وكلمة الراهب: من الرهب الذي هو الخوف، فهو راهب؛ لأنه يرهّب الله ﷻ أي يخاف الله ﷻ ، فهي كلمة تُطلق على عبّاد النصارى الذين كانوا يخلون بأنفسهم ويهجرون الناس، ويعتكفون في الأديرة والكنائس.

فمرّ ببحيرا الراهب، فرأى بحيرا ما دلّه على أن النبي ﷺ هو (نَبِيُّ هَذِي الْأُمَّةِ) وكان النبي ﷺ له ذِكرٌ في كتب أهل الكتاب، وكان أهل الكتاب ينتظرون مبعث النبي ﷺ ، كما جاء في قصة سلمان الفارسي لما مر سلمان على عدد من رهبان أهل الكتاب، وكل واحد منهم يحيله إلى آخر، حتى ذهب إلى آخرهم، فقال: لا أعلم أحداً بقي على ظهر الأرض على مثل ما كنّا عليه، ولكن هذا زمان مبعث النبي الخاتم، مُهاجره يثرب، فاذهب إليها فانتظره هناك.

فكانوا يعلمون أن النبي ﷺ قد اقترب موعد بعثته، وكانوا يتسمعون الأخبار ويتظنون سماع الخبر ببعثة النبي ﷺ .

فلما جاء النبي ﷺ وهو طفل مع عمّه أبي طالب، ورآه بحيرا الراهب فرأى علامات عرف منها أنه هو النبي الخاتم ﷺ فقالوا: إنه رأى غمامة تظله من بين القوم وهو راكب.

ولما نزل النبي ﷺ تحت شجرة، انحنت أغصان الشجرة حتى أظلت النبي ﷺ .

فصنع بحيرا الراهب طعامًا، وأضاف القوم الذين فيهم النبي ﷺ، وقال لعمه أبي طالب: ارجع بابن أخيك واحذر عليه اليهود، أن يروا بعض صفاته فيعرفوا أنه النبي المبعوث من العرب فربما تحيلوا على اغتياله، فإنه كائن له شأن عظيم.

- | | |
|--|--|
| ٧- ثُمَّ مَضَى (لِلشَّامِ) مَعَ مَيْسِرَةَ | فِي مَتَجَرٍّ، وَالْمَالُ مِنْ خَدِيجَةَ |
| ٨- مِنْ قَبْلِ تَزْوِيجِ بِهَا، فَبَلَغَا | بُصْرَى، فَبَاعَ وَتَقَاضَى مَا بَعَى |
| ٩- وَقَدْ رَأَى مَيْسِرَةَ الْعَجَائِبَا | مِنْهُ، وَمَا خُصَّ بِهِ مَوَاهِبَا |
| ١٠- وَحَدَّثَ السَّيِّدَةَ الْجَلِيلَةَ | خَدِيجَةَ الْكُبْرَى، فَأَخَصَّتْ قِيْلَهُ |
| ١١- وَرَغِبَتْ فَخَطَبَتْ مُحَمَّدًا | فَيَا لَهَا مِنْ خِطْبَةٍ مَا أَسْعَدَا |
| ١٢- وَكَانَ إِذْ زَوَّجَهَا ابْنُ خَمْسٍ | مِنْ بَعْدِ عِشْرِينَ بِغَيْرِ لَبْسٍ |

بعد ذلك رجع النبي ﷺ مرة أخرى إلى الشام في التجارة لما بلغ خمسًا وعشرين سنة ﷺ، وهناك رواية ضعيفة، لا تصح أن هناك مرةً بينهما، ذهب فيها النبي ﷺ مع بلال إلى الشام، وأن أبا بكر بعث بلالاً مع النبي ﷺ إلى الشام، وهذه الرواية غير صحيحة؛ لأنه حسب هذه الرواية كان عمر النبي ﷺ اثنتي عشرة سنة، وكان أبو بكر عمره عشر سنوات، ولم يكن بلال مملوكًا لأبي بكر في هذا الوقت، وأبو بكر كان عمره عشر سنوات، ولا يمكن أن يكون بعث بلالاً مع النبي ﷺ إلى الشام بعد أن رجع مع أبي طالب.

فذهب إلى الشام مع ميسرة غلام خديجة، وكان ﷺ يرعى الغنم قبل أن يخرج في التجارة مع خديجة ﷺ فقال له عمه أبو طالب: إن خديجة ترسل من يتجر لها فيصيبون

منافع، فلو جئتها لأسرعت إليك، فبلغ الخبر خديجة فأرسلت إلى النبي ﷺ وقالت: أعطيك ضعف ما أعطي غيرك؛ لأمانتك، وكان يُلقَّب بالأمين ﷺ.

فأجاب النبي ﷺ وخرج مع غلامها ميسرة، وذلك قبل أن يتزوج خديجة ﷺ وأرضاهما.

(فَبَلَّغًا بُصْرَى) وصل النبي ﷺ أيضًا إلى مدينة بصرى في الشام، وهذه ثالث مرة يأتي ذكر هذه المدينة، (فَبَاعَ وَتَقَاَصَى مَا بَغَى) أي باع البضائع التي حملها معه من مكة، واشترى بضائع من الشام؛ ليجلبها إلى مكة لبيعها فيها ﷺ، وورد أنه في هذه الرحلة أن النبي ﷺ مرَّ برأهب يقال له: نسطورا الرأهب، رأهب آخر أيضًا من رهبان النصارى في الشام، لمح على النبي ﷺ أمارات وعلامات تدل على نبوته.

فسأل ميسرة: مَنْ هذا؟ قال: رجل من قريش، فقال لميسرة-وكان النبي ﷺ جلس تحت شجرة بجوار الدير الذي فيه نسطورا هذا- فقال له: ما نزل تحت هذه الشجرة إلا نبي، فكانت هذه من ضمن الأمور العجيبة التي رآها ميسرة في هذه الرحلة.

ورأى ميسرة أمورًا أخرى عجيبة حدث بها خديجة ﷺ لما رجع، منها: أن النبي ﷺ اختلف مع رجل في بيع سلعة، فاستحلف الرجل النبي ﷺ وقال له: أتحلف باللات والعزى أنك اشتريتها بكذا؟ فقال النبي ﷺ: ما حلفت بهما قط ولا أفعل، فصدقه الرجل، وقال: أنت صادق فيما تقول.

وربح النبي ﷺ في هذه التجارة ضعف ما كان يربح غيره من التجار، فرأت خديجة ﷺ بركة في اتجار النبي ﷺ لها.

فلما حدثها ميسرة بما رأى من العجائب، والأمانة، والصدق، وأشياء في رحلته مع الرسول ﷺ (فَأَحْصَتْ قِيْلَهُ) أي حفظت ما قاله ميسرة، ووعت ما قاله (فَخَطَبَتْ

مُحَمَّدًا ﷺ، أي أرسلت خديجة امرأة إلى النبي ﷺ تعرض عليه الزواج بخديجة ﷺ، وقالت للنبي ﷺ: أرايت لو أن خديجة رغبت بالزواج بك، أتزوجها؟ فسّر النبي ﷺ بذلك، لما عرفت به خديجة ﷺ أيضًا من السيرة الحسنة، فتزوجها النبي ﷺ، وكان عمر النبي ﷺ خمسًا وعشرين سنة، وكان عمر خديجة ﷺ أربعين سنة ﷺ، وكانت قد تزوجت قبل النبي ﷺ رجلين، وكان لها ابنان من زوجها السابقين، أحد زوجها السابقين هو أبو هالة، وابنه اسمه هند بن أبي هالة، وهند هنا اسم لرجل، وهو ربيب النبي ﷺ، وهو الذي سيأتينا وُصفه لرسول الله ﷺ.

قصة بناء الكعبة

١- **وَإِذْ بَنَتْ قُرَيْشُ الْبَيْتَ: اختلفَ** **مُلَاؤُهُمْ تَنَازُعًا، حَتَّى وَقَفَ**

مُلَاؤُهُمْ أو مِلَاؤُهُمْ: أي: ملؤهم، كبرأؤهم وأشرفهم.

تنازعًا: يعني حصل بينهم تنازع بين ملئهم أي: بين كبرائهم، وأشرفهم وهم يبنون البيت.

وذلك أن الكعبة المشرفة أصابها سيل قبل بعثة النبي ﷺ، فاجتمعت قريش لبناء الكعبة، وكما ذكرنا، كان عندهم بقايا من شريعة إبراهيم ﷺ فكان مما قالوا: لا يدخل في بناء البيت - الكعبة - مال حرام، فقالوا: نجمع من أموالنا من المال الحلال، لا يدخل فيها درهم ربًا، ولا مهر بغي، ولا حلوان كاهن. يعني أي مال اكتسب من الربا، أو حلوان كاهن (شخص تكهن وأخذ أجره على الكهانة)، ومهر البغي (يعني امرأة زنت وأخذت أجره) هذه الأموال لا توضع في بناء الكعبة، وأخذوا يجمعون من المال الحلال، فكانوا يعرفون أن هذه الأموال محرمة.

فقصرت بهم النفقة، يعني لم تكن عندهم نفقة كافية لبنائها على نفس الطريقة التي كانت عليها قبل الانهدام؛ فلهذا قَصَّروا.. أي: ما استطاعوا إدخال الحجر في بناء الكعبة وقللوا من ارتفاعها، ولم يُدخلوا فيها الحجر: الجزء المقوس هذا لم يستطيعوا إدخاله فاكثفوا بتحديدده، مع أن الحجر هذا كان داخلًا في بناء الكعبة الذي بناه إبراهيم ﷺ، وكان ارتفاعها أكثر مما كانت عليه فالمهم أنهم جمعوا أموالًا وبدؤوا يبنون الكعبة، فلما انتهوا من البناء ووصلوا إلى موضع وضع الحجر الأسود، اختلفوا فيمن يضع الحجر الأسود، فكل قبيلة قالت: نحن الأحق بوضع الحجر الأسود في مكانه، وكادوا يقتتلون فيما بينهم، بسبب تنازعهم على وضع الحجر الأسود في مكانه.

٢- أَمْرُهُمْ فِيمَنْ يَكُونُ يَضَعُ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ حَيْثُ يُوضَعُ؟

فاتفقوا فيما بينهم على أن يُحَكِّمُوا أولَ داخل إلى البيت، قالوا: أولَ داخل يدخل إلى البيت نُحَكِّمُهُ في أمرنا، فكان أولَ مَنْ دخل عليهم البيت نبينا محمد ﷺ.

٣- إِذْ جَاءَ قَالُوا كُلُّهُمْ: «رَضِينَا لَوْضَعِهِ مُحَمَّدَ الْأَمِينَا»

فلما دخل محمد ﷺ فكلمهم استبشروا بهذا؛ لعلمهم بأمانته ﷺ، وأنه يحكم بالعدل، كلمهم استبشروا، وقالوا: رَضِينَا بِمُحَمَّدِ الْأَمِينِ ﷺ يحكم في المسألة، ولو أراد أن يضعه هو وضعه.

٣- فَحُطَّ فِي ثَوْبٍ وَقَالَ: «يَرْفَعُ كُلُّ قَبِيلٍ طَرَفًا»، فَرَفَعُوا

(فَحُطَّ فِي ثَوْبٍ) فأشار عليهم النبي ﷺ أن يضعوا الحجر الأسود في ثوب، أي: يأتون بثوب ويُمسِكُ كل رئيس قبيلة بطرف من أطراف الثوب، ووضع النبي ﷺ الحجر في الثوب فاشتركوا كلهم في حمله حتى قَرَّبُوهُ مِنْ مَوْضِعِهِ ووضع النبي ﷺ بيده الشريفة في مكانه.

(كُلُّ قَبِيلٍ) يعني كل قبيلة ترفع طرفًا.

٥- ثُمَّتْ أَوْدَعَ الْأَمِينُ الْحَجَرَ مَكَانَهُ، وَقَدْ رَضُوا بِمَا جَرَى

(ثُمَّتْ) يعني ثم.

وقالوا: كانت هذه الحادثة لما بلغ عمر النبي ﷺ خمسة وثلاثين سنةً.

والكعبة المشرفة بُنيت وانهدمت وتكرر هذا مرات في التاريخ:

فأول بناء للكعبة: قيل بَنَتْهُ الملائكة لآدم ﷺ.

وقيل: أوّل بناء: بناء شيث بن آدم، لكن الأول أصح: (إن الملائكة بَنَتِ الكعبة لآدم ﷺ)، وربما شيث بن آدم - وهو نبي أيضًا ﷺ - ربما هو جدّد بناء الكعبة.

وبعد ذلك بناها إبراهيم ﷺ، وإبراهيم ﷺ وجد قواعد البيت، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾ [البقرة: ١٢٧] فوجد قواعد البيت موجودة، وأكمل البناء ورفعها.

ثم انهدم بالسيل في هذه المرة التي بَنَتْها فيها قريش، فلما بَنَتِ الكعبة - هذه المرة التي شارك فيها النبي ﷺ ووضع الحجر أخرجوا منها الحجر وقصّروا من ارتفاعها، ورفعوا بابها، فالكعبة كان لها بابان (باب يدخل منه الناس، وباب يخرجون)، فأغلقوا أحد البابين، وجعلوا لها بابًا واحدًا، ورفعوه حتى لا يُصعد إليه إلا بدرج أو سلم؛ لتكون حكرًا على كبرائهم. فبنوها بهذه الطريقة.

النبي ﷺ قال: «يَا عَائِشَةُ، لَوْلَا أَنَّ قَوْمَكَ حَدِيثُ عَهْدٍ بِشْرِكٍ، لَهَدَمْتُ الْكَعْبَةَ، فَأَلْزَقْتُهَا بِالْأَرْضِ، وَجَعَلْتُ لَهَا بَابَيْنِ: بَابًا شَرْقِيًّا، وَبَابًا غَرْبِيًّا، وَزِدْتُ فِيهَا سِتَّةَ أَذْرُعٍ مِنَ الْحِجْرِ، فَإِنَّ قُرَيْشًا اقْتَصَرَتْهَا حَيْثُ بَنَتِ الْكَعْبَةَ»^[١] فالنبي ﷺ كان يريد أن يعيد بناء الكعبة كما كانت على عهد إبراهيم ﷺ. قال: ولكن قومك قصّرت بهم النفقة فما بنوها كما كانت على عهد إبراهيم.

لكن النبي ﷺ ترك إعادة بناء الكعبة على وضعها الصحيح منعاً للفتنة، وهذا الحديث فيه مراعاة المصالح، والمفاسد، والموازنة بينها، وأن الإنسان قد يترك شيئاً من الخير إذا كان يترتب عليه مفسدة أكبر، لإعادة بناء الكعبة على البناء الصحيح هذه مصلحة ولكن فيها مفسدة وهي التي بينها ﷺ قال: «لولا أن قومك حديث عهد بجاهلية» فلو هدم النبي ﷺ الكعبة لقالوا: هدم الكعبة، وهم يُعظمونها، وربما حصلت فتنة بين الناس، فتركها النبي ﷺ على حالها.

ولما وقعت المعركة بين عبد الله بن الزبير ﷺ وبني أمية، كان الحجاج بن يوسف الثقفي قائد الجيش من قبَل بني أمية، ونصب المنجنيق على جبل أبي قُبَيْس - الجبل المشرف على الكعبة - وهدم الكعبة، وكان ابن الزبير قد هدمها قبل ذلك، وأعاد بناءها على بناء إبراهيم واستدل بالحديث النبوي، وأن النبي ﷺ كان راغباً في ذلك.

فلما حصلت الحرب هدمها الحجاج بن يوسف وأعاد بناءها كما كانت في عهد النبي ﷺ.

فاستمرت كذلك في عهد بني أمية، فلما جاء العباسيون، وتولى هارون الرشيد استشار الإمام مالكا ﷺ في أن يهدم الكعبة، ويعيدها على بناء ابن الزبير، فقال الإمام مالك ﷺ: ناشدتك الله يا أمير المؤمنين، أن لا تجعل هذا البيت لعبة للملوك، لا يشاء أحد إلا نقضه وبناءه، فتذهب هيئته من صدور الناس.

فُتُرِكَت على هذا الوضع إلى وقتنا هذا.

طبعاً حصلت سيول، فانهدمت منها أشياء وتجدد بناؤها، لكن ظلت على البناء الذي كانت عليه في زمن النبي ﷺ.

باب كيف كان بدء الوحي؟

- ١- حَتَّى إِذَا مَا بَلَغَ الرَّسُولُ
- ٢- وَهُوَ بِغَارٍ بِحَرَاءٍ مُخْتَلِي
- ٣- فِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ، وَكَانَ قَدْ خَلَتْ
- ٤- وَقِيلَ: «فِي سَابِعِ عَشْرِي رَجَبٍ»
- ٥- قَالَ لَهُ: «اقْرَأْ»، وَهُوَ فِي الْمِرَارِ
- ٦- فَغَطَّاهُ ثَلَاثَةٌ حَتَّى بَلَغَ
- ٧- أَقْرَاهُ جِبْرِيلُ أَوَّلَ «الْعَلَقِ»
- الْأَرْبَعِينَ: جَاءَهُ جِبْرِيلُ
- فَجَاءَهُ بِالْوَحْيِ مِنْ عِنْدِ الْعَلِيِّ
- مِنْ شَهْرِ مَوْلِدِ ثَمَانٍ إِنْ ثَبَتَ
- وَقِيلَ: «بَلْ فِي رَمَضَانَ الطَّيِّبِ»
- يُحِبُّ نَطْقًا: «مَا أَنَا بِقَارِي»
- الْجُهْدَ، فَاشْتَدَّ لِذَاكَ وَانْصَبَغَ
- قَرَاهُ كَمَا لَهُ بِهِ نَطْقُ

هنا يتكلم عن بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، وكان أول ما بُدئ به النبي ﷺ من الوحي: الرؤيا الصالحة، كما في الصحيحين من حديث عائشة أم المؤمنين أَنَّهَا قَالَتْ: «أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّنُ فِيهِ - وَهُوَ التَّعَبُّدُ - اللَّيَالِي ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارٍ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: «مَا أَنَا بِقَارِي»، قَالَ: «فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِي، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِي، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ» فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْجِفُ فُؤَادُهُ،

فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ - ﷺ - فَقَالَ: «رَمَلُونِي رَمَلُونِي» فَرَمَلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِحَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي» فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، فَاَنْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلٍ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ وَكَانَ أَمْرًا تَنْصَرَفُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَدَعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوْ مُخْرِجِي هُمْ»، قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِي، وَإِنْ يُدْرِكُنِي يَوْمُكَ أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا. ثُمَّ لَمْ يَنْسَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوفِّيَ، وَفَتَرَ الْوَحْيَ» [١]

فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، قالوا: هذه الفترة كانت ستة أشهر قبل مجيء الوحي إليه ﷺ.

وقبل فترة الرؤيا الصالحة كانت فترة يسمع فيها تسليم الحجر والشجر، يمر في الطريق ﷺ فيسمع صوتًا يُسَلِّمُ عليه، ولا يرى أحدًا، وهو تسليم الشجر والحجر على النبي ﷺ، وهو ما في الطريق فيسمع الشجر والحجر يُسَلِّمُ عليه - ﷺ -.

بعد ذلك جاءت فترة الرؤيا الصالحة، فتتابع عليه الرؤى ﷺ فلا يرى رؤية إلا جاءت مثل فلق الصبح، يعني تتحقق تمامًا مثلما رآها ﷺ.

ثم بعد ذلك جاءه الوحي، وكان قد حُبِّبَ إليه الخلاء ﷺ، حُبِّبَ إليه أن يختلي

بنفسه في غار حراء، في مكان ينأى فيه النبي ﷺ بنفسه، فكانت أم المؤمنين خديجة ﷺ تزوده بالطعام والشراب، فيعتكف في الغار الليالي ذوات العدد، يتعبد لله ﷻ كان يعبد الله على ملة إبراهيم ﷺ فكان يعبد الله ﷻ ويخلو بنفسه في غار حراء الليالي ذوات العدد حتى ينفد ما معه من الزاد فيرجع إلى خديجة فتزوده لمثلها فيذهب إلى الغار ﷻ.

وعندما بلغ الرسول ﷺ الأربعين سنة (جاءه جبريل) ﷻ (وهو بغارٍ بحراءٍ مُختلي) في غار في جبل حراء.

(فَجَاءَهُ بِالْوَحْيِ مِنْ عِنْدِ الْعَلِيِّ) من عند الله ﷻ.

(فِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ) كان الوحي إلى النبي ﷺ في يوم الاثنين، النبي ﷺ وُلِدَ يوم الاثنين، وأُوحِيَ إليه يوم الاثنين، وهاجر يوم الاثنين، وتوفي يوم الاثنين ﷻ.

(وَكَانَ قَدْ حَلَّتْ) يعني: يقول إن مجيء الوحي إلى النبي ﷺ كان في اليوم الثامن من شهر ربيع الأول.

(وَقِيلَ: «فِي سَابِعِ عَشْرِ رَجَبٍ») وقيل في السابع والعشرين من رجب.

(وَقِيلَ: «بَلْ فِي رَمَضَانَ الطَّيِّبِ») وقيل: بل أول ما جاءه الوحي في رمضان الطيب.

وأصح هذه الأقوال أنه في شهر رمضان، وذلك لقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۚ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۚ﴾ [القدر: ١-٢].

وقال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، فالقرآن أنزل في ليلة القدر، وليلة القدر في رمضان.

لكن الفريق الذي يقول: إن الوحي كان في شهر ربيع أو شهر رجب، يقولون:

المقصود بنزول القرآن في رمضان: نزول القرآن جملةً؛ لأن القرآن أنزل تنزيلاً: التنزيل الأول: هو تنزيل القرآن جملةً مكتوباً من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا.

والتنزيل الثاني: هو نزوله مُفَرَّقًا على النبي ﷺ في ثلاث وعشرين سنة. والصواب: أن نزول القرآن جملةً إلى السماء الدنيا، هذا كان في ليلة القدر من رمضان، ونزوله مُفَرَّقًا على النبي ﷺ كانت بدايته أيضًا في رمضان. الذين قالوا: إن القرآن نزل في ربيع الأول، قالوا: يمكن التوفيق؛ لأن الرؤيا الصالحة التي كانت مبدأ الوحي استمرت ستة أشهر، وشهر رمضان هو الشهر التاسع في السنة الهجرية، وربيع الأول هو الشهر الثالث في السنة الهجرية، فقالوا: لعل الأحاديث التي فيها أن بدء الوحي كان في ربيع الأول، يقصد بالوحي فيها: البدء بالرؤيا الصالحة، أي: أن الرؤيا استمرت ستة أشهر، ثم نزول سورة ﴿أَقْرَأْ﴾ كان في رمضان، يعني بعد ستة أشهر من الرؤيا، فإذا ضُمَّتْ إلى مدة الوحي فسيظهر لنا أن بداية الوحي في ربيع، لكن بداية نزول سورة «اقرأ» الصواب: أنها كانت في شهر رمضان.

قال: فجاءه الوحي، والمقصود هنا: مجيء جبريل ﷺ إلى النبي ﷺ.

(قَالَ لَهُ: «أَقْرَأْ») وتكرر هذا ثلاث مرار.

(وَهُوَ فِي الْمَرَارِ) يعني وهو في المرات الثلاث.

(يُجِيبُ نَطْقًا: «مَا أَنَا بِقَارِيٍّ») يعني جاء جبريل إلى النبي ﷺ، وغطّه: يعني ضمّه إليه.

٦- فَغَطَّهُ ثَلَاثَةً حَتَّى بَلَغَ الْجُهْدَ، فَاشْتَدَّ لِذَاكَ وَانْصَبَغَ (فَاشْتَدَّ): يعني قوي وصلب جسمه.

(وَانْصَبَغَ): يعني اكتسب جلدًا وقوة ﷻ لما ضمَّه الملك إليه، فالملك ضمَّ النبي ﷺ حتى بلغ منه الجهد ثم أرسله (قَالَ لَهُ: «اقْرَأْ») قال: («مَا أَنَا بِقَارِيٍّ»), فضمَّه المرة الثانية وأرسله، وقال له: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، ثلاث مرات، كل مرة النبي ﷺ يقول: ما أنا بقارئ، فيضمه الملك إليه ثم يرسله، ويقول له: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، فقال له: اقرأ. بعد المرة الثالثة قال له: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [العلق: ١-٥].

٧- اقْرَأْهُ جِبْرِيلُ أَوَّلَ «الْعَلَقِ» قَرَأَهُ كَمَا لَهُ بِهِ نَطْقُ

أي: فقرأه النبي ﷺ كما سمعه من جبريل ﷺ وجبريل ﷺ سمعه من رب العالمين ﷻ.

٨- وَكَوْنُ ذَا الْأَوَّلِ فَهُوَ الْأَشْهُرُ وَقِيلَ: «بَلْ يَا أَيُّهَا الْمَدَّثِرُ»

٩- وَقِيلَ: «بَلْ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ» وَالْأَوَّلُ: الْأَقْرَبُ لِلصَّوَابِ

يعني كون أول ما أنزل من القرآن هو سورة العلق، أو أوائل سورة العلق، فهذا هو القول الأشهر الصحيح.

ثم يشير المؤلف إلى الآراء الأخرى، فطريقته أنه يذكر القول الصحيح، ويشير إلى

الأقوال الأخرى، فقال: هناك أقوال أخرى منها: أن أول ما أنزل على النبي ﷺ (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) وهذا قول جابر بن عبد الله الصحابي ﷺ وجماعة من العلماء، قالوا: أول سورة أنزلت على النبي ﷺ: (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ).

ولعلمهم يقصدون بذلك أول ما أنزل بعد فترة الوحي، فقد انقطع الوحي فترة بين العلق والمدثر. أو أنه أول ما أرسل به، قالوا: نُبئ بالعلق وأُرسل بالمدثر، فلعلمهم يقصدون أول ما أنزل، يعني أولية مُقَيِّدة، إما أولية بعد الفترة أو أولية الرسالة، فأول ما أنزل يأمره بالتبليغ هي سورة المدثر؛ لأن سورة العلق ليس فيها أمر بالتبليغ، فهذا على القول بأن النبي هو مَنْ أُوحي إليه بوحى ولم يُؤمر بالبلاغ، فقالوا: النبي ﷺ نُبئ بسورة العلق، يعني أُوحي إليه لكن لم يؤمر بالبلاغ.

ثم بالمدثر: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنْذِرْ ۝٢﴾ [المدثر: ١-٢].

هنا أمر بالتبليغ فيكون أول ما أنزل فيه أمر بالتبليغ.

(وَقِيلَ: «بَلْ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ») قيل: إن أول ما أنزل على النبي ﷺ فاتحة الكتاب، وهذا رأي آخر، ولكنه لا يصح.

(وَكُونْ ذَا الْأَوَّلِ فَهُوَ الْأَشْهُرُ) هذا القول الأشهر والأصح، والذي عليه أكثر العلماء.

قال: (وَالْأَوَّلُ: الْأَقْرَبُ لِلصَّوَابِ) كما نبّه المؤلف، القول الأول: أن أول ما أنزل من القرآن هو العلق، هذا هو الأقرب للصواب.

يَشْكُورُهَا: مَا قَدْ رَأَاهُ حِينَهُ

أَوَّلُ مَا قَدْ آمَنْتَ مُصَدِّقَهُ

١٠- جَاءَ إِلَى (خَدِجَةَ) الْأَمِينَةَ

١١- فَتَبَّتْهُ؛ إِنَّهَا مُوقَّعَةٌ

يقول: إن النبي ﷺ جاء إلى خديجة أم المؤمنين ﷺ، وكانت صاحبة سره، يأتونها ﷺ، ويشكو إليها ما يجد ﷺ.

فجاء إليها النبي ﷺ فشكا إليها ما رأى من نزول الملك عليه، وأن الملك غطّه غطًّا شديدًا، وجاء النبي ﷺ يرجف فؤاده ﷺ فقد أصابه فزع ﷺ من هول ما رأى.

فجاء إلى خديجة (يَشْكُو لَهَا: مَا قَدْ رَأَاهُ حِينَهُ) يعني فور نزول الوحي عليه ذهب مسرعًا إلى خديجة ﷺ.

(فَثَبَّتَتْهُ؛ إِنَّهَا مُوَفَّقَةٌ) فكانت موفقة ﷺ، فثبتت النبي ﷺ، قالت له: والله لا يخزيك الله أبدًا؛ إنك لتصل الرحم، وتحمل الكلّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، وتصدق الحديث وتؤدي الأمانة.

المعدوم: الذي ليس له مصدر للرزق، كان النبي ﷺ يكسبه يعني يعطيه. ويحمل الكلّ: الكلّ أي العاجز، يحمله النبي ﷺ.

قالوا: هذا يشمل الحمل الحسي بمعنى العاجز عن ركوب الدابة مثلاً يحمله فيركبه عليها، أو الحمل المعنوي بمعنى يتحمل النبي ﷺ ما على العاجز من الأعباء فيساعده فيها.

وتحمل الكلّ، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق؛ يعني إذا رأى إنسانًا مبتلى، أو نزلت به ضائقة في دنياه أعانه ﷺ وتصدق الحديث، وتؤدي الأمانة... فهذه صفات النبي ﷺ.

فثبتت النبي ﷺ، قالت: مَنْ كان على مثل صفاتك لا يمكن أن يخزيه الله ﷻ أبدًا. (أَوَّلُ مَا قَدْ آمَنْتُ مُصَدِّقَةً) فكانت أم المؤمنين خديجة ﷺ أول مَنْ صدّق النبي ﷺ، وأوّل مَنْ آمَنَ به على الإطلاق.

- ١٢- ثُمَّ أَتَتْ بِهِ تَوْمٌ «وَرَقَةً» قَصَّ عَلَيْهِ مَا رَأَى، فَصَدَّقَهُ
 ١٣- فَهُوَ الَّذِي آمَنَ بَعْدُ ثَانِيًا وَكَانَ بَرًّا صَادِقًا مُوَاتِيًا
 ١٤- وَالصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ قَالَ: «إِنَّهُ رَأَى لَهُ تَخْضُضًا فِي الْجَنَّةِ»

مواتياً: يعني موافقاً.

(تَخْضُضًا) يعني حركة، يعني رآه النبي ﷺ يتحرك في الجنة.

وورقة بن نوفل هو ابن عم خديجة ﷺ وأرضاها، وكان امرأً قد تنصّر، وكان يكتب الكتاب العبراني كما في صحيح البخاري، وفي الرواية الأخرى: كان يكتب الكتاب العربي، فكان يكتب بالعربية والعبرانية في نفس الوقت، يُحَسِّن اللغتين وينقل الإنجيل من العبرانية إلى العبرية.

وكان ورقة بن نوفل ﷺ واحداً من الحنفاء الذين كانوا يعبدون الله وحده في مكة على ملة إبراهيم ﷺ هو وزيد بن عمرو بن نفيل وآخرون، فقد رحل هو وزيد إلى الشام للبحث عن الدين الحق، -والشام كان فيها كبار علماء النصارى- فذهبوا إلى الشام يستمعون إلى علماء النصارى، وإلى ما عندهم من الكتب.

فأما زيد بن عمرو فبقي على ملة إبراهيم - ﷺ - وأما ورقة بن نوفل فتنصّر، كان على شريعة إبراهيم ﷺ، فانتقل إلى شريعة عيسى ﷺ.

وقال العلماء: إنه قبل بعثة محمد ﷺ كان كل مَنْ وَحَّدَ الله ﷻ ويتعبد لله ﷻ على شريعة أي نبي من الأنبياء السابقين بحسب ما بلغه فهو ناجٍ، لذلك فمثل زيد بن عمرو بن نوفل قد أخبر النبي ﷺ أنه من أهل الجنة، وهو قد مات قبل بعثة النبي ﷺ، لكنه كان موحداً، وقال النبي ﷺ: «وَأَنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، فَمَقَّتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ، إِلَّا

بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ» [١] «إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَمَقْتَهُمْ» وَالْمَقْتُ: أَشَدُّ الْبُغْضِ، وَالْمُرَادُ بِهَذَا الْمَقْتُ وَالنَّظَرُ: مَا قَبْلَ بَعَثَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالْمُرَادُ بِبَقَايَا أَهْلِ الْكِتَابِ: الْبَاقُونَ عَلَى التَّمَسُّكِ بِدِينِهِمُ الْحَقِّ مِنْ غَيْرِ تَبْدِيلٍ. فَكَانَ هُنَاكَ بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ يُوَحِّدُونَ اللَّهَ ﷻ وَلَا يَشْرِكُونَ بِهِ شَيْئًا، فَهَؤُلَاءِ لَمْ يَمَقْتَهُمُ اللَّهُ ﷻ بَلْ هُمْ مِنَ النَّاجِينَ.

وَهَذَا قَبْلَ بَعَثَةِ النَّبِيِّ ﷺ، أَمَا بَعْدَ بَعَثَتِهِ فَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ ﷻ مِنْ أَحَدٍ دِينًا غَيْرَ دِينِ الْإِسْلَامِ، وَلَا شَرِيعَةً غَيْرَ شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

الْمَهْمُ أَنْ وَرَقَةً تَنْصُرَ، وَتَعْلَمَ الْإِنْجِيلَ فِي الشَّامِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ، وَيَنْقُلُهُ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ.

فَذَهَبَتْ خَدِيجَةٌ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى ابْنِ عَمِّهَا وَرَقَةً وَقَالَتْ: يَا ابْنَ عَمِّي، اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَضَّ عَلَيْهِ مَا رَأَاهُ، فَصَدَقَهُ وَرَقَةً بَنُ نُوْفَلٍ، وَقَالَ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى، وَهَذِهِ الْقِصَّةُ فِي الصَّحِيحِينَ كَمَا مَرَّ.

قَالَ وَرَقَةً: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى. قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: «وَالنَّامُوسُ: صَاحِبُ السَّرِّ كَمَا جَزَمَ بِهِ الْمُؤَلِّفُ فِي أَحَادِيثِ الْأَنْبِيَاءِ. وَزَعَمَ ابْنُ ظَفَرٍ: أَنَّ النَّامُوسَ: صَاحِبُ سِرِّ الْخَيْرِ، وَالْبَاسُوسَ: صَاحِبُ سِرِّ الشَّرِّ. وَالْأَوَّلُ الصَّحِيحُ، الَّذِي عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ. وَقَدْ سَوَّى بَيْنَهُمَا رُوْبَةُ بْنُ الْعَبَّاجِ أَحَدُ فَصَحَاءِ الْعَرَبِ. وَالْمُرَادُ بِالنَّامُوسِ هُنَا: جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ» [٢] فَقَالَ: إِنَّهُ النَّامُوسُ الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، يَعْنِي لَيْتَنِي كُنْتُ شَابًّا قَوِيًّا؛ لِأَنَّ وَرَقَةً كَانَ شَيْخًا قَدِ هَرِمَ، فَقَالَ: لَيْتَنِي كُنْتُ فِيهَا جَذَعًا.

[١] جزء من حديث رواه مسلم في صحيحه ٢٨٦٥.

[٢] فتح الباري ١/٢٦.

قال ورقة للنبي ﷺ: ليتني أكون حيًّا إذ يخرجني قومك. قال: أومخرجي هم؟! قال: نعم، لم يأت رجل بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك، أنصرك نصرًا مؤزرًا.

أي: لو جاء اليوم الذي يعاديك فيه قومك، وأنا على قيد الحياة سأنصرك نصرًا مؤزرًا.

فكان هذا خبر ورقة، وتقول أم المؤمنين عائشة ﷺ: ثم لم يلبث ورقة أن توفي، ﷺ. قال: (فَهُوَ الَّذِي آمَنَ بَعْدُ ثَانِيًا) يقول: ثاني مَنْ أسلم بعد خديجة ﷺ هو ورقة بن نوفل ﷺ.

ولذلك فإن القول الصحيح، الصواب الذي عليه أكثر علماء أهل السنة: عدّ ورقة ﷺ من الصحابة، والترضي عنه ﷺ وأنه آمن لورود أحاديث تدل على ذلك، فمنها: أن النبي ﷺ: (رَأَى لَهُ تَخَضُّضًا فِي الْجَنَّةِ) أو رآه يتخضض في الجنة يعني يتحرك فيها ﷺ.

وأخبر النبي ﷺ أنه رأى لورقة في الجنة درجتين، ورآه ﷺ وعليه لباس أخضر.

فرويته يتحرك في الجنة قيل: هذا كان يوم الإسراء، والرؤى التي بعد ذلك رؤى منامية، رآها النبي ﷺ له، ورؤى الأنبياء حق، فرأى لورقة درجتين في الجنة، ورآه في الجنة وعليه لباس أخضر، واللباس الأخضر: لباس أهل الجنة.

فهذه كلها علامات على أنه من أهل الجنة، وآمن بالنبي ﷺ لأنه قال: ليتني كنت جذعًا حين يُخرجك قومك فأنصرك نصرًا مؤزرًا، وهذا إيمان به ﷺ.

فلذلك نرى الحافظ العراقي هنا يعدّه ثاني مَنْ أسلم من الصحابة بعد خديجة ﷺ.

باب ذكر قدر إقامته ﷺ بمكة بعد البعثة

- ١- أَقَامَ فِي مَكَّةَ بَعْدَ الْبُعْثَةِ: ثَلَاثَ عَشْرَةَ بِغَيْرِ مَرَّةٍ
- ٢- وَقِيلَ: «عَشْرًا» أَوْ «خَمْسَ عَشْرَةَ» قَوْلَانِ وَهَنُوهُمَا بِمَرَّةٍ

يقول: إن النبي ﷺ أقام بعد البعثة في مكة ثلاث عشرة سنة.

(بِغَيْرِ مَرَّةٍ) يعني بغير شك.

فهذا هو القول الصحيح، ودائمًا يذكر القول الراجح ويشير إلى الأقوال الأخرى المرجوحة.

قال: (وَقِيلَ: «عَشْرًا») يعني في رأي مرجوح أنه أقام في مكة عشر سنين بعد البعثة.
وقيل: («خَمْسَ عَشْرَةَ»)..

والأقوال في المدة التي أقامها ﷺ بمكة بعد البعثة - أجابوا عن سبب الاختلاف فيها فقالوا: إما أنه على سبيل التقريب؛ لأن ثلاث عشرة يمكن أن تُقَرَّبَ إلى عشر أو تُقَرَّبَ إلى خمس عشرة، يعني الذين قالوا: أقام بمكة عشرًا يقصدون على سبيل التقريب، أو خمس عشرة سنة يعني على سبيل التقريب، وليس على سبيل التحديد، لكن الذين ذكروا ثلاث عشرة سنة فهؤلاء يقصدونها تحديدًا.

وهناك رأي آخر، يقول: إنه يُحْتَمَلُ أن الذين قالوا: إنه ﷺ أقام خمس عشرة سنة حسبوا معها الفترة التي كان يسمع فيها تسليم الحجر والشجر، ويسمع الصوت، وفترة الرؤية الصالحة، فحسبوا هذه من ضمن مدة الوحي فجعلوها خمس عشرة سنة.

والذين قالوا: عشر سنين، قالوا: يُحْتَمَلُ أيضًا أنهم قصدوا المدة التي كان النبي ﷺ

يجهر فيها بالدعوة، ولم يحسبوا مدة الإسرار بالدعوة؛ لأنه كان يدعو سرًّا ثلاث سنوات.
فإما أن هذا هو القصد، أو القصد: التقريب.
لكن الصواب: أنه مكث في مكة ثلاث عشرة سنة بعد البعثة ﷺ.

٣- فَكَانَ فِي صَلَاتِهِ يَسْتَقْبِلُ بِمَكَّةَ: الْقُدْسَ، وَلَكِنْ يَجْعَلُ:

٤- الْبَيْتَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ أَيْضًا فِيمَا أَتَى تَطَوُّعًا أَوْ فَرَضًا

إن النبي ﷺ وهو في مكة كان يستقبل بيت المقدس - وهي قبة الأنبياء السابقين - صلوات الله وسلامه عليهم - وهي قبة المسلمين الأولى؛ فقد كانت قبة الأنبياء السابقين، وكانت قبة النبي - نبينا محمد ﷺ - قبل أن تُحوَّل القبة إلى الكعبة.

فقليل: فترة بقاءه في مكة ﷺ ثلاث عشرة سنة كان يصلي مُستقبلًا صخرة بيت المقدس، لكنه ﷺ كان يجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس، يعني: القدس شمال مكة فكان النبي ﷺ يقف في الجهة الجنوبية من الكعبة، ويجعل وجهه في اتجاه الشمال، بحيث تصبح الكعبة أمامه ووجهه في اتجاه الشمال، فيكون في نفس الوقت مُتَوَجِّهًا إلى القدس، ومتوجهًا إلى الكعبة. قال: (فِيمَا أَتَى تَطَوُّعًا أَوْ فَرَضًا)

فكان يقف خلف الكعبة بحيث يصلي فتكون الكعبة بينه وبين بيت المقدس، في جميع صلواته نفلًا وفرضًا.

٥- وَبَعْدَ هِجْرَةٍ: كَذَا لِلْقُدْسِ

٦- وَحَوَّلَتْ مِنْ بَعْدِ ذَاكَ الْقِبْلَةَ: لِكَعْبَةِ اللَّهِ، وَنِعْمَ الْجِهَةُ

يقول: كذلك بعد أن هاجر النبي ﷺ إلى المدينة ظل يستقبل بيت المقدس (عَامًا وَثُلَاثًا) يعني سنة وأربعة أشهر.

قال: (أَوْ وَنِصْفَ سُدُسٍ) يعني ستة عشر شهرًا أو سبعة عشر شهرًا؛ لأنه في صحيح البخاري أن النبي ﷺ بعد أن هاجر إلى المدينة صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهرًا أو سبعة عشر شهرًا.

فَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ أَوَّلَ مَا قَدِمَ الْمَدِينَةَ نَزَلَ عَلَى أَجْدَادِهِ، أَوْ قَالَ أَسْوَلِهِ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَأَنَّهُ «صَلَّى قَبْلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا، أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وَكَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ قَبْلَ الْبَيْتِ، وَأَنَّهُ صَلَّى أَوَّلَ صَلَاةٍ صَلَّاهَا صَلَاةُ الْعَصْرِ، وَصَلَّى مَعَهُ قَوْمٌ» فَخَرَجَ رَجُلٌ مِمَّنْ صَلَّى مَعَهُ، فَمَرَّ عَلَى أَهْلِ مَسْجِدٍ وَهُمْ رَاكِعُونَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ بِاللَّهِ لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ مَكَّةَ، فَدَارُوا كَمَا هُمْ قَبْلَ الْبَيْتِ، وَكَانَتِ الْيَهُودُ قَدْ أَعْجَبَهُمْ؛ إِذْ كَانَ يُصَلِّي قَبْلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَأَهْلُ الْكِتَابِ، فَلَمَّا وَلَّى وَجْهَهُ قَبْلَ الْبَيْتِ، أَنْكَرُوا ذَلِكَ. قَالَ زُهَيْرٌ: حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ، عَنِ الْبَرَاءِ فِي حَدِيثِهِ هَذَا: أَنَّهُ مَاتَ عَلَى الْقِبْلَةِ قَبْلَ أَنْ تَحُولَ رِجَالٌ وَقُتِلُوا، فَلَمْ نَدْرِ مَا نَقُولُ فِيهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣] [١]

فلو قلنا: ستة عشر شهرًا كما قال: (عَامًا وَثُلَاثًا) لأن العام اثنا عشر شهرًا، والثلث أربعة، فيكون المجموع ستة عشر شهرًا، لو زدت عليها نصف سدس سنة، يعني شهرًا وزيادة؛ لأن السنة اثنا عشر شهرًا، نصف السدس يعني ١ على ١٢، يعني زيدَ عليها شهرًا أيضًا فتصبح سبعة عشر شهرًا.

فَالْخُلَاصَةُ: أَنَّ الْحَدِيثَ فِي الْبُخَارِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ اسْتَقْبَلَ بَيْتَ

المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، ثم نُسخَت القبلة إلى الكعبة.

وعندما كان النبي ﷺ بالمدينة كان ﷺ لا يستطيع استقبال الكعبة وبيت المقدس في نفس الوقت كما كان يفعل في المدينة. لماذا؟ لأن المدينة في المنتصف بين مكة وبيت المقدس، وبيت المقدس في اتجاه الشمال، ومكة في اتجاه الجنوب، فإذا استقبل بيت المقدس صار مستدبراً الكعبة، فلا يمكن أن يستقبلهما معاً.

فكان كما قال الله ﷻ: ﴿قَدْ زَرَى تَقَلُّبُ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ١٤٤] فكان النبي ﷺ يتضرع إلى الله -تعالى- ويريد تحويل القبلة إلى الكعبة المشرفة، فقال له ربه ﷻ: ﴿فَلَنُؤَيِّنَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٤].

٦- وَحَوَّلْتُ مِنْ بَعْدِ ذَاكَ الْقِبْلَةَ: لِكَعْبَةِ اللَّهِ، وَنِعْمَ الْجِهَةُ

(نِعْمَ الْجِهَةُ) هي الكعبة؛ لأنها جهة شريفة مُكرّمة.

باب ذِكْرِ السَّابِقِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ

- ١- مِنَ الرِّجَالِ: ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ قَالَ بِهِ حَسَّانٌ فِي الْقَصِيدَةِ
- ٢- وَعِدَّةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ الْأُولَى وَقَوُوا، وَتَابِعُوهُمْ مِمَّنْ تَلَى
- ٣- خَدِيجَةَ: اذْكُرْ أَوَّلَ النِّسْوَانِ عَلِيًّا: اَعْدُدْ أَوَّلَ الصَّبِيَّانِ
- ٤- وَعُمُرُهُ ثَمَانٍ أَوْ مَعْشَرُ أَوْسَتٌ أَوْ خَمْسٌ، وَقِيلَ: «أَكْبَرُ»
- ٥- مِنَ الْمَوَالِي: زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ كَانَ مُجَالِسًا لَهُ مُحَادِثُهُ

أول مَنْ أسلم من الرجال هو ابن أبي قحافة وهو أبو بكر الصديق رضي الله عنه، اسمه: عبد الله بن أبي قحافة، وكنيته: أبو بكر، فهذا أول مَنْ أسلم من الرجال. طبعاً هذا إذا لم نعد ورقة من الصحابة.

فهناك رأي يقول: إن ورقة كان من المؤمنين الصالحين، وإنه رُوي في الجنة على أساس أنه لم يُدرِك بعثة النبي ﷺ، يعني ما كان النبي ﷺ أمر بالدعوة، لكن في الحقيقة هذا كلام مرجوح، والصواب: عدّ ورقة من الصحابة.

لكن هنا يقول: إن أول مَنْ أسلم من الرجال هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

(قَالَ بِهِ حَسَّانٌ فِي الْقَصِيدَةِ) يقول: حسان بن ثابت هو الذي قال هذا: إن أول مَنْ أسلم هو أبو بكر، قاله حسان في قصيدته، التي يقول فيها:

إذا تذكّرت شجّوا من أخي ثقة
خَيْرَ البرية أُنْقَاهَا وَأَعَدَلَهَا
فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
والتالي الثاني المحمودُ مشهده
بعد النبي وأوفاهما بما حملا
وأول الناس منهم صدّق الرسلا

فهنا أبيات حسن، الشاهد منها: أن حسان بن ثابت يمدح أبا بكر الصديق ﷺ بأنه أول الناس صدق الرسل، فهنا يقول: إن أول من أسلم هو أبو بكر ﷺ من الرجال.

وليس هناك تعارض بين قولنا: أول من أسلم أبو بكر، وأول من أسلم ورقة، فالأولية يمكن أن تكون مُقيّدة، فأبو بكر هو أول من أسلم ممن بقي من الصحابة، وممن دعاه النبي ﷺ إلى الإسلام. وأما ورقة: فهو أول من أسلم لمجرد سماع خبر بعثة النبي ﷺ لكن لم يُعمّر وتوفي.

قال: (وَعِدَّةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ الْأُولَى) يعني كذلك عدد من الصحابة والتابعين نصّوا على أن أول من أسلم هو أبو بكر ﷺ، ثم إنه تبع أبا بكر في إسلامه عدد من الصحابة ﷺ سيأتي ذكرهم.

فيمكن أن يكون المعنى هنا أيضًا أنه تبع أبا بكر من الصحابة عدد ممن تبع أبا بكر فأسلم على إثر أبي بكر ﷺ، سيأتي ذكرهم.

(خَدِيجَةَ: اذْكُرْ أَوَّلَ النِّسْوَانِ) أول من أسلم من النساء خديجة ﷺ وأرضاهما.

(عَلِيًّا: اَعُدُّ أَوَّلَ الصَّبِيَّانِ) أول من أسلم من الصبيان علي بن أبي طالب ﷺ.

ثم ذكر الخلاف في عمر علي ﷺ عندما أسلم:

فقيل: إن عليًا عندما أسلم و (عُمُرُهُ ثَمَان) سنين.

(أَوْ مَعْشَرٌ) يعني: أو كان عمره عشر سنين.

(أَوْ سِتٌّ) سنين.

(أَوْ خَمْسٌ) سنين.

(وَقِيلَ: «أَكْبَرُ») من هذا. فقيل: اثنتا عشرة سنة، وقيل: خمس عشرة سنة، وهذا أكبر ما ذُكر في عُمر علي عليه السلام عندما أسلم، فالآراء تتراوح ما بين خمس سنين إلى خمس عشرة سنة.

فالله تعالى أعلم، فالأشهر أنه ثمان سنين، فكان أوّل مَنْ أسلم من الصبيان: علي عليه السلام. وقال الحافظ ابن عبد البر: كان علي أوّل مَنْ أسلم مُطلقاً، قيل: إن عليّاً كان أوّل مَنْ أسلم يعني قبل خديجة وقبل أبي بكر، لكن المشهور: أن خديجة هي أوّل مَنْ أسلم مُطلقاً.

وقالوا: إن عليّاً وخديجة وأبا بكر، وزيد بن حارثة عليه السلام كلهم أسلموا في يوم واحد، فالخلاف يسير في كون أيهم سبق الآخر.

فكل هذه الأحداث كانت في أول يوم من بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، إسلام هؤلاء جميعاً. حتى إن بعض العلماء لا يجزم بمسألة الأولوية المطلقة فيقول: نقول: هؤلاء جميعاً أسلموا في يوم واحد، وهم: خديجة، وورقة، وأبو بكر، وعلي، وزيد، فكلهم أسلموا في يوم واحد، فلا يُدرى أيهم سبق، نقول: كلهم أوّل مَنْ أسلم عليه السلام.

أوّل مَنْ أسلم من الموالى هو زيد بن حارثة عليه السلام، وكان قد سُبي في الجاهلية، فاشتراه حكيم بن حزام، ووهبه لعمته خديجة، ووهبته خديجة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وكان أبوه وعمّه يبحثان عنه، فلما شبّ زيد سمع به أبوه وعمّه، فأتيا إلى مكة، فأتيا النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقالوا: يا سيد قوم، يا ابن عبد المطلب، جئناك في ولدنا فامن علينا؛ فإننا ندفع لك الفداء.

فقال لهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أوغير ذلك؟ قالوا: وما هو؟ قال: نُخَيِّرُهُ، إما أن يرجع إليكم

وإما أن يبقى معي، إن اختاركم فخذوه من غير فداء، وإن اختارني تركتموه يبقى معي، فقالا له: أنصفت، أو زدتنا على النصف، يعني هذه زيادة على العدل والإنصاف.

فدعوا زيدا وخيره النبي ﷺ فقال زيد للنبي ﷺ: ما أختار عليك أحداً، أنت مني مكان الأب والعم.

فقالا له: أختار العبودية على الحرية؟! فحيثُ أعتقه النبي ﷺ وتبناه قبل تحريم التبني، وخرج النبي ﷺ إلى الكعبة وقال: اشهدوا أن زيدا ابني أرثه ويرثني، فصار يُدعى زيد بن محمد حتى حرّم الله ﷻ التبني بعد ذلك، فقال ﷺ: ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٥] فصار يُدعى زيد بن حارثة، يُنسب لأبيه.

لكن كان النبي ﷺ يحبه، وكان يقال له: حبّ رسول الله، وابنه أسامة بن زيد كان يقال له: حبّ رسول الله ابن حبّ رسول الله.

(كَانَ مُجَالِسًا لَهُ مُحَادِثُهُ) وكان زيد مُجَالِسًا للنبي ﷺ محادثاً له.

٦- عَثْمَانُ وَالزُّبَيْرُ وَابْنُ عَوْفٍ طَلْحَةُ سَعْدٌ: أَمِنُوا مِنْ خَوْفِ

٧- إِذْ آمَنُوا بِدَعْوَةِ الصَّدِيقِ كَذَا ابْنُ مَطْعُونٍ بِذَا الطَّرِيقِ

هنا يذكر السابقين يعني الذين أسلموا في أول الدعوة، ذكر الناظم -رحمه الله تعالى- سبعة وخمسين رجلاً وامرأة من السابقين الأولين إلى الإسلام، ﷺ.

في هذا البيت يقول: عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص؛ هؤلاء ﷺ (آمَنُوا بِدَعْوَةِ الصَّدِيقِ).

هؤلاء كانوا تجاراً مثل أبي بكر الصديق ﷺ، فقد كان تاجراً، وكان هؤلاء أصدقاءه

فبمجرد إسلام أبي بكر دعا أصدقاءه هؤلاء إلى الإسلام فأسلموا على يديه، وجاء بهم في اليوم الثاني مباشرة من بعثة النبي ﷺ مسلمين.

فهؤلاء -وهم من العشرة المبشرين بالجنة-: عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص. هؤلاء الخمسة ﷺ أسلموا على يد أبي بكر الصديق في اليوم الثاني من بعثة النبي ﷺ.

ف (أَمِنُوا مِنْ خَوْفٍ إِذْ آمَنُوا بِدَعْوَةِ الصَّديقِ) يعني آمنوا من الخوف حيث آمنوا مستجيبين لدعوة أبي بكر الصديق ﷺ.

ثم (ابْنُ مَظْعُونٍ) يقصد به عثمان بن مظعون ﷺ، قالوا كان ترتيبه في الإسلام الرابع عشر، أسلم بعد ثلاثة عشر شخصاً أسلموا قبله.

وقبله النبي ﷺ بعد موته، وأثنى عليه النبي ﷺ ثناءً عظيماً، وكان من السابقين الأولين كما ذكرنا ﷺ.

قوله: (بِذَا الطَّرِيقِ) يعني أسلم أيضاً بدعوة أبي بكر الصديق، قال: (كَذَا ابْنُ مَظْعُونٍ بِذَا الطَّرِيقِ) يعني طريقة إسلام بن مظعون الجمحي ﷺ نفس طريقة إسلام السابقين، يعني على يد أبي بكر الصديق ﷺ.

٨- ثُمَّ أَبُو عُبَيْدَةَ وَالْأَرْقَمُ كَذَا أَبُو سَلَمَةَ الْمُكْرَمُ

أيضاً من السابقين الأولين: أبو عبيدة بن الجراح ﷺ وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة ﷺ، وكذلك الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي ﷺ. وقيل في ترتيب إسلامه: كان سابع مَنْ أسلم، وقيل: كان الحادي عشر في ترتيب مَنْ أسلم.

(كَذَّابُ سَلَمَةَ) وهو عبد الله بن عبد الأسد المخزومي الذي مر بنا أنه كان أخاً للنبي ﷺ من الرضاعة. وكان أول مَنْ هاجر إلى الحبشة، وكان أخاً للنبي ﷺ من الرضاعة.

٩- وابنُ سَعِيدٍ خَالِدٌ قَدْ أَسْلَمَا وَقِيلَ: «بَلْ قَبْلَهُمْ تَقَدَّمَا»

من السابقين الأولين إلى الإسلام خالد بن سعيد بن العاص الأموي ﷺ. أسلم بعد هؤلاء وقيل: بل تقدم قبلهم، ففي الروايات التي وردت في إسلام خالد بن سعيد ﷺ قيل: كان ثالث مَنْ أسلم، وقيل: كان رابع مَنْ أسلم، وقيل: أسلم بعد أبي عبيدة والأرقم، وأبي سلمة وهؤلاء ﷺ. فهذا خالد بن سعيد بن العاص ﷺ، وكان من المهاجرين إلى الحبشة ﷺ.

١٠- كَذَّابُ ابْنِ زَيْدٍ أَيْ سَعِيدٌ لَا مِرَا وَزَوْجُهُ فَاطِمَةُ أُخْتُ عُمَرَ

كذلك من السابقين إلى الإسلام: سعيد (ابْنُ زَيْدٍ) وهو من العشرة المبشرين بالجنة. ﷺ، وهو ابن عم عمر بن الخطاب، وزوجته فاطمة بنت الخطاب هي أخت عمر، وكان متزوجاً بأخت عمر، وعمر كان متزوجاً بأخته.

زوجة عمر هي: عاتكة بنت زيد أخت سعيد بن زيد، وزوجة سعيد بن زيد هي فاطمة بنت الخطاب، وكان سعيد بن زيد وفاطمة بنت الخطاب قد أسلما قبل إسلام عمر، وهما اللذان كانا سبباً في إسلام عمر ﷺ، كما سيأتي، يعني دعوا عمر إلى الإسلام ﷺ.

فسعيد بن زيد ﷺ أسلم قبل عمر، وكان من العشرة المبشرين بالجنة ﷺ، وكان مستجاب الدعوة ﷺ.

١١- كَذَاكَ عَبْدُ اللَّهِ مَعَ قُدَامَةٍ هُمَا لِمَظْعُونٍ سَعِيدَا الْهَامَةِ

هنا يشير إلى عبد الله بن مظعون وقدامة بن مظعون، أخوَيَ عثمان بن مظعون، فهذه أسرة مباركة، كانوا من السابقين الأولين.

(سَعِيدَا الْهَامَةِ) الهامة: الرأس، وسعيد الهامة: أحياناً يُكْنَى بها عن الشجاع، كانا من الشجعان الأبطال ﷺ .

١٢- وَحَاطِبٌ حَطَّابٌ ابْنَا الْحَارِثِ أَسْمَاءُ عَائِشٌ وَهِيَ غَيْرُ طَامِثٍ

أيضاً من السابقين الأولين ﷺ: حاطبٌ، وحطَّاب ابنَا الحارث الجمحي، ﷺ وكانا أخوين، وكانا من المهاجرين إلى الحبشة.

وهؤلاء الذين هاجروا إلى الحبشة ﷺ مَمَّنْ أُوذِيَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، كل الذين هاجروا إلى الحبشة كانوا من السابقين الأولين إلى الإسلام، مَمَّنْ تَعَرَّضُوا لِأَذَى قَرِيشٍ واضطهادهم، فهاجروا إلى الحبشة فراراً بدينهم ﷺ.

(أَسْمَاءُ عَائِشٌ) أسماء وعائشة ابنتا الصديق، أسماء يقصد: أسماء بنت أبي بكر الصديق، وعائش يقصد: عائشة بنت أبي بكر الصديق ﷺ، أيضاً كانتا من السابقين الأولين إلى الإسلام.

قال: (وَهِيَ غَيْرُ طَامِثٍ) يعني وهي صغيرة لم تبلغ، وإسلامهما تبعاً لإسلام أبيهما أبي بكر ﷺ.

بعض العلماء اعترض على عدِّ عائشة ﷺ من السابقين الأولين إلى الإسلام قالوا: لأنها وُلِدَتْ بَعْدَ الْبَعْثَةِ بِخَمْسَةِ أَعْوَامٍ، فلم تُدْرِكْ زَمَنَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا

في الأيام الأولى لدعوته ﷺ، لكن الناظم عدّ أسماء، فعُدَّ معها عائشة ؓ، ثم ضعّف هذا القول، فقال:

١٣- كَذَا ابْنُ إِسْحَاقَ بِذَاكَ انْفَرَدَا وَلَمْ تَكُنْ عَائِشُ مِمَّنْ وُلِدَا

الناظم على طريقته يشير إلى القول، ولو كان مرجوحاً، ويبين ضعفه إذا كان ضعيفاً فيقول: ابن إسحاق ذكر السابقين الأولين إلى الإسلام فعُدَّ منهم عائشة ؓ، فقال الناظم هنا: إنه انفرد بهذا القول، ولم يوافق العلماء على هذا، قالوا: لأن عائشة لم تكن ممَّنْ وُلِدَ في وقت إسلام السابقين الأولين، لكن أسماء ؓ كان ممَّنْ حضر بدايات البعثة، وعُدَّت مع السابقين، ﷺ.

١٤- فَاطِمَةُ فُكِيهَةُ الزَّوْجَانِ تِلْكَ لِذَاكَ هَذِهِ لِلثَّانِي

من السابقين الأولين إلى الإسلام: فاطمة وفكيهة ؓ وهما زوجتا حاطب وحطّاب ابني الحارث الجمحي.

فاطمة اسمها: فاطمة بنت المُجَلَّل القرشية ؓ هذه زوجة حاطب بن الحارث الجمحي. كانت هي وزوجها من السابقين الأولين إلى الإسلام، ومن المهاجرين إلى الحبشة.

وفكيهة اسمها: فكيهة بنت يسار ؓ، وهي زوجة حاطب بن الحارث بن الجمحي، وهي وزوجها من المهاجرين إلى الحبشة ﷺ.

قال: (تِلْكَ لِذَاكَ هَذِهِ لِلثَّانِي) يعني فاطمة زوجة حاطب، وفكيهة زوجة حطّاب.

١٥- عُبَيْدَةُ بْنُ حَارِثٍ، خَبَّابُ بْنُ الْأَرْتِّ كُلُّهُمْ أَجَابُوا

الحادي والعشرون في ترتيب السابقين الأولين إلى الإسلام: عبدة بن الحارث بن عبد المطلب ﷺ أسلم قديماً قبل دخول المصطفى ﷺ إلى دار الأرقم بن أبي الأرقم.

(خَبَّابُ بْنُ الْأَرْتِّ) ﷺ، وكان قد سُبي في الجاهلية فاشترته امرأة من خزاعة فأعتقته، وكان من السابقين الأولين إلى الإسلام ﷺ، ومَنَّ عُدْبٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، كَمَا جَاءَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ خَبَّابِ بْنِ الْأَرْتِّ، قَالَ: شَكُونَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا؟ أَلَا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟ قَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُخْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمَنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِأَنْتَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمَشَّطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهُ لَيَمَنَّ هَذَا الْأَمْرَ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّائِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، أَوِ الذُّبَّ عَلَى عَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ» [١]

فكان من السابقين الأولين وتعرض لأذى شديد، وتعذيب شديد في سبيل الله تعالى.

وورد أيضاً أن خباب بن الارت كان ممن أسلم على يد أبي بكر الصديق ﷺ، وكثير من هؤلاء الذين سبق ذكرهم من السابقين الأولين، كان إسلامهم على يد الصديق ﷺ، فكان الصحابة في الدعوة إلى الله ﷻ والدعوة إلى الإسلام، فأسلم على يديه عدد كبير ﷺ.

(كُلُّهُمْ أَجَابُوا) يعني كلهم أجابوا دعوة الإسلام، وقيل: كلهم أجابوا دعوة الصديق أبي بكر ﷺ، فيكون هؤلاء جميعاً ممن أسلم على يد أبي بكر الصديق ﷺ.

١٦- كَذَا سَلِيْطٌ وَهُوَ ابْنُ عَمْرٍو وَابْنُ حُذَافَةَ خُنَيْسٌ بَدْرِي

من السابقين إلى الإسلام سليط بن عمرو العامري القرشي رضي الله عنه، هاجر إلى الحبشة، وهاجر إلى المدينة، وشهد جميع غزوات النبي ﷺ.

والذي بعده وهو رقم أربعة وعشرين: خنيس بن حذافة السهمي رضي الله عنه، وهو بدري، ممَّنْ شهد غزوة بدر رضي الله عنه، وهو زوج حفصة بنت عمر قبل المصطفى ﷺ، كان زوجًا لحفصة بنت عمر، ثم استشهد رضي الله عنه فتزوجها النبي ﷺ بعده. فخنيس بن حذافة السهمي رضي الله عنه كان من السابقين إلى الإسلام.

١٧- وَابْنُ رَبِيعَةَ اسْمُهُ مَسْعُودٌ وَمَعْمَرُ بْنُ حَارِثٍ مَعْدُوْدٌ

الخامس والعشرون من السابقين إلى الإسلام: مسعود بن ربيعة رضي الله عنه، وهو من بني عبد العزى من قريش، وأسلم قبل دخول دار الأرقم بن أبي الأرقم وشهد بدرًا، والصحابي إذا عُدَّ في مناقبه أنه شهد بدرًا فهذه منقبة عظيمة؛ لأن النبي ﷺ قال: «إن الله اطلع إلى أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» فكون الصحابي من البدرين فهذا من مناقبه.

وقال جبريل للنبي ﷺ: «ما تعدُّون أهل بدر فيكم؟ قال: خيرنا، قال: كذلك الملائكة تعدُّ مَنْ شهد بدرًا فيهم خير الملائكة»؛ الملائكة الذين شهدوا بدرًا كانوا أيضًا خير الملائكة، والصحابة الذين شهدوا بدرًا هم خيار الصحابة رضي الله عنهم.

السادس والعشرون: معمر بن الحارث الجمحي، أخو حاطب وحطاب الجمحيين، هذه أسرة أخرى كريمة من أسَر السابقين الأولين، فقد مرت بنا أسرة آل مظعون كان

منهم ثلاثة من السابقين الأولين: عثمان، وعبد الله، وقدامه أبناء مطعون، هنا أسرة حاطب وحطاب ومعمر أبناء الحارث الجمحي، فهؤلاء كلهم من السابقين، وهو بدري أيضًا ﷺ شهد بدرًا وكان من السابقين الأولين إلى الإسلام.

١٨- وَوَلَدَا جَحْشٍ هُمَا عَبْدُ اللَّهِ كَذَا أَبُو أَحْمَدَ عَبْدُ أَوَّاهُ

فيشير هنا إلى عبد الله بن جحش وأبي أحمد بن جحش بن رباب، وأبو أحمد اسمه: عبد، فهناك: عبد بن جحش، وعبد الله بن جحش، كلاهما ﷺ كانا من السابقين الأولين إلى الإسلام، وكلاهما مَمَّنْ هاجر الهجرتين إلى الحبشة الهجرة الأولى والهجرة الثانية.

١٩- كَذَا شَيْبَةُ الْمُصْطَفَى أَبِي جَعْفَرٍ أَسْمَاءُ زَوْجُهُ، الْحَلِيفُ عَامِرٌ

٢٠- عَيَّاشُ أَعْنَى ابْنِ أَبِي رَبِيعَةَ وَزَوْجُهُ أَسْمَا إِلَى سَلَامَةَ

هنا يشير أيضًا إلى عدد من السابقين الأولين ﷺ.

رقم تسعة وعشرين من السابقين الأولين: جعفر بن أبي طالب، وقال: (شَيْبَةُ الْمُصْطَفَى) لأن النبي ﷺ قال لجعفر بن أبي طالب: «أشبهت خلقي وخلقي»^[١] وهو ابن عم رسول الله ﷺ، وأخو علي بن أبي طالب، وأشبهه خلق النبي ﷺ وأشبهه خلق النبي ﷺ، وقد أسلم وهاجر إلى الحبشة، وظل فيها إلى العام السابع من الهجرة، فقدم في عام خيبر على النبي ﷺ، فاعتنقه النبي ﷺ وقَبَّلَ ما بين عينيه، وقال: «ما أدري بأيهما

أُسْرَ بفتح خبير، أم بقدوم جعفر؟»

(أَسْمَاءُ زَوْجُهُ) هذه رقم ثلاثين من السابقين الأولين إلى الإسلام: أسماء بنت عميس الخثعمية ؓ وأرضها زوجة جعفر بن أبي طالب، أسلمت وهاجرت معه إلى الحبشة، وولدت له أولادًا، منهم: محمد بن جعفر وآخرون.

وبعد استشهاد جعفر ؓ تزوجها أبو بكر الصديق ؓ، وظلت مع أبي بكر الصديق إلى وفاته ؓ، وهي التي غسّلت أبا بكر الصديق بوصية منه، ثم تزوجت بعده علي بن أبي طالب ؓ، فكانت زوجة لجعفر، ثم لأبي بكر، ثم لعلي ؓ.

فأسماء بنت عميس الخثعمية ؓ كانت من السابقات الأوليات إلى الإسلام.

قال: (الْحَلِيفُ عَامِرٌ) يشير هنا إلى عامر بن ربيعة حليف آل الخطاب ؓ، كان من السابقين الأولين إلى الإسلام، وشهد غزوة بدر، وهو من البدرين ؓ.

قال: (عِيَّاشُ نَعْنِي ابْنَ أَبِي رَبِيعَةَ) عياش بن أبي ربيعة المخزومي.

وزوجته أسماء بنت سلامة، قال: (وَزَوْجُهُ أَسْمَاٌ إِلَى سَلَامَةٍ) يعني أسماء المنتسبة إلى سلامة، اسمها أسماء بنت سلامة الدارمية التميمية ؓ وأرضها، هذه رقم ثلاثة وثلاثين من السابقين الأولين إلى الإسلام، كانت من المهاجرين إلى الحبشة مع زوجها عياش ؓ.

وَهُوَ ابْنُ عَمْرٍو، وَكَذَلِكَ السَّائِبُ

أَبُوهُ، مَعَ مُطَلِّبِ ابْنِ أَزْهَرَ

بُنْتُ خَلْفٍ لِحَالِدِ قَرِينَةَ:

٢١- نُعَيْمُ التَّحَّامُ، أَيْضًا حَاطِبُ

٢٢- أَيُّ ابْنِ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ، ذُكِرَ

٢٣- وَزَوْجُهُ رَمْلَةٌ، مَعَ أُمَيْنَةَ

الرابع والثلاثون هو: نعيم بن عبد الله العدوي رضي الله عنه، العدوي: نسبة إلى بني عدي، قوم عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

لُقِّبَ بالنعام، والنعام هو: الذي يسعل ويتنحج، يقال: تنحَّم: بمعنى: تنخَّم أو سعل أو تنحج، فُلِّقَ بـ (نعيم النعام) رضي الله عنه قالوا: لحديث رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «دخلت الجنة فسمعتُ نعمة نُعيم فيها» يعني سمعتُ سعلته، فُلِّقَ بالنعام رضي الله عنه، وهو نعيم بن عبد الله العدوي من بني عدي، أسلم قبل عمر رضي الله عنه، وكان قومه يحمونه رضي الله عنه لأنه كان يمون أرامل بني عدي وأيتامهم، فقالوا له: أقم على أي دين شئت، يعني رغم أنهم في تلك الفترة كانوا يعادون مَنْ أسلم ويضطهدونه ويؤذونه، لكنَّ نعيمًا رضي الله عنه لكونه ذا فضل على قومه قال له بنو عدي: أقم على أي دين شئت ونحن نحملك، وندفع عنك، ومنعوه من الهجرة إلى الحبشة في الوقت الذي كان الصحابة يُضطَّرون إلى الهجرة إلى الحبشة بسبب إيذاء قومهم لهم.

قال: (أَيْضًا حَاطِبٌ وَهُوَ ابْنُ عَمْرٍو) هذا رقم خمسة وثلاثين: حاطب بن عمرو بن عبد شمس العامري رضي الله عنه، وهو ممَّنْ هاجر الهجرتين إلى الحبشة، الهجرة الأولى والثانية، وشهد بدرًا وكان من السابقين إلى الإسلام.

وهو أخو سليط بن عمرو بن عبد شمس العامري، الذي مرَّ ذكره رضي الله عنه قبل قليل في قول الناظم: (كَذَا سَلِيطٌ وَهُوَ ابْنُ عَمْرٍو) فهذا أخوه، وقد كانا من السابقين الأولين إلى الإسلام.

السادس والثلاثون: هو السائب بن عثمان بن مظعون رضي الله عنه عنه وعن أبيه، وهو من السابقين الأولين، وشهد غزوة بدر مع النبي ﷺ، هو من البدريين. وأبوه عثمان بن مظعون رضي الله عنه.

السابع والثلاثون: المطلب بن أزهر الزهري رحمه الله، كان من السابقين الأولين إلى الإسلام، وهاجر إلى الحبشة، وتوفي بها رحمه الله.

٢٣- وَزَوْجُهُ رَمْلَةٌ، مَعَ أُمَيْنَةَ بِنْتُ خَلْفٍ لِحَالِدٍ قَرِينَةٌ:

زوجة المطلب بن أزهر اسمها: رملة بنت أبي عوف رحمه الله، وهي رقم ثمانية وثلاثين من السابقين الأولين، أسلمت وهاجرت مع زوجها إلى الحبشة، وهي معدودة في السابقين الأولين.

رقم تسعة وثلاثين: أُمَيْنَةُ - بضم الهمزة - بنت خلف بن أسعد الخزاعية رحمته الله وأرضاهما، اسمها أُمَيْنَةُ بنت خلف، وبعض الروايات فيها تسميتها أُمَيْمَةً، بالميم.

فأُمَيْنَةُ أو أُمَيْمَةُ بنت خلف بن أسعد الخزاعية رحمته الله، كانت من السابقين إلى الإسلام، وهي زوجة خالد بن سعيد بن العاص، قال: (بِنْتُ خَلْفٍ لِحَالِدٍ قَرِينَةٌ) يعني هي زوجة لخالد، وخالد بن سعيد بن العاص مرَّ ذكره، كان أيضًا من السابقين الأولين ومن المهاجرين إلى الحبشة، وهذه زوجته أُمَيْنَةُ رحمته الله.

٢٤- مَضَى اسْمُهُ، عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ وَأَبْنُ فَهَيْرَةَ اسْمُهُ بَعَامِرٍ

قال: (مَضَى اسْمُهُ) خالد بن سعيد، (مَضَى اسْمُهُ) يعني مرَّ ذكره في السابقين.

فهنا يعد من السابقين أيضًا رحمته الله عمار بن ياسر رحمته الله وهو وأبوه وأمه من السابقين إلى الإسلام رحمته الله، وأمه سمية بنت خياط كانت أول مَنْ استشهد في الإسلام، قتلها أبو جهل، طعنها بحربة فقتلها، وعمار بن ياسر وأبوه وأمه - رحمته الله - كانوا من السابقين،

وكانوا يُعَذِّبون عذاباً شديداً في مكة، وكان النبي ﷺ يمر بهم ويقول: «صبراً آل ياسر، فإن موعدكم الجنة»، وقُتِل أبوه وأمه في التعذيب ﷺ.

وأكره عمار على أن يقول كلمة الكفر حتى يُخلَّوا سبيله، ويتوقفوا عن تعذيبه، فقالها مُكرهاً وجاء إلى النبي ﷺ حزيناً أنه أكره بالتعذيب أن يتكلم بكلمة كُفْر، فأنزل الله ﷻ فيه قوله ﷺ: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦] فعذره الله ﷻ وشهد الله ﷻ له أن قلبه مطمئن بالإيمان ﷻ، وقال فيه النبي ﷺ: «اقتدوا بهدي عمار» ﷻ.

الحادي والأربعون، عامر بن فُهيرة ﷺ، عامر بن فُهيرة كان عبداً مملوكاً للطفيل بن عمرو، فاشتراه أبو بكر الصديق ﷺ فأعتقه، وقد كان رفيق النبي ﷺ وأبي بكر الصديق في رحلة الهجرة، لم يكن معهما في الغار وقت وجودهما في الغار ﴿ثَافِكَا أَشْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ [التوبة: ٤٠] لكن بعد خروجهما من الغار رافقهما في رحلة الهجرة إلى المدينة.

وهو من البدرين ﷻ، ومن القراء الذين قُتلوا في سرية بئر معونة، ويقال لها: سرية القراء.

٢٥- أَبُو حُذَيْفَةَ صُهَيْبٌ جُنْدُبٌ وَهُوَ أَبُو ذَرٍّ صَدُوقٌ طَيِّبٌ

٢٦- وَقَالَ: «إِنِّي رَابِعٌ لِأَرْبَعَةٍ مِنْ تَابِعِي النَّبِيِّ أَسْلَمُوا مَعَهُ»

٢٧- كَذَا أَنْيْسٌ أَخُهُ قَدْ أَسْلَمَا ثُمَّتَ بَعْدُ أَسْلَمَتْ أُمُّهُمَا

هنا يقول: من السابقين الأولين ﷻ: أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس

القرشي ﷺ، كان من فضلاء الصحابة، وأبوه عتبة بن ربيعة كان من أئمة الكفر الذين آذوا المسلمين إيذاءً عظيمًا، وشاء الله ﷻ أن يكون ابنه أبو حذيفة من فضلاء المؤمنين، ومن السابقين الأولين.

(صُهَيْبٌ): وهو صيب بن سنان الكعبي الذي يُلقَّب بصهيب الرومي ﷺ، وهو أصلًا كعبي من بني كعب، وهم قوم من العرب، سباه الروم وهو طفل صغير، ونقلوه إلى بلاد الروم، فنشأ في بلاد الروم فكان في لسانه لكنة، يعني أخذ من لغة الروم، أسلم ﷺ وكان من السابقين الأولين إلى الإسلام ﷻ.

يقول: (جُنْدَبٌ وَهُوَ أَبُو ذَرٍّ) أبو ذر اسمه جُنْدَب الغفاري ﷺ، أبو ذر جندب بن جنادة الغفاري ﷺ.

قال: (صَدُوقٌ طَيِّبٌ) لأن النبي ﷺ قال: «ما أَظَلَّتْ السماء، ولا أَقَلَّتْ الغبراء أَصْدَقَ لهجةً من أبي ذر»؛ فمدحه النبي ﷺ بالصدق، والصدق يشمل: صِدْقُ الحديث، وصِدْقُ الإيمان يعني صِدْقُ القلب والعمل ﷻ.

فأبو ذر ﷺ واسمه جندب قال:

٢٦- وَقَالَ: «إِنِّي رَابِعٌ لِأَرْبَعَةٍ مِنْ تَابِعِي النَّبِيِّ أَسْلَمُوا مَعَهُ»

أبو ذر ﷺ كان يقول: أنا رابع من أسلم، كان يقول أبو ذر ﷺ: إنه رابع من أسلم ﷺ، وذلك أنه لما أنه سمع بالنبي ﷺ وقدم من قبيلته غفار إلى مكة المكرمة وسأل عن النبي ﷺ، وظل شهرًا بمكة، والمشركون لم يخبروه عن مكان النبي ﷺ حتى استدل عليه، ولما سأل عن النبي ﷺ قال: مَنْ آمَنَ به؟ قالوا: حر وعبد، ففهم من هذا أن الحر هو أبو بكر، والعبد هو زيد بن حارثة ﷺ، وخديجة زوجة النبي ﷺ، فظن أنه رابع من أسلم.

لكن قالوا في هذا: إن النبي ﷺ في ذلك الوقت كان يُسرُّ بإسلامه ﷺ ومَنْ آمنَ كانوا يكتُمون إيمانهم ويُخفون إيمانهم، فعندما أسلم أبو ذر ﷺ كان هناك عدد ممَّنْ أسلم ممَّنْ يكتُمون إسلامهم ولا يُعرَفون، فهو ﷺ كان من السابقين الأولين إلى الإسلام، لكن الصواب: أنه ليس الرابع على أساس أنه أسلم قبله عدد من الصحابة، ولكن كانوا يكتُمون إيمانهم ولا يُظهرونه حيث كانوا يجتمعون مع النبي ﷺ في دار الأرقم سرًّا كما سيأتي إن شاء الله.

قال: (كَذَا أَنَيْسُ أَخُوهُ قَدْ أَسْلَمَا) أنيس بن جنادة الغفاري أخو أبي ذر قد أسلم أيضًا ﷺ، وهو أيضًا معدود من السابقين الأولين.

وأمهما رملة بنت الوقعة الغفارية ﷺ وأرضاها.

فأبو ذر، وأنيس، وأخوه، وأمهما رملة كانوا من السابقين الأولين إلى الإسلام ﷺ.

٢٨- كَذَا ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَهُوَ وَاقِدٌ كَذَا إِيَّاسُ عَاقِلٌ وَخَالِدٌ

٢٩- وَعَامِرٌ أَرْبَعَةٌ بَنُو الْبَكْرِ وَابْنُ أَبِي وَقَّاصٍ اسْمُهُ عُمَيْرٌ

هنا يقول: من السابقين الأولين ﷺ: واقد بن عبد الله ﷺ، وفي بعض الروايات سُمي وافدًا، قيل: وافد بن عبد الله (بالفاء)، لكن الرواية المشهورة أنه واقد (بالقاف) ابن عبد الله بن عبد مناف، كان من السابقين الأولين إلى الإسلام ﷺ.

وإياس، وعاقل، وخالد، وعامر؛ هؤلاء أربعة أبناء البكير بن أبي البكير بن عبد ياليل من بني عبد مناف ﷺ، هؤلاء أربعة إخوة من السابقين الأولين إلى الإسلام، هم: إياس بن البكير، وعاقل بن البكير، وخالد بن البكير، وعامر بن البكير، هؤلاء أربعة

إخوة ﷺ، كانوا من السابقين الأولين إلى الإسلام ﷺ، أسلموا في دار الأرقم في فترة الدعوة السرية، وشهدوا مع النبي ﷺ كل المشاهد، كل الغزوات مع النبي ﷺ. وعاقل كان من شهداء غزوة بدر ﷺ، والباقون استشهدوا في غزوات أخرى ﷺ. خالد استشهد يوم الرجيع، وعامر استشهد في معركة اليمامة ﷺ. فهؤلاء الأربعة كانوا من السابقين الأولين ﷺ.

قال: (وَابْنُ أَبِي وَقَّاصٍ اسْمُهُ عُمَيْرٌ) عمير بن أبي وقاص أخو سعد بن أبي وقاص، أسلم بعد إسلام أخيه سعد، وكان الأخ الأصغر لسعد بن أبي وقاص، اسمه عمير بن أبي وقاص، واستشهد بغزوة بدر ﷺ، وقيل: كان عمره وقت استشهاده في غزوة بدر ست عشرة سنة.

٣٠- كَذَاكَ بِنْتُ أَسَدٍ فَاطِمَةُ كَذَاكَ بِنْتُ عَامِرٍ ضَبَاعَةُ

من السابقين الأولين وهي رقم ثلاثة وخمسين: فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، وهي زوجة أبي طالب وأم علي بن أبي طالب ﷺ.

أسلمت ﷺ، وكانت من السابقين الأولين إلى الإسلام، وزوجها أبا أن يسلم، لكن أسلمت هي وأسلم ابنها علي ﷺ، وهاجرت إلى المدينة.

وتوفيت في المدينة ﷺ، وكان النبي ﷺ يكرمها ويثني عليها، ولما توفيت ﷺ خلع النبي ﷺ قميصه ودفعه لتكفن فيه ﷺ، ودخل النبي ﷺ قبرها يوم دفنها، وقال ﷺ: «لم يكن أحد بعد أبي طالب أبرَّ لي منها» ﷺ وأرضاه.

الرابع والخمسون من السابقين الأولين إلى الإسلام: ضباعة بنت عامر العامرية ﷺ

وأرضاهما، أسلمت بمكة وكانت من السابقين إلى الإسلام.

٣١- عَمْرُو أَبُو نَجِيحٍ فِيهِمْ مَعْدُودٌ عُبْتَةُ عَبْدُ اللَّهِ تَجَلَا مَسْعُودٌ

هنا من السابقين الأولين (عَمْرُو أَبُو نَجِيحٍ)، أبو نجيح كنية عمرو، وهو عمرو بن عبسة رضي الله عنه، اسمه عمرو بن عبسة، وكُنِيته أبو نجيح رضي الله عنه.

قال: (فِيهِمْ مَعْدُودٌ) يعني هو معدود في السابقين الأولين إلى الإسلام، رضي الله عنه.

ثم عتبة بن مسعود، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنه وهما عتبة وعبد الله ابنا مسعود بن غافل الزهري.

عتبة بن مسعود كان من السابقين الأولين إلى الإسلام، وهاجر إلى الحبشة رضي الله عنه، وكان عتبة بن مسعود معدوداً من الفقهاء، ومن العلماء رضي الله عنه، من علماء الصحابة وفقهائهم لكن لم يُعَمَّر طويلاً حتى يأخذ الناس عنه كما أخذوا عن ابن مسعود.

قال الزهري (محمد بن شهاب الزهري) من علماء التابعين، قال: ما كان عبد الله بأفقه ولا أقدم صُحْبَةً من عتبة، لكنه مات سريعاً، لكن عتبة مات سريعاً فلم يُشْتَهَر بفقهه وعلمه كما اشتهر عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، هذا كلام الزهري.

بعد ذلك، المؤلف جعل باباً مخصوصاً في قصة إسلام عبد الله بن مسعود، فقال:

باب ذِكْرِ إِسْلَامِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه

- ١- جَاءَ لَهُ النَّبِيُّ وَهُوَ يُرْعَى غَنِيمَةً، يُسَيِّمُهَا فِي الْمَرْعَى
- ٢- قَالَ لَهُ: «شَاؤُكَ فِيهَا لَبَنٌ؟» قَالَ: «نَعَمْ، لَكِنِّي مُؤْتَمَنٌ»
- ٣- قَالَ: «فَهَلْ فِيهَا إِذْنٌ مِنْ شَاةٍ»
- ٤- بِهَا، فَمَسَّ الضَّرْعَ وَهُوَ يَدْعُو
- ٥- فَاحْتَلَبَ الشَّاةَ وَأَسْقَى، ثُمَّ مَضَ فِي شُرَيْهِ، قَالَ لَهُ: «اَقْلُصْ» فَقَلَصَ
- ٦- قَالَ: «فَعَلَّمَنِي لَعَيٍّ أَعْلَمُ» قَالَ لَهُ: «عَلِيمٌ مُعَلِّمٌ»

هنا يذكر قصة إسلام عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وذلك أنه كان راعياً يرعى غنماً لآل عقبة ابن أبي معيط، فجاءه النبي ﷺ ومعه أبو بكر، وهو يرعى الغنم، فقال له رسول الله ﷺ: هل عندك لبن؟ قال: «نعم، لكنني مؤتمن» أنا أمين عليها، لا أستطيع أن أعطيك اللبن بغير إذن أصحاب الغنم.

- ٢- قَالَ لَهُ: «شَاؤُكَ فِيهَا لَبَنٌ؟» قَالَ: «نَعَمْ، لَكِنِّي مُؤْتَمَنٌ»

فقال له النبي ﷺ: فهل عندك شاة لم ينز عليها الفحل؟ بمعنى أنها ليس في ضرعها لبن؛ لأنه ما عاشرها فحل، قال: نعم. فأتيته بشاة، عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: نعم، فأتى النبي ﷺ بشاة، فمسح النبي ﷺ مكان الضرع بيده وهو يدعو، وما كان لها ضرع - يعني: كان ضرعها أصلاً ليس فيه شيء من اللبن - فمسح النبي ﷺ ضرعها ودعا ﷺ فإذا ضرعها حافل مملوء لبنًا.

قال: «فأتيت النبي ﷺ بصخرة منقورة فاحتلب الشاة» فجاء عبد الله بن مسعود بصخرة منقورة مثل الإناء، يستعملها النبي ﷺ كإناء.

«فحلب النبي ﷺ الشاة فيها، فسقى أبا بكر ثم سقاني ثم شرب» ﷺ.

«ثم قال للضرع (اقلص) فقلص».

وهنا يقول: (فَاحْتَلَبَ الشَّاةَ وَأَسْقَى) وأسقى: يعني سقى مَنْ حوله، (ثُمَّ مَضَ فِي شُرْبِهِ) يعني شَرِبَ ﷺ.

قال عبد الله بن مسعود: فلما رأيت هذا قلت: يا رسول الله، علمني، قال: فمسح النبي ﷺ رأسي، وقال: بارك الله فيك؛ فإنك غلام مُعَلَّم، فأسلم عبد الله بن مسعود من هذه اللحظة لما رأى هذه المعجزة لرسول ﷺ، وصحبه يتعلم منه من ذلك اليوم؛ فكان من السابقين الأولين ﷺ.

باب اجتماع المسلمين بدار الأرقم

- ١- وَاتَّخَذَ النَّبِيُّ دَارَ الْأَرْقَمِ:
- ٢- وَقِيلَ: «كَانُوا يُخْرِجُونَ تَثْرَى
- ٣- حَتَّى مَضَتْ ثَلَاثَةُ سِنِينَ
- ٤- وَصَدَعَ النَّبِيُّ جَهْرًا مُعْلِنًا
- ٥- وَأَنْذَرَ الْعَشَائِرَ الَّتِي ذُكِرَ
- لِلصَّحْبِ، مُسْتَخْفِينَ عَنْ قَوْمِهِمْ
- إِلَى الشَّعَابِ لِلصَّلَاةِ سِرًّا»
- وَأَظْهَرَ الرَّحْمَنُ بَعْدَ الدِّينَا
- إِذْ نَزَلَتْ: «فَاصْدَعْ بِمَا»، فَمَا وَنَى
- بِجَمْعِهِمْ إِذْ نَزَلَتْ: «وَأَنْذِرْ»

هنا يذكر قصة دعوة النبي ﷺ سرًّا في دار الأرقم بن أبي الأرقم ﷺ.

الأرقم بن أبي الأرقم ﷺ كان شابًا من شباب الصحابة، وكان من السابقين الأولين إلى الإسلام - كما مر بنا ذكره ﷺ - في السابقين.

وكانت له دار قريبة من الصفا، قالوا: هذا سبب أو حكمة اختيار النبي ﷺ دار الأرقم؛ لأن دار الأرقم كانت قريبة من الصفا في مكان يكثر فيه ذهاب الناس وإياهم، يعني مكان أصلاً مزدحم عادةً، والناس يكثر مرورهم في هذا المكان فلا يستغربون دخول عدد كبير من الناس وخروجهم، فرأى النبي ﷺ الحكمة في اختيار هذه الدار ليجتمع فيها بأصحابه.

فصار النبي ﷺ يجتمع بأصحابه في دار الأرقم يقرأ عليهم القرآن، ويُعلمهم الدين،

ﷺ.

وكان عدد المسلمين في ذلك الوقت من خلال فترة دار الأرقم لم يزد عن أربعين

صحابياً، وفترة الدعوة السرية في دار الأرقم كانت ثلاث سنوات، وبدأ النبي ﷺ الدعوة بعدد قليل، وظلوا يزادون حتى وصلوا أربعين صحابياً يجتمعون مع النبي ﷺ في هذه الدار، يُعلمهم النبي ﷺ القرآن، ويعلمهم أحكام الدين.

و(كَانُوا يَخْرُجُونَ تَتْرَى) يعني جماعة إثر جماعة، يعني كانوا لا يدخلون دفعة واحدة، أو يخرجون دفعة واحدة، وإنما يخرجون مجموعة إثر مجموعة، وكانوا يصلون في شعاب مكة، وهي الممرات التي بين الجبال سرّاً، يعني يذهبون للصلاة في الشعاب، ويصلون سرّاً، يتبع بعضهم بعضاً غير متواصلين؛ لئلا يشعر بهم مشركو قريش.

وظل النبي ﷺ يدعو في دار الأرقم سرّاً حتى أسلم عمر بن الخطاب ﷺ، وكان آخر مَنْ جاء مسلماً في فترة الدعوة في دار الأرقم بن أبي الأرقم، وبعد إسلام عمر ﷺ كانت قد مرّت ثلاث سنوات على الدعوة سرّاً، فأنزل الله ﷻ الآيات الكريمة التي فيها الأمر بالجهر بالدعوة.

وكان إسلام عمر ﷺ كما قال عبد الله بن مسعود ﷺ قال: كان إسلام عمر فتحاً، وهجرته نصراً، وخلافته رحمةً ﷺ، فكان إسلام عمر فتحاً، كان النبي ﷺ يدعو خلال تلك الفترة يقول: «اللهم أعز الإسلام بأحب العمرين إليك» فَأَعَزَّ اللهُ ﷻ الإسلام بإسلام عمر بن الخطاب ﷺ، وكان لعمر من الهيبة في قومه، والإقدام ما ناسب أن يبدأ عصر الجهر بالدعوة والإعلام بها.

٤- وَصَدَعَ النَّبِيُّ جَهْرًا مُعْلِنًا إِذْ نَزَلَتْ: «فَاصْدَعْ بِمَا»، فَمَا وَنَى

(فَمَا وَنَى): فما ونى النبي ﷺ يعني: ما ضَعُفَ النبي ﷺ.

كانت بداية الأمر بالجهر بالدعوة بآيتين كريمتين: قول الله ﷻ في سورة الحجر: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤]؛ ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾: يعني اجهر بما

ذِكْرُ تَأْيِيدِهِ ﷺ بِمُعْجَزَةِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ

١- وَجَعَلَ اللَّهُ لَهُ الْقُرْآنَ: آيَةً حَقٌّ أَعْجَزَتْ بُرْهَانًا

إن الله ﷻ جعل للنبي ﷺ القرآن (آيَةً حَقٌّ)، (أَعْجَزَتْ بُرْهَانًا) يعني برهانها أعجزهم أن يأتوا ببرهان مثله يردون به عليه أو يعارضونه؛ لأن القرآن كان برهاناً حجة معجزة لرسول الله ﷺ.

٢- أَقَامَ فِيهِمْ فَوْقَ عَشْرِ يَطْلُبُ: إِتْيَانَهُمْ بِمِثْلِهِ، فَعُلبُوا

ظل النبي ﷺ أكثر من عشر سنين يطلب منهم أن يأتوا بمثل هذا القرآن فعُلبوا، لم يستطيعوا أن يأتوا بمثل هذا القرآن، وذلك في قوله ﷺ: ﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ [الإسراء: ٨٨]؛ فتحداهم النبي ﷺ أن يأتوا بمثل هذا القرآن، فلم يستطيعوا أن يأتوا بمثله.

وإعجاز القرآن الكريم ذو وجوه متعددة؛ فهو إعجاز في نظمِهِ، وبلاغته وفصاحته، وكانت العرب أهل فصاحة وبيان، وبلغوا الغاية في فصاحة اللغة، ومع ذلك عجزوا عن الإتيان بمثل هذا القرآن.

كذلك إعجازه من جهة معانيه، وما فيه من الأحكام، وإعجاز التشريع والأحكام الكاملة، وإعجاز الأخبار، يعني ما فيه من الأخبار الصادقة سواء عن الأمور الماضية أو الأمور المستقبلية، فعجزوا أن يأتوا بمثل هذا القرآن.

٣- ثُمَّ بَعَثَ سُوْرَ فُسُوْرَةٍ فَلَمْ يُطِيقُوْهَا، وَلَوْ قَصِيْرَةً

يعني بعد ذلك تحداهم النبي ﷺ أن يأتوا بعشر سور مثل القرآن، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيْنَ وَأَدْعُوا مَنْ أَسْطَظَعْتُمْ﴾ [هود: ١٣] فعجزوا عن ذلك.

ثم تحداهم أن يأتوا بسورة واحدة، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا بِسُوْرَةٍ مِّثْلِهِ وَأَدْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣]، فتحداهم أن يأتوا بسورة (فَلَمْ يُطِيقُوْهَا، وَلَوْ قَصِيْرَةً) أي: عجزوا عن الإتيان بسورة من مثله، ولو كانت كأقصر سُورَةٍ.

٤- وَهُمْ لَعَمْرِي الْفُصَحَاءُ اللَّسُنُ فَأَنْقَلَبُوا، وَهُمْ حَيَارَى لُكُنْ

٥- وَ (أَسْمِعُوا) التَّوْبِيْخَ وَالتَّقْرِيعَا لَدَى الْمَلَأَ، مُفْتَرِقًا مَجْمُوعًا

٦- فَلَمْ يَفْهَمْ مِنْهُمْ فَصِيْحٌ بِشَفَهْ مُعَارِضًا، بَلِ الْإِلَهَ صَرَفَهْ

يقول: (وَهُمْ لَعَمْرِي الْفُصَحَاءُ اللَّسُنُ) يعني هم الفصحاء اللسن أي: البلغاء، ومن معاني اللسن أيضًا: ذوو الألسنة السليطة الحادة، التي لا يصبرون بها عمن هجأهم أو اعترض عليهم، فينظمون فيه أشعار الهجاء، ويعارضونه فيما يقول.

(فَأَنْقَلَبُوا، وَهُمْ حَيَارَى لُكُنْ) فأصبتهم لكنة أي: عَيَّ وِثْقَلٌ في ألسنتهم، العي: هو عدم القدرة على الإفصاح والبيان، ولم يستطيعوا أن يعارضوا القرآن الكريم، أو يجيبوا تحدِّي النبي ﷺ لهم، وتحدي الله ﷻ لهم في كتابه العزيز.

٥- وَ (أَسْمِعُوا) التَّوْبِيْخَ وَالتَّقْرِيعَا لَدَى الْمَلَأَ، مُفْتَرِقًا مَجْمُوعًا

يعني القرآن العظيم فيه توبيخ وتقريع للمشركين، وتوعَّد لهم بالعذاب الأليم إن استمروا على شركهم وبيان سفاهة معتقداتهم الباطلة، فـ ((أَسْمِعُوا) التَّوْبِيْخَ وَالتَّقْرِيعَا).

(لَدَى الْمَلَأَ، مُفْتَرِقًا مَجْمُوعًا) يعني حال افتراقهم عن الناس وحال اجتماعهم مع

الناس.

(فَلَمْ يَفْهُمُ مِنْهُمْ فَصِيحٌ بِشَفَةِ) ومع ذلك لم يتفوه واحد منهم بشيء يعارض به القرآن الكريم.

(مُعَارِضًا، بَلِ الْإِلَهَ صَرَفَهُ) هنا يتكلم عن مسألة اعتقادية، وهي: هل إعجاز القرآن الكريم بالصرفة أم لا؟

المعتزلة يزعمون أن القرآن مخلوق، من مخلوقات الله ﷻ وليس صفة من صفاته؛ فلذلك من معتقدات المعتزلة أن عدم قدرة المشركين على معارضة القرآن أو الإتيان بمثله ليس لكون القرآن لا يمكن أن يأتي البشر بمثله، ولكن لأن الله صرّفهم عن الإتيان بمثله. فهم يرون أن المشركين كان بإمكانهم أن يأتوا بمثل القرآن، أو الناس بصفة عامة ممن عارض القرآن يستطيعون أن يأتوا بمثله، ولكن الله صرّفهم عن ذلك وصدّهم عنه، فيرون أن الإعجاز هنا في أن الله ﷻ صرّفهم.

وهذا الكلام لا شك أنه كلام باطل ومخالف لمعتقد أهل السنة، لكن من أهل السنة من يستعمل الصّرفة بالمعنى اللغوي: بمعنى أن الله ﷻ صدّ المشركين عن الإتيان بمثل القرآن، وعلى أنه لا يلزم من ذلك أن القرآن العظيم يستطيع الناس أن يأتوا بمثله، أو أن الصرفة هي الوجه الوحيد من وجوه الإعجاز، فهذا ما يقصده المؤلف، يعني يقصد: أن القرآن الكريم مُعْجَزٌ في ألفاظه وبلاغته، ومُعْجَزٌ في صدق أخباره، ومُعْجَزٌ في عظمه ومعانيه، ومُعْجَزٌ في تأثيره على مستمعيه وعلى نفوسهم، إلى غير ذلك من وجوه إعجاز القرآن الكريم، فالقرآن لا يمكن الإتيان بمثله؛ لما في ذات القرآن، يعني لأنه صفة الله ﷻ ولا يستطيع إنسان أن يأتي بمثله؛ لكون القرآن مُعْجَزٌ في بلاغته وأخباره وأحكامه وتأثيره. ومع ذلك فإن الله ﷻ صرّف المشركين عن أن يأتوا بمثله، لكن حتى لو لم يصرفهم

الله ﷻ لما استطاعوا أن يأتوا بمثله، فكلامه معناه: أن الله ﷻ صرف المشركين عن أن يأتوا بمثل القرآن، أو بسورة مثل سُور القرآن مع شدة عداوتهم للنبي ﷺ ورغبتهم في إبطال حجة النبي ﷺ، ومع ذلك لم يستطيعوا هذا.

٧- فَقَائِلٌ يَقُولُ: «هَذَا سِحْرٌ» وَقَائِلٌ: «فِي أُذُنِي وَقُرْ»

يذكر هنا موقف المشركين من القرآن الكريم لما قرأه عليهم النبي ﷺ قال: (فَقَائِلٌ يَقُولُ: «هَذَا سِحْرٌ») بعض المشركين قال: هذا القرآن سحر.

(وَقَائِلٌ: «فِي أُذُنِي وَقُرْ») وقر: يعني صَمَمٌ: لا أسمع.

إذا تلا عليهم النبي ﷺ القرآن بعضهم يقول: هذا سحر، وبعضهم يقول: في أذني وقر- يعني صمم- لا أسمع ما تقول.

٨- وَقَائِلٌ يَقُولُ مِمَّنْ قَدْ طَغَوْا: «لَا تَسْمَعُوا لَهُ، وَفِيهِ فَالْغَوَا»

وهذا ما ذكره الله ﷻ في قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [نصلت: ٢٦]، فقالوا: لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه: يعني أحدثوا لغطاً، وجلبه، عندما يقرأ النبي ﷺ القرآن؛ حتى لا يواصل قراءته عليكم.

وفي تفسير آخر: ﴿وَالْغَوَا فِيهِ﴾ [نصلت: ٢٦] قالوا: أي: عارضوه باللغو يعني بالكلام الذي لا نفع فيه، عارضوا القرآن باللغو: يعني إذا تكلم بالقرآن تكلموا أنتم بأشياء أخرى.

٩- وَهُمْ إِذَا بَعْضٌ بِبَعْضٍ قَدْ خَلَا: اعْتَرَفُوا بِأَنَّهُ حَقٌّ مَا تَلَا

يعني كان المشركون- رغم أنهم أمام النبي ﷺ يقولون: هذا سحر، ويحدث منهم اللغو في القرآن- لكن إذا خلا بعضهم ببعض وتشاوروا فيما سمعوه من القرآن (اعترفوا

بِأَنَّ حَقًّا مَا تَلَاَ)..

١٠- وَأَنَّهُ لَيْسَ كَلَامَ الْبَشَرِ وَأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ بِمُفْتَرِي

يعني إذا خلا بعضهم ببعض اعترفوا أن ما تلاه النبي ﷺ حق، وأنه ليس كلام البشر، وأنه ﷺ لم يفتر هذا القرآن.

١١- اعْتَرَفَ الْوَلِيدُ، ثُمَّ النَّضْرُ وَعُتْبَةُ بِذَلِكَ، وَاسْتَقَرُّوا

١٢- وَابْنُ شَرِيْقٍ بَاءَ وَهُوَ الْأَخْنَسُ كَذَا أَبُو جَهْلٍ، وَلَكِنْ أُبْلِسُوا

ذكر هنا بعض أئمة الكفر الذين اعترفوا بأن القرآن حق، وأن النبي ﷺ لم يفتره، وهم جماعة من ألدّ خصوم النبي ﷺ وأعدائه، وأحرصهم على مقاومة دعوته، ومع ذلك اعترفوا أن القرآن كلام الله، وأن النبي ﷺ لا يستطيع أن يأتي به من عند نفسه.

فأول هؤلاء: الوليد بن المغيرة، وقد اجتمع نفر من قريش بالوليد بن المغيرة، وسألوه: ماذا يقولون في هذا القرآن؟ وماذا يفعلون تجاه القرآن؟

فقال الوليد بن المغيرة: والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أصله لغدق، وإن فرعه لجناة.

الغدق: الكثير، الغزير، يقال: ماء غدقاً يعني كثيراً.

وإن فرعه لجناة: يعني لثمر طيب.

يعني: إن القرآن عليه حلاوة وجمال وحسن، وأصله مُغدق، وفرعه مثمر، فاعترف بذلك، لكنه أشار عليهم أن يقولوا: هذا سحر مع أنه في نفسه معترف أنه ليس بسحر.

والنضر بن الحارث كان من زعماء قريش أيضاً، وعتبة بن ربيعة، والأخنس بن

شريك، وأبو جهل، كل واحد من هؤلاء وَرَدَ عنه أنه عندما خلا بأصحابه اعترف لهم بأن القرآن حق، وأنه كلام الله، وأنهم لم يسمعوا مثله قط.

هم يعلمون أن النبي ﷺ أولاً أُمِّي ﷺ ما قرأ كتاباً قبل القرآن كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ﴾ [العنكبوت: ٤٨]، فكانوا يعلمون أن النبي ﷺ ما قرأ الكتب السابقة حتى يزعموا أنه قرأ من كتب السابقين، ونقل عنها، وأنه ﷺ لا يعلم أخبار أهل الكتاب وأخبار الأنبياء السابقين، وأخبار الأمم السالفة، ولا أخذ عنهم ولا قرأ كتبهم، ومع ذلك يقص قصص الأنبياء السابقين وتفاصيل أمورهم وأحوال الأمم السابقة، ثم هم يعلمون أن النبي ﷺ هو الصادق الأمين، واعترفوا له أنهم ما جرّبوا عليه كذباً قط ﷺ فكانوا من هذه الجهة كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣].. فكانوا لا يُكذِّبون النبي ﷺ، يعلمون أنه صادق وما جرّبوا عليه كذباً قط ﷺ.

وكذلك لبلاغة القرآن وفصاحته - وهم أهل البلاغة والفصاحة - وهذه الجهة من إعجاز القرآن لا يستطيع أن يُقَرَّبَ بها على وجهها الأكمل إلا مَنْ كان بليغاً فصيحاً، ولهذا يذكر العلماء أن موسى ﷺ كان من أبرز معجزاته: العصا التي تنقلب حيّة، فكبار السحرة وخبرائهم ممّن اختارهم فرعون، وألقوا حبالهم وعصيتهم وخيلوا للناس أنها حيّات تسعى، لما رأوا عصا موسى التي انقلبت حيّة قالوا: ﴿قَالُوا أَمَّا رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٢١) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿[الأعراف: ١٢١-١٢٢]، رغم أنهم قبل لحظات كانوا يقولون: ﴿بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾ [الشعراء: ٤٤] لكن رأوا شيئاً أعجزهم؛ لأنهم هم أهل السحر وأعرف به، ورأوا ما يجزمون أنه ليس بسحر.

وكذلك عيسى ﷺ بُعث في قوم برعوا في الطب، وبلغوا فيه مبلغاً عظيماً، فكان من

معجزة عيسى ﷺ أنه يُبرئ الأكمه والأبرص، ويحيي الموتى بإذن الله، يمسح على الأكمه - والأكمه: الذي وُلِدَ ضريباً - فيبرأ بإذن الله.

ويحيي الموتى بإذن الله، يمر على الميت فيحييه بإذن الله ﷻ وهذا شيء حتى أطباء عصرنا هذا رغم ما بلغوا فيه من التقدم الطبي يعجزون عنه، لو جئنا بأمهر الأطباء ورأى معجزة عيسى ﷺ يحيي الموتى ويُبرئ الأكمه، لجَزَمَ بأن هذا مما لا يمكن فعله بالطب.

فهؤلاء شعراء قريش وفصحاء قريش، كانوا قد بلغوا الغاية في الفصاحة والبيان، فكانوا أعرف بما يمكن أن يقوله الشعراء.

وهم يعلمون أن أعذب الشعر أكذبه، وقد قال تعالى عن الشعراء: ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٦]؛ فالشاعر حتى يكون شعره راقياً لا بد أن يخلطه بالكاذب والمبالغات.

فجمال الشعر أن يكون مليئاً بالمبالغات وتهويل الأمور، وأن الشاعر يقول أشياء لا يفعلها، وإذا أراد أن يمدح رجلاً بالشجاعة يصفه بأشياء غير حقيقية بغرض المبالغة، لكنه لو وصف الشيء على ما هو عليه حقيقةً من غير مبالغات ومن غير أكاذيب لا يكون كلامه ذا أثر تطرب له النفوس.

لكن القرآن العظيم كل ما فيه حق، ومع ذلك ليس فيه مبالغة غير صحيحة، ومع ذلك يعجزون أن يأتوا بكلام في جماله وحُسْنِه.. إلى غير ذلك من وجوه إعجاز القرآن العظيم.

هذا من جهة فقط الألفاظ، لكن إذا نظرنا إلى إعجاز القرآن في معانيه، وإعجاز التشريع في القرآن الكريم، والإعجاز في صدق ما فيه من الأخبار، ومطابقتها للحقائق

لوجدنا وجوهاً عظيمة لإعجاز القرآن، فكانوا يعترفون أن القرآن حق.

١٣- وَكَيْفَ لَا (وَهُوَ) كَلَامُ اللَّهِ مُنَزَّهٌ عَنْ مَخْلَعِ اشْتِبَاهِ

يعني كيف لا يُعجزهم وهو كلام الله ﷻ الذي هو مُنَزَّهٌ أن يُشْتَبِهَ في أنه منحول أو مُختَلَقٌ، فكلام الله ﷻ مُنَزَّهٌ أن يشْتَبِهَ أحد في أنه كلام مُتَحَلٍّ أو مخلوق، أو مُختَلَقٌ.

١٤- يَهْدِي إِلَى الَّتِي هُذَاهَا أَقْوَمُ بِهِ يُطَاعُ وَبِهِ يُعْتَصَمُ

١٥- وَهُوَ لَدَيْنَا حَبْلُهُ الْمَتِينُ نَعْبُدُهُ بِهِ وَنَسْتَعِينُ

هو حبل الله المتين لدينا لنتمسك به، والحبل: هو السبب الذي يوصل إلى المقصود، فالقرآن هو حبل الله المتين - الحبل القوي الذي لا ينقطع - هو السبب الذي يوصل إلى رضوان الله ﷻ (نَعْبُدُهُ بِهِ وَنَسْتَعِينُ).

١٦- وَهُوَ الَّذِي لَا تَنْقُضِي عَجَائِبُهُ وَلَا يَضِلُّ أَبَدًا مُصَاحِبُهُ

لا تنقضي عجائب القرآن، فكلما تدبرت القرآن وجدت فيه من المواعظ ومن المعاني العجيبة. العجائب: يعني المعاني العجيبة، كلما تدبرت القرآن وجدت فيه من المعاني العجيبة، والعظات العظيمة، فلا تنقضي عجائب القرآن الكريم، وليس لها نهاية يُنتَهَى إليها.

(وَلَا يَضِلُّ أَبَدًا مُصَاحِبُهُ) أي: لا يضل من اتخذ القرآن دليلاً وصاحباً، يعمل بما فيه.

١٧- مُعْجَزَةٌ بَاقِيَةٌ عَلَى الْمَدَى حَتَّى إِلَى الْوَقْتِ الَّذِي قَدْ وُعِدَا

فهي معجزة باقية إلى الوقت الذي - وعد الله تعالى - أن يرتفع فيه القرآن، وهذا في حديث النبي ﷺ أنه في آخر الزمان يرفع الله ﷻ القرآن قبل أن تقوم الساعة، فلا تقوم

الساعة إلا على شرار الخلق، فيرفعه من الصدور ويرفعه من الصحف فيصبح الناس ويجدون المصاحف بيضاء ليس فيها آية، ويقبض الله ﷻ العلماء ولا يبقى أحد يذكر من كتاب الله ﷻ آية وهذا قبل أن تقوم الساعة، فلا يبقى في الأرض إلا شرار الخلق عليهم تقوم الساعة.

ذكر كفاية الله المستهزين

١- وَقَدْ كَفَى الْمُسْتَهْزِئِينَ الْبُعْدَا: اللَّهُ رَبَّنَا، فَبَاءُوا بِالرَّدى

يعني أن الله ﷻ (كَفَى الْمُسْتَهْزِئِينَ الْبُعْدَا) كفى نبينا ﷺ المستهزين به وذلك لقوله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر: ٩٥].

(فَبَاءُوا بِالرَّدى) يعني رجعوا بالهلاك والخسارة.

٢- فَعَمِيَ الْأَسْوَدُ، ثُمَّ الْأَسْوَدُ الْآخَرُ اسْتَسْقَى فَأَرَدَتْهُ الْيَدُ

أول واحد من هؤلاء الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر: ٩٥] هو الأسود بن المطلب بن أسد بن زمعة، فهذا الأسود بن المطلب دعا عليه النبي ﷺ فعمي بصره.

(ثُمَّ الْأَسْوَدُ الْآخَرُ اسْتَسْقَى) الأسود الآخر هو الأسود بن عبد يغوث

فالأسود بن عبد يغوث مرّ بالمصطفى ﷺ وجبريل عند النبي ﷺ، فقال جبريل للنبي ﷺ: «قد كفيته»، وأشار جبريل ﷺ بإصبعه إلى بطن الأسود بن عبد يغوث فاستسقى (يعني: أصابه مرض الاستسقاء، هو المعروف الآن بالأسماء المعاصرة بالفشل الكبدي ينشأ عنه انتفاخ للبطن، ثم يوصل إلى الموت والهلاك).

كل هؤلاء دعا عليهم النبي ﷺ، لما آذوه واستهزءوا به فاستجاب الله ﷻ دعاءه، فهذا الأسود: (اسْتَسْقَى فَأَرَدَتْهُ الْيَدُ) يعني فأهلكته يد جبريل، حين أشار جبريل بيده إليه.

٣- كَذَا أَشَارَ لِلْوَلِيدِ فَانْتَقَضَ الْجُرْحُ، وَالْعَاصِي كَذَاكَ فَعَرَضَ:

٤- لِرَجْلِهِ الشُّوْكَهَ حَتَّى أُرْهِقَا وَالْحَارِثُ اجْتَنَحَ بِقَيْحٍ بَرْقَا

الثالث من المستهزئين الذين استهزؤوا بالنبي ﷺ وكفاه الله إياه: الوليد بن المغيرة، أشار جبريل ﷺ إلى ساقه، وكانت قد أصابته شظية نبل (قطعة حديد صغيرة مثل الشوكة من النبل أصابته)، فمنعه الكبير والته أن ينزعها حالاً، فانتفض عليه الجرح فمات بسببها.

(وَالْعَاصِي) هذا هو الرابع: العاص بن وائل السهمي، وهو والد عمرو بن العاص. أشار جبريل ﷺ إلى أخمصيه - الأخمص: هو تجويف بطن الرجل، أي: الجزء المقوس في بطن الرجل يسمى الأخمص - أشار جبريل ﷺ إلى أخمصيه فخرج على راحلته فنزل في شعب (فَعَرَضَ لِرَجْلِهِ) شوكة في أخمصه، فصارت كعنق البعير، يعني تورمت رجله حتى صارت كعنق البعير من شدة الورم.

(حَتَّى أَرْهَقًا) وفي نسخة (حَتَّى أَرْهَقًا) يعني حتى مات، لعل (حَتَّى أَرْهَقًا) أحسن، حتى أرهق: يعني أصابه الرهق والألم الشديد. قال: (وَالْحَارِثُ أَجْتَبَحَ بِقَيْحٍ بَرَقًا) هذا الخامس اسمه الحارث بن العيطة السهمي أشار إليه جبريل ﷺ ف (اجْتَبَحَ) يعني أصابته جائحة، والجائحة: يعني المصيبة، ف (اجْتَبَحَ) يعني فأصابته مصيبة حين أشار إليه جبريل ﷺ فابتلي بقَيْح يتمخضه من أنفه ويزقه من فمه، فأصابه قَيْح فجعل يتمخض من أنفه ويزق من فمه قَيْحًا ودمًا حتى مات بذلك.

هـ - وَعُقْبَةُ فِي يَوْمِ بَدْرِ قَتِلَا أَبُو لَهَبٍ بَاءً سَرِيعًا بِالْبَلَاءِ

(وَعُقْبَةُ فِي يَوْمِ بَدْرِ قَتِلَا) مَمَّنْ كانوا يكثرون الاستهزاء بالنبي ﷺ ودعا عليهم النبي ﷺ: عقبة بن أبي معيط، وقد قُتل في يوم بدر.

قال: (أَبُو لَهَبٍ بَاءً سَرِيعًا بِالْبَلَاءِ) يعني رجع سريعًا بالبلاء، وذلك أن أبا لهب - كما

هو معلوم - كان يؤذي النبي ﷺ ويستهزئ به، وكان يسير خلف النبي ﷺ وهو يدعو الحُجَّاج، في موسم الحج كان النبي ﷺ يمر على قبائل العرب يدعوهم إلى الإسلام، فكان أبو لهب يسير خلف النبي ﷺ، وكلما دعا قومًا إلى الإسلام حذَّره من أن يقول: أنا عمه وأدرى به وهذا كذاب ويُحذِّر الناس من النبي ﷺ. فَعَنْ طَارِقِ الْمُحَارِبِيِّ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ فِي سُوقِ ذِي الْمَجَازِ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ، وَهُوَ يَقُولُ: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَفْلِحُوا »، وَرَجُلٌ يَتَّبِعُهُ يَرْمِيهِ بِالْحِجَارَةِ قَدْ أَدْمَى كَعْبِيهِ وَعُرْقُوبِيهِ، وَهُوَ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، لَا تُطِيعُوهُ؛ فَإِنَّهُ كَذَّابٌ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: غُلَامٌ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا الَّذِي يَتَّبِعُهُ يَرْمِيهِ بِالْحِجَارَةِ؟ قَالُوا: هَذَا عَبْدُ الْعُزَّى أَبُو لَهَبٍ» [١]

فأبو لهب مات بداء يقال له: داء العدسة، وهو مرض مُعِدٍ، فهلك حتى صار له نتن - يعني رائحة منتنة - والناس يخافون أن يمسوهم بأيديهم ليدفنوه أو يغسلوه؛ مما به من الداء فأمروا عبيدهم أن يدرجوه بالعصي حتى ألقوه بعيدًا. ومات بعد غزوة بدر بسبع ليالٍ، وأقام ثلاثة أيام لم يُدفن، والناس لا يريدون أن يلمسوه أو يقرّبوه.

والثامن هو الحكم بن أبي العاص، قال:

٦- ثَامِنُهُمْ أَسْلَمَ وَهُوَ الْحَكَمُ فَقَدْ كَفَاهُ شَرُّهُ إِذْ يُسَلِّمُ

الحكم بن أبي العاص، كان ممن أذى النبي ﷺ لكن كفى الله ﷻ النبي ﷺ، أذاه بأن أسلم، وهذا من ضمن الكفاية، فالله ﷻ وعده أن يكفيه المستهزئين، فكانت كفايته

[١] صحيح ابن خزيمة ١٥٩ وقال محققه: إسناده صحيح.

السابقين بأن أهلكهم وعذبهم في الدنيا قبل الآخرة، وأما كفاية الحكم فإنه أسلم فكفاه الله أذاه حين أسلم في يوم فتح مكة.

ذكر مشي قريش في أمره ﷺ إلى أبي طالب.

١- ثُمَّ مَشَتْ قُرَيْشُ الْأَعْدَاءُ إِلَى أَبِي طَالِبٍ، أَنْ يُسْأَوْوَا:

٢- مِنْ ابْنِهِ مُحَمَّدٍ فِي سَبِّهِمْ وَسَبِّ دِينِهِمْ وَذِكْرِ عَيْبِهِمْ

٣- فِي مَرَّةٍ وَمَرَّةٍ وَمَرَّةٍ وَهُوَ يَذُبُّ وَيُقَوِّي أَمْرَهُ

يقول: إن النبي ﷺ لما دعا إلى الإسلام - كما مر بنا - كان أبو طالب يكفل النبي ﷺ، وهو الذي تولى تربيته ﷺ بعد وفاة جدّه فذهبت قريش إلى أبي طالب، (أَنْ يُسْأَوْوَا) يعني قالوا لأبي طالب: إنه قد ساءنا سبُّ ابنك محمدٍ ﷺ لآلهتنا ولديننا، وآبائنا.

قال: (مِنْ ابْنِهِ مُحَمَّدٍ) لأن أبا طالب كان بمنزلة الأب للنبي ﷺ في ذلك الوقت بعد وفاة أبيه وجدّه.

فذهبوا إلى أبي طالب وقالوا: إن محمداً يسبنا ويسب ديننا ويضلل آباءنا، فإما أن تكفّه عنا، وإما أن تخلي بيننا وبينه، نتصرف معه ولا تدافع عنه.

فقالوا له ذلك ثلاث مرات قال: (فِي مَرَّةٍ وَمَرَّةٍ وَمَرَّةٍ) يعني في ثلاث مرات يذهبون إليه، ويكلمونه في شأن النبي ﷺ، وكان أبو طالب يقول لهم قولاً رفيقاً، و(يَذُبُّ) عن النبي ﷺ يعني يدافع عن النبي ﷺ (وَيُقَوِّي أَمْرَهُ)، ويقول: لأمنعنه منكم، ولا أخلي بينكم وبينه، أي: هو ابني، ولا يمكن أن أترككم تؤذونه، ويقول لهم: سوف أكلم محمداً ﷺ بشأن عيبه آلهتكم، لكن لا يمسه أحد منكم بسوء.

و كان أبو طالب يصد المشركين ويدافع عن النبي ﷺ.

فلما كلموا أبا طالب أكثر من مرة، كلّم أبو طالب النبي ﷺ في هذا الأمر وقال له: إن

قومك تأذوا من ذِكْرِكَ أَلَهْتَهُمْ وَدِينَهُمْ بِسُوءٍ.

فقال النبي ﷺ: يا عم، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يُظهره الله أو أهلك دونه.

فالنبي ﷺ بين لأبي طالب أنه لا يمكن أن يتخلى عن دعوته ولا أن يترك الدعوة إلى الإسلام.

٤- فِي آخِرِ الْمَرَّاتِ قَالُوا: «أَعْطِنَا مُحَمَّدًا وَخُذْ عُمَارَةَ ابْنَنَا

ه- بَدَلَهُ»، قَالَ: «أَرَدْتُمْ أَكْفُلُ ابْنَكُمْ وَأُسْلِمُ ابْنِي يُقْتَلُ؟!»

في آخر المرات التي جاؤوا فيها إلى أبي طالب كلموه أكثر من مرة، وخيروه بين أمرين: إما أن يمنع محمداً ﷺ من الدعوة إلى الإسلام، أو يتركهم يتصرفون معه، وهو رافض كلا الأمرين، ففي آخر مرة قالوا له: هذا عمارة بن الوليد بن المغيرة، هو أجمل فتى في قريش، وأحسن شاب، في قريش، خذه وأعطنا ابن أخيك محمداً الذي خالف دينك ودين آبائك، وفرّق جماعة قومك، وعاب ألهتهم. قالوا: خذ عمارة فاتخذه ولداً، واترك لنا محمداً.

فقال: بسما تسوموني به، أكفل لكم ولدكم، وأسلم لكم ابني لتقتلوه؟!

هذا لا يكون أبداً.

٦- ثُمَّ مَضَى يَجْهَرُ بِالتَّوْحِيدِ وَلَا يَخَافُ سَطْوَةَ الْعَبِيدِ

النبي ﷺ مضى يجهر بالتوحيد ولا يخاف سطوة العبيد، يعني لا يخاف ﷺ أذى الخلق، ومهما استهزؤا به ﷺ وآذوه فكان ﷺ يصبر على آذاهم، ويدعو إلى الإسلام ويصبر على ما يناله من الأذى ﷺ.

٧- وَأَجْمَعْتَ قُرَيْشٌ أَنْ يَقُولُوا: «سَاحِرٌ أَحْذَرُوا وَعَنْهُ مَيْلُوا»

٨- وَقَعِدُوا فِي زَمَنِ الْمَوَاسِمِ يُحْذَرُونَ مِنْهُ كُلَّ قَادِمٍ

٩- وَافْتَرَقَ النَّاسُ، فَشَاعَ أَمْرُهُ بَيْنَ الْقَبَائِلِ، وَسَارَ ذِكْرُهُ

يقول: إن قريشاً اجتمعوا وتشاوروا فيما بينهم، فيما يقولونه للناس؛ ليصرفوهم عن دعوة النبي ﷺ فأرادوا أن يوحدوا كلمتهم، ويجمعوا أمرهم على رأي واحد بدلا من اختلافهم في شأنه ﷺ ففريق يقول: هو ساحر، وفريق آخر يقول: كذاب، وفريق ثالث يقول: شاعر، فأرادوا أن يتفقوا على قول واحد؛ حتى تصدقهم العرب الذين يأتون في مواسم الحج، فاجتمعوا إلى الوليد بن المغيرة، «وَكَانَ ذَا سِنٍّ فِيهِمْ وَقَدْ حَضَرَ الْمَوْسِمُ فَقَالَ لَهُمْ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنَّهُ قَدْ حَضَرَ الْمَوْسِمُ، وَإِنَّ وُفُودَ الْعَرَبِ سَتَقْدُمُ عَلَيْكُمْ فِيهِ. وَقَدْ سَمِعُوا بِأَمْرِ صَاحِبِكُمْ هَذَا فَأَجْمَعُوا فِيهِ رَأْيًا وَاحِدًا، وَلَا تَخْتَلِفُوا فَيَكْذِبَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَيَرُدُّ قَوْلَكُمْ بَعْضُهُ بَعْضًا قَالُوا: فَأَنْتَ يَا أَبَا عَبْدِ شَمْسٍ فَقُلْ وَأَقِمْ لَنَا رَأْيًا نَقْلُ بِهِ فَقَالَ: بَلْ أَنْتُمْ فَقُولُوا وَأَسْمَعْ قَالُوا: نَقُولُ إِنَّهُ كَاهِنٌ قَالَ: مَا هُوَ بِكَاهِنٍ لَقَدْ رَأَيْنَا الْكُهَّانَ فَمَا هُوَ بِزَمَزَمَةِ الْكَاهِنِ وَلَا سَجْعِهِ. قَالُوا: فَنَقُولُ: إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ، قَالَ: مَا هُوَ بِمَجْنُونٍ؛ لَقَدْ رَأَيْنَا الْجُنُونَ وَعَرَفْنَاهُ فَمَا هُوَ بِخَنْقِهِ وَلَا تَخَالُجِهِ وَلَا وَسْوَئِهِ. قَالُوا: فَنَقُولُ إِنَّهُ شَاعِرٌ أَوْ قَالَ مَا هُوَ بِشَاعِرٍ لَقَدْ عَرَفْنَا الشُّعْرَ كُلَّهُ: رَجْزَهُ، وَهَزَجَهُ، وَقَرِيضَهُ، وَمَقْبُوضَهُ، وَمَبْسُوطَهُ، فَمَا هُوَ بِالشَّاعِرِ قَالُوا: فَنَقُولُ سَاحِرٌ. قَالَ: مَا هُوَ بِسَاحِرٍ؛ لَقَدْ رَأَيْنَا الشُّحَارَ وَسَحَرَهُمْ فَمَا هُوَ بِنَفْتِهِمْ وَلَا عَقْدِهِمْ قَالُوا: فَمَا تَقُولُ يَا أَبَا عَبْدِ شَمْسٍ؟ قَالَ: وَاللَّهِ إِنَّ لِقَوْلِهِ لِحَلَاوَةً، وَإِنَّ أَصْلَهُ لَمُعْدِقٌ، وَإِنَّ فَرْعَهُ لَجَنَاءَةٌ، وَمَا أَنْتُمْ بِقَائِلِينَ مِنْ هَذَا شَيْئًا إِلَّا عُرِفَ أَنَّهُ بَاطِلٌ، وَإِنَّ أَقْرَبَ الْقَوْلِ فِيهِ لَأَنْ تَقُولُوا: سَاحِرٌ يُفَرِّقُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَأَبِيهِ، وَبَيْنَ الْمَرْءِ وَأَخِيهِ، وَبَيْنَ

الْمَرْءَ وَزَوْجِهِ، وَبَيَّنَ الْمَرْءَ وَعَشِيرَتَهُ فَتَفَرَّقُوا عَنْهُ بِذَلِكَ» [١]

وكان أبو لهب يسير خلف النبي ﷺ وهو يدعو وفود العرب في الحج فيحذر الناس من النبي ﷺ، لكن رغم ذلك كان النبي ﷺ يدعو إلى الإسلام ويجهر به، وشاع ذكره في قبائل العرب، عندما كانوا يأتون من جميع أنحاء الجزيرة للحج، فيسمع بعضهم بالنبي ﷺ، ويذهبون إلى أقوامهم فيخبرونهم أن رجلاً بمكة يزعم أنه نبي، ويقول كذا، وقومه يقولون كذا، فشاع خبره، وانتشر بين قبائل العرب كلها. وكان هذا من أسباب مجيء بعض الناس، مثل: أبي ذر الغفاري ﷺ حين سمع من ناس قدموا من مكة يقولون: إنه ظهر بمكة رجل يقول: إنه نبي، فذهب إلى النبي ﷺ والتقى به وأسلم ﷺ، فصار ناس يأتون من أماكن شتى ويسلمون.

ذكر قدوم وفد نجران

ووفد نجران هؤلاء هم قوم قدموا على النبي ﷺ في مكة في أول دعوة النبي ﷺ بمكة، ونجران هذه منطقة في جنوب الجزيرة العربية، كانت سابقاً معدودة من اليمن، والآن طبعاً حسب الحدود السياسية هي تابعة للسعودية، فمنطقة نجران في جنوب الجزيرة العربية، كان أهلها نصارى، وكانت لهم صلة بالحبشة، الحبشة قريبة منهم يعبرون البحر إلى الحبشة.

فجاء من نجران عشرون رجلاً إلى النبي ﷺ وهو بمكة، وأسلموا على يديه ﷺ. وهؤلاء غير وفد نجران الذين قدموا على النبي ﷺ في المدينة ينظرونه في الإسلام، ونزل بشأنهم سورة آل عمران، يعني نصف سورة آل عمران في غزوة أحد، ونصفها بشأن وفد نجران.

لكن الوفد المقصود معنا هم الذين جاء ذكرهم في سورة القصص.

- ١- وَجَاءَ مِنْ نَجْرَانَ قَوْمٌ أَسْلَمُوا
- عِدَّتُهُمْ عِشْرُونَ، لَمَّا عَلِمُوا:
- ٢- بِصِدْقِهِ، جَاءَ أَبُو جَهْلٍ فَسَبَّ
- وَأَقْدَعَ الْقَوْلَ لَهُمْ بِلَا سَبَبٍ
- ٣- فَأَعْرَضُوا، وَقَوْلُهُمْ: «سَلَامٌ
- لَيْسَ لَنَا مَعَ جَاهِلٍ كَلَامٌ»

قصة هؤلاء الوفد ﷺ هم أنهم كانوا من نصارى نجران، وجاءوا إلى النبي ﷺ فوجدوه في المسجد الحرام فقعدهوا إليه ﷺ وكلموه وسألوه عن أشياء مما في كتبهم، فأجابهم النبي ﷺ على أسئلتهم ودعاهم إلى الله - تعالى - وتلا عليهم القرآن فبكوا ﷺ

وفاضت أعينهم من الدمع، واستجابوا لأمر الله، وعرفوا أنه النبي المذكور في كتبهم، فجاء أبو جهل، وهم جالسون حول النبي ﷺ ووجدتهم يستمعون إلى النبي ﷺ، وينصتون لكلامه وصدّقوا ما يقول، فسبهم أبو جهل وقال: خيِّبكم الله من ركب، بعثكم مَنْ وراءكم من أهل دينكم؛ لتأتوهم بخبر الرجل فلم يطمئن مجلسكم عنده حتى فارقتم دينكم وَصَدَّقْتُمُوهُ فِيمَا قَالَ؟ مَا نَعْلَمُ رَكْبًا أَحْمَقَ مِنْكُمْ.

فردّوا عليه ﷺ قالوا: سلام عليكم، لا نجاهلكم، يعني لا نرد على جهلكم بجهل، -والجهل هنا: هو الغضب، عكس الحلم- قالوا: سلام عليكم لا نجاهلكم، لنا ما نحن عليه ولكم ما أنتم عليه. وأعرضوا عنه، فأنزل الله ﷻ في شأنهم آيات كريمة في سورة القصص، وهي في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ٥٢﴾ وَإِذَا يُنْزَلُ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ٥٣ أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ٥٤ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْغِي الْجَاهِلِينَ ٥٥ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ٥٦﴾ [القصص: ٥٢-٥٦] يعني النبي ﷺ يدعو قومه فلم يهتدوا، وهؤلاء يعني جاءوا من بلاد بعيدة فهداهم الله ﷻ.

وقوله ﷻ: ﴿يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾ [القصص: ٥٤] يعني يؤتون أجرهم مضاعفاً لأن النبي ﷺ قال: «رجل آمن بنبيّه ثم آمن بي» فهذا يؤتى أجره مرتين، أجر الإيمان مرتين؛ المرة الأولى لما آمن بنبيّه، والمرة الثانية لما آمن بمحمد ﷺ.

ذكر قدوم وفد ضماد بن ثعلبة رضي الله عنه

- ١- ثُمَّ أَتَى ضِمَادُ وَهُوَ الْأَزْدِيُّ لَيْسَتَيْنِ أَمْرُهُ بِالتَّقْدِيرِ
- ٢- مَا هُوَ إِلَّا أَنْ مُحَمَّدٌ خَطَبَ: أَسْلَمَ لِلْوَقْتِ بِصِدْقٍ، وَذَهَبَ

ذكرنا أن النبي ﷺ بدأ يدعو وفود الحجاج، في كل موسم، والناس يسمعون بالخبر ويذهبون وينقلون إلى أقوامهم، فبسبب الدعاية المغرضة ضد النبي ﷺ شاء الله ﷻ أن ينتشر ذكره، فتوافد الناس من القبائل، ومن البلاد المختلفة؛ ليعرفوا حقيقة هذا الرجل الذي يقول: إنه نبي. ويتبينوا حقيقة هذا الدين الجديد.

فممن قدم على النبي ﷺ رجل يقال له: ضماد بن ثعلبة الأزدي، وكان ذلك في السنة الخامسة من البعثة.

وخبره في صحيح مسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنه: «أَنَّ ضِمَادًا، قَدِمَ مَكَّةَ وَكَانَ مِنْ أَزْدِ شَنْوَاءَ، وَكَانَ يَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ، فَسَمِعَ سُفَهَاءَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، يَقُولُونَ: إِنَّ مُحَمَّدًا مَجْنُونٌ، فَقَالَ: لَوْ أَنِّي رَأَيْتُ هَذَا الرَّجُلَ لَعَلَّ اللَّهَ يَشْفِيهِ عَلَى يَدَيَّ، قَالَ فَلَقِيَهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي أَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ، وَإِنَّ اللَّهَ يَشْفِي عَلَى يَدَيَّ مِنْ شَاءَ، فَهَلْ لَكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ» قَالَ: فَقَالَ: أَعِدْ عَلَيَّ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ، فَأَعَادَهُنَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالَ: فَقَالَ: لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكَهَنَةِ، وَقَوْلَ السَّحَرَةِ، وَقَوْلَ الشُّعْرَاءِ، فَمَا سَمِعْتُ مِثْلَ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ، وَلَقَدْ بَلَغَنَّا عُوسَ الْبَحْرِ، قَالَ: فَقَالَ: هَاتِ يَدَكَ أَبَايَعُكَ عَلَى الْإِسْلَامِ، قَالَ: فَبَايَعَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَعَلَى قَوْمِكَ»، قَالَ: وَعَلَى قَوْمِي، قَالَ: فَبَعَثَ رَسُولُ

الله ﷺ سَرِيَّةً، فَمَرُّوا بِقَوْمِهِ، فَقَالَ صَاحِبُ السَّرِيَّةِ لِلْجَيْشِ: هَلْ أَصَبْتُمْ مِنْ هَؤُلَاءِ شَيْئًا؟
فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَصَبْتُ مِنْهُمْ مِطْهَرَةً، فَقَالَ: رُدُّوْهَا، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ ضِمَادٌ^[١]

فضماد أسلم بسبب خطبة الحاجة فقط، سمع خطبة الحاجة فشرح الله صدره
للإسلام فهذا معنى قوله:

٢- مَا هُوَ إِلَّا أَنْ مُحَمَّدٌ خَطَبَ: أَسْلَمَ لِلْوَقْتِ بِصَدَقٍ، وَذَهَبَ

يعني ما هو إلا أن خطب النبي ﷺ خطبة الحاجة إذا به يُسَلِّمَ ويرجع إلى قومه
مسلمًا.

ذِكْرُ أَذَى قَرِيشَ لِنَبِيِّ اللَّهِ ﷺ وَلِلْمُسْتَضْعَفِينَ.

١- وَأُؤْذِيَ النَّبِيُّ مَا لَمْ يُؤْذَا مَنْ قَبْلَهُ مِنَ النَّبِيِّينَ، وَذَا:

٢- مِمَّا يُضَاعِفُ لَهُ الْأُجُورَا وَلَوْ يَشَاءُ دُمُرُوا تَدْمِيرَا

يقول: إن النبي ﷺ أُؤذي ما لم يؤذَ مَنْ قبله من النبيين، وسنذكر شيئاً من الأذى الذي تعرض له النبي ﷺ من قريش ومن أهل الطائف.

فالنبي ﷺ كان قومه كانوا يستهزئون به ويسخرون منه ويقولون: هو مجنون، ويقولون: ساحر، كذاب.. إلخ، وهذا نوع من الأذى المعنوي، وقد ألحقوا به الأذى الحسي أيضاً بضربه ﷺ وإلقاء الأذى على ظهره الشريف، ومحاولة قتل النبي ﷺ فتعرض لأذى كثير في الفترة المكية، وبلغ الأذى مداه لما ذهب النبي ﷺ إلى الطائف فوقفوا له صفين للنبي ﷺ بعد أن سخروا منه، واستهزؤوا به ﷺ وقفوا صفين والنبي ﷺ يمر يرجمونه بالحجارة ﷺ حتى أدموا عقبه ﷺ، أو أدموا رجليه من الجروح وهم يضربونه بالحجارة على قدميه ﷺ.

الناظم هنا يقول: إن النبي ﷺ أُؤذي ما لم يؤذَ نبي قبله، وفي الصحيحين من حديث ابن مسعود ﷺ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ، أَثَرُ النَّبِيِّ ﷺ أَنَسًا فِي الْقِسْمَةِ، فَأَعْطَى الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ، وَأَعْطَى عُيَيْنَةَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَأَعْطَى أَنَسًا مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ فَأَثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْقِسْمَةِ، قَالَ رَجُلٌ: وَاللَّهِ إِنَّ هَذِهِ الْقِسْمَةَ مَا عُدِلَ فِيهَا، وَمَا أُريدَ بِهَا وَجْهُ اللَّهِ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا أُخْبِرَنَّ النَّبِيَّ ﷺ فَأَتَيْتُهُ، فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: «فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ يَعْدِلِ اللَّهُ

وَرَسُولُهُ؟ رَحِمَ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرٍ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ^[١]

فقال النبي ﷺ: «يرحم الله أخي موسى أُوذِيَ بِأَكْثَرٍ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ»؛ قال شُرَّاح الحديث: هذا من تواضع النبي ﷺ أن يقول: «أُوذِيَ موسى بِأَكْثَرٍ مِنْ هَذَا»، فبعض العلماء يقول: إن النبي ﷺ هو أَكْثَرُ مَنْ تَعَرَّضَ لِلأَذَى فِي دَعْوَتِهِ إِلَى الْإِسْلَامِ، لَكِنَّهُ كَانَ يَسْتَقِلُّ مَا أَصَابَهُ مِنَ الْأَذَى وَيَقُولُ: إِنَّ مَنْ قَبْلَهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ أُوذُوا بِأَكْثَرٍ مِمَّا أُوذِيَ بِهِ ﷺ. ولو يشاء النبي ﷺ لَدُمُّرُوا تَدْمِيرًا؛ لِأَنَّ اللَّهَ ﷻ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ مَلِكَ الْجِبَالِ وَخَيْرَهُ أَنْ يُطَبِّقَ الْجَبَلِينَ عَلَيْهِمْ فَيَدْمِرُهُمْ عَنْ آخِرِهِمْ ﷻ، لَكِنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ وَقَالَ: أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ.

٣- لَكِنَّهُمْ إِذْ أَضْمَرُوا الضَّغَائِنَ مَا مُكَّنُّوا، فَاسْتَزَعَفُوا مَنْ آمَنَّا

يقول: كانوا يضمرون الضغائن في قلوبهم، ولم يتمكنوا من إظهار ما أضمره من الضغائن إلا على المستضعفين، ولو كان الأمر بيدهم لانتقموا من النبي ﷺ، ومن جميع مَنْ أَسْلَمَ، لَكِنْ كَانَ الْأَذَى الْحَسِي كَانَ يَنَالُ الصَّحَابَةَ ﷺ عَلَى دَرَجَاتٍ مُتَفَاوِتَةٍ؛ فَكُلُّ مَنْ كَانَ لَهُ عَشِيرَةٌ وَقَرَابَةٌ يَدَافِعُونَ عَنْهُ كَانَ يَنَالُهُ مِنَ الْأَذَى أَخَفُّ مِمَّا يَنَالُ مَنْ كَانَ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْعَبِيدِ وَالْمَوَالِي وَالْغُرَبَاءِ، مِمَّنْ لَا يَدَافِعُ أَحَدٌ عَنْهُمْ وَيَتَصَدَّى لِأَعْدَائِهِمْ.

فكان مشركو قريش يضمرون الضغينة والأحقاد على المسلمين في قلوبهم، ويُظهرون منها ما يتمكنوا من إظهاره.. (فَاسْتَزَعَفُوا مَنْ آمَنَّا).

[١] متفق عليه: البخاري ٣١٥٠ ومسلم ١٠٦٢.

٤- عَمَّارًا الطَّيِّبَ أُمُّهُ أَبُهُ أُمُّ بِلَالٍ، وَبِلَالًا عَذَّبَهُ:

(عَمَّارًا الطَّيِّبَ أُمُّهُ أَبُهُ) يعني: أمه، وأباه.

(أُمُّ بِلَالٍ، وَبِلَالًا عَذَّبَهُ) يقول: مَمَّنْ أُوذِيَ: عمار بن ياسر، وأمه سمية بنت الخياط، وأبوه ياسر العنسي رضي الله عنه، وكذلك أم بلال وابنها بلال.

وأم بلال اسمها: حمامة رضي الله عنها وأرضاها كانت أيضًا مَمَّنْ أُوذِيَ في الله ﷻ وتعرض لتعذيب قريش.

٥- أُمِّيَّةٌ، وَمِنْهُمْ جَارِيَةٌ وَمِنْهُمْ زَنْبَرَةٌ الرُّومِيَّةُ

(وَبِلَالًا عَذَّبَهُ: أُمِّيَّةٌ) الذي عَذَّبَ بلالًا هو أُمِّيَّة بن خلف، ولهذا لما رآه بلال رضي الله عنه في غزوة بدر، قال: رأس الكفر، لا نجوت إن نجا، وقتله.

فأُمِّيَّة كان يُعَذَّبُ بلالًا رضي الله عنه ويضع على صدره الصخرة العظيمة في الحر، ويُجرِّده من ثيابه، وكان بلال رضي الله عنه يقول: أحد أحد، يعني لا يزيد على قوله: أحد أحد، يوحد الله ﷻ وهم يُعَذِّبُونَهُ.

فأُمِّيَّة بن خلف هو الذي كان يعذب بلالًا وأمه رضي الله عنها.

قال: (ومنهم جارية) يعني جارية اسمها: أم عمرو، من الصحابيات رضي الله عنهن من بني عدي مَمَّنْ أُوذِيَ أيضًا وعُذِّبَتْ رضي الله عنها.

وزنبرة الرومية رضي الله عنها كانت جارية من الروم، وكانت لبني عبد الدار، فلما أسلمت عميت، فقال مشركو قريش: أعمتها اللات والعزى، فردَّ الله عليها بصرها.

أحيانًا المؤمن لما يُسَلِّمَ يمتحنه الله ﷻ ليختبر صدقه، فهذه أول ما أسلمت عميت،

فقالوا: أعمتها اللات والعزى، لكنها صبرت وثبتت على إسلامها، فردَّ الله ﷻ عليها بصرها، وكانوا يعذبونها ﷻ.

٦- كَذَاكَ أُمُّ عَنَسٍ وَأَبْنَتُهَا وَأَبْنُ فَهَيْرَةٍ فَذِي سَبْعَتِهَا

(كَذَاكَ أُمُّ عَنَسٍ وَأَبْنَتُهَا) أم عنس وهي أمة لبني تميم بن مرة، أسلمت فعُذبت ﷻ.
(وَأَبْنَتُهَا) بنت أم عنس ﷻ أيضًا ممَّنْ أسلمت في تلك الفترة وتعرضت لتعذيب شديد وثبتت على دينها.

(وَأَبْنُ فَهَيْرَةٍ فَذِي سَبْعَتِهَا) ابن فهيرة عامر بن فهيرة ﷻ الذي كان عبدًا لطفيل واشتراه أبو بكر فأعتقه.

٧- ابْتَاغَهَا الصَّدِيقُ، ثُمَّ أَعْتَقَ جَمِيعَهُمْ لِلَّهِ بَرًّا وَصَدَقَ

فهؤلاء السبعة من أشدَّ مَنْ كان يُعَذَّب في الله ﷻ وكلهم كانوا من الموالي، هم: عمار بن ياسر، وأمه، وأبوه، وبلال، وأمه، وأبوه، وجارية وهي أم عمرو، وزنبرة الرومية، وأم عنس وابنتها، وعامر بن فهيرة.

فهؤلاء سبعة ﷻ كانوا من الموالي، وكانوا يُعَذَّبون تعذيبًا شديدًا فاشتراهم أبو بكر الصديق ﷻ بماله من مواليهم وأعتقهم لله ﷻ وعاتبه أبوه -وكان مشركًا في ذلك الوقت- لأنه كان يعتق العبيد الضعفاء، وكان أبوه يريد منه أن يعتق الشبان الأقوياء؛ حتى يدافعوا عنه، ويناصروه، فكان يقول له: إنه يعتقهم لله ﷻ لا يريد منهم جزاء ولا شكورًا، وإنما يريد فضل الله ﷻ.

ذكر انشقاق القمر

- ١- وَإِذْ بَغَتْ مِنْهُ قُرَيْشٌ أَنْ يُرَى
- ٢- فَصَارَ فِرْقَتَيْنِ: فِرْقَةٌ عَلَتْ
- ٣- وَذَاكَ مَرَّتَيْنِ بِالْإِجْمَاعِ
- ٤- زَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا
- ٥- وَقَالَ: «ذَا سِحْرٌ»، فَجَاءَ السَّفَرُ
- أَيَّا، أَرَاهُمْ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ
- وَفِرْقَةٌ لِلطَّوْدِ مِنْهُ نَزَلَتْ
- وَالْتَصَّ وَالتَّوَاتُرِ السَّمَاعِي
- وَلَأَيَّ جَهْلٍ بِهِ طُغْيَانًا
- كُلُّ بِهِ مُصَدِّقٌ مُقَرَّرٌ

من معجزات النبي ﷺ العظيمة، التي جاءت الإشارة إليها في كتاب الله: معجزة انشقاق القمر، قال الله تعالى: ﴿أَقْرَبَتْ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١].

انشقاق القمر للنبي ﷺ كان شرطاً من أشراف الساعة، يعني من علامات الساعة، فبعثة النبي ﷺ، وموته، وانشقاق القمر له ﷺ هذه كلها من علامات الساعة الصغرى، يعني التي لا تدل على القرب الشديد، ولكن القرب النسبي بالنسبة لما مضى من الزمان.

(بَغَتْ) قريش من النبي ﷺ: يعني طلبت من النبي ﷺ (أَنْ يُرَى أَيَّا) أَنْ يريهم آية ومعجزة، جاءت قريش إلى النبي ﷺ وطلبوا منه أَنْ يريهم معجزة وشيئاً من خوارق العادات كما جاء الأنبياء قبله بمعجزات وخوارق؛ حتى يؤمنوا به، وقالوا له: لو أتيتنا بمعجزة خارقة نؤمن بك. فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رضى الله عنه - «أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً، فَأَرَاهُمُ الْقَمَرَ شَقَّتَيْنِ، حَتَّى رَأَوْا حِرَاءَ بَيْنَهُمَا» [١]

فجمعهم النبي ﷺ ليلة أربع عشر، ليلة اكتمال البدر، وقال لهم النبي ﷺ: إنه سيريهم القمر مشقوقاً فرقتين أو فلقيتين - في بعض الروايات: فرقتين أو فلقيتين -، وأنه لو أراهم ذلك هل يؤمنون به ، ووعدوه أن يؤمنوا.

فانشق القمر:

٢- فَصَارَ فِرْقَتَيْنِ: فِرْقَةٌ عَلَتْ وَفِرْقَةٌ لِلطُّودِ مِنْهُ نَزَلَتْ

الطود: هو الجبل، وقالوا: المقصود هنا جبل أبي قبيس -جبل بجوار الكعبة- فأراهم النبي ﷺ القمر مشقوقاً نصفين: نصفاً عاليًا، ونصفاً نازلًا، يعني: نصفه فوق الجبل ونصفه نازل مفصول عن النصف الآخر.

قال:

٣- وَذَاكَ مَرَّتَيْنِ بِالْإِجْمَاعِ وَالنَّصِّ وَالتَّوَاتُرِ السَّمَاعِيِّ

أكثر الأحاديث فيها أن القمر انشق فرقتين أو فلقيتين، لكن جاء في رواية في «سنن الترمذي» أن القمر انشق مرتين، وأكثر العلماء على أن هذه الرواية فيها تصحيف أو وهم من الراوي، وأن المقصود فرقتين وليس مرتين، أن القمر انشق فرقتين يعني قسمين، وليس المقصود أنه انشق مرتين كما ورد في رواية الترمذي.

فإذا قوله: (بِالْإِجْمَاعِ وَالنَّصِّ وَالتَّوَاتُرِ السَّمَاعِيِّ) يقصد يعني أصل حادثة انشقاق القمر، وليس كونه مرتين، فالإجماع والنص والتواتر: أن القمر انشق للنبي ﷺ، لكن أما كونه مرتين فبالعكس، فأكثر العلماء يقولون: إن الرواية التي فيها انشقاق القمر مرتين يعني هذه وهم، وأن الصواب: فرقتين.

قال: (زَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا) المؤمنون ازدادوا إيمانًا لما رأوا هذه المعجزة العظيمة.

(وَلَا يَبِي جَهْلٍ بِهِ طُغْيَانًا) أما أبو جهل فازداد طغياناً برؤية هذه المعجزة.

(وَقَالَ: «ذَا سِحْرٌ») أبو جهل وضع يديه في عينيه، وقال: سحر محمد أعيننا، فقال بعض الحاضرين: لئن سحر محمد أعينكم فلن يسحر أعين الناس جميعاً، فانتظروا حتى يأتي المسافرون، ونسألهم هل رأوا القمر ليلة أربع عشرة مشقوقاً أم لا ؟ فإذا كان أهل البلاد الأخرى لم يروا هذا فهذا سحر لأعين الحاضرين.
(فَجَاءَ السَّفَرُ) أي: جاء المسافرون.

(كُلُّ بِهِ مُصَدِّقٌ مُقَرَّرٌ) فجاءت القوافل التجارية والمسافرون يتوافدون على مكة، وكلهم يخبرون أنهم رأوا حادثة عجيبة في ليلة أربع عشرة، رأوا القمر مشقوقاً فرقتين، وأخذوا يتحدثون بهذا، فكان هذا علامة على صدق رسول الله ﷺ، ورغم ذلك لم يؤمنوا به ﷺ ولم يتبعوه!

ولهذا فإنه جاء كثيراً في كتاب الله ﷻ التنبيه على أنه ليس مجيء الآيات هو الذي يكون سبباً لإيمان مَنْ لم يشأ الله ﷻ إيمانه، وأن الذين كفروا لا يتوقف إيمانهم على رؤية الآيات. قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾ [الأنعام: ٢٥] لأن الأصل الذي يدل على قدرة الله ﷻ وعظمته هو هذه المخلوقات العظيمة، فدائمًا الله ﷻ يلفت انتباه الناس إلى التأمل في مخلوقاته العظيمة، التأمل في خلق السموات وخلق الأرض وخلق الإنسان، وهذه الكواكب، والشمس والقمر، كيف تتحرك وتسير بهذا النظام المحكم، وأعضاء جسمك أنت لا تحركها: القلب والأعضاء، وتسير على أبداع نظام وأحكم نظام، لا بد لها من موجد أو جدها، فإذا كان الإنسان لا يستدل بهذه الأمور رغم أنها كلها تعتبر آيات عظيمة.

ولهذا فإن المشركين رأوا معجزات عظيمة ومع ذلك لم يؤمنوا، والأنبياء السابقون

أتوا بمعجزات وأتوا بخوارق للعادات، ومع ذلك فإن المشركين عاندوا ولم يؤمنوا.
فالقصد: أن مَنْ كفر مهما رأى من خوارق العادات، فلن يزيده ذلك إلا كفرًا وطغيانًا، ولهذا لم يُجِبِ الله ﷻ طلبهم بعد ذلك لما صاروا يطلبون من النبي ﷺ آيات فكان الله ﷻ لا يجيب طلبهم، فالآيات لا تأتي على حسب أهواء الطالبين؛ لأنه مهما جاءت، ومهما رأوا آيات عظيمة لم يؤمنوا، فليس هناك حكمة في أن يريهم الله تعالى - رغم قدرته ﷻ - مزيدًا من الآيات؛ لأنهم رأوا ما فيه الكفاية ولم يؤمنوا.

فلذلك لما قالوا للنبي ﷺ: ﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ۝٩٠ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّحِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ۝٩١ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ۝٩٢ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرِفٍ أَوْ تَرْفَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُفْيِكَ حَتَّىٰ تُنْزَلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُوهُ ۚ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ۝٩٣ ﴾ [الإسراء: ٩٠-٩٣].

وقال: ﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ۚ وَءَايِنَا ثُمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا ۝٥٩ ﴾ [الإسراء: ٥٩] ..

يعني الله ﷻ ما منعه أن يرسل بالآيات - الآيات: أي المعجزات الخوارق للعادات - إلا أن كذب بها الأولون ﴿ وَءَايِنَا ثُمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً ۝٥٩ ﴾ [الإسراء: ٥٩] يعني آية بيّنة واضحة ﴿ فَظَلَمُوا بِهَا ۝٥٩ ﴾ [الإسراء: ٥٩] إلى آخر الآيات الكريمة.

ذكر الهجرتين إلى النجاشي وحصر بني هاشم في الشعب.

هذا الباب يذكر فيه حادثتين من حوادث سيرة النبي ﷺ: هما الهجرة الأولى، والهجرة الثانية، إلى الحبشة وكان الدافع إلى هاتين الهجرتين: هو إيذاء مشركي قريش للصحابة ﷺ وتعذيبهم. اشتد الأذى بأصحاب النبي ﷺ، واشتد تعذيب المشركين وإيذاؤهم للصحابة ﷺ، فقال لهم النبي ﷺ: «إن بالحبشة ملكاً لا يُظلم عنده أحد».

وكلمة الحبشة في ذلك الوقت كانت تُطلق على البلاد المسماة الآن: الصومال، وجيبوتي، وإريتريا، وإثيوبيا، وأجزاء من السودان، كل هذه المنطقة كان يُطلق عليها بلاد الحبشة، ليست حسب التقسيمات السياسية الآن.

والمنطقة التي نزلها الصحابة ﷺ هي القريية من الساحل، وهي تعتبر الآن أرض الصومال، يعني هذه البلاد شرفها الله ﷻ باستضافة أصحاب رسول الله ﷺ ونصرتهم وإيوائهم.

فالنبي ﷺ قال لأصحابه: «إن بالحبشة ملكاً لا يُظلم عنده أحد» يعني أذن لهم النبي ﷺ أن يهاجروا إلى هناك؛ لعل الله ﷻ يجعل لهم فرجاً ومخرجاً، قال: «لعل الله يجعل لكم فرجاً ومخرجاً»، وأذن لهم ﷺ أن يهاجروا إلى الحبشة فراراً بدينهم من أذى قومهم.

١- لَمَّا فَشَا الْإِسْلَامَ وَاشْتَدَّ عَلَى مَنْ أَسْلَمَ الْبَلَاءُ: هَاجَرُوا إِلَى

٢- أَصْحَمَةٍ فِي رَجَبٍ مِنْ سَنَةِ خَمْسٍ مَضَتْ لَهُمْ مِنَ التَّوْبَةِ

(لَمَّا فَشَا الْإِسْلَامَ) أي: انتشر أمر الإسلام والدعوة إلى الإسلام في مكة وحولها،

وصاحب الدعوة العلنية اشتداد الإيذاء على النبي ﷺ ومن معه.

(أَصْحَمَةَ) هو اسم النجاشي ملك الحبشة، (النجاشي) هو لقب على كل من ملك الحبشة، قبل الإسلام كان يُطلق على كل من ملك الحبشة (النجاشي)، كما كان يُطلق على من ملك الفرس (كسرى)، وعلى من ملك الروم (قيصر) وهكذا، فمن حكم الحبشة، وملكها يقال له: (النجاشي).

واسم النجاشي الذي هاجر إليه الصحابة اسمه: أصحمة ﷺ ورحمه الله.

فقال: لما اشتد البلاء على الصحابة قال لهم النبي ﷺ: «تفرقوا في الأرض فسيجمعكم الله» قالوا: إلى أين نذهب؟ قال: «هاجروا إلى أرض الحبشة؛ فإن بها ملكاً لا يُظلم عنده أحد، وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً»؛ فخرج المسلمون فراراً بدينهم.

وكان ذلك في شهر رجب سنة خمسة من البعثة.

٣- خَمْسٌ مِنَ النِّسَاءِ، وَاثْنَا عَشَرَ مِنَ الرِّجَالِ، كُلُّهُمْ قَدْ هَاجَرَا

ثم ذكر أسماء هؤلاء المهاجرين كان عددهم خمس نسوة واثنى عشر رجلاً؛ فالمجموع سبعة عشر مهاجراً إلى الحبشة.

٤- عُثْمَانُ مَعَ زَوْجَتِهِ رُقِيَّةَ أَسْبَقَهُمُ لِلْهَجْرَةِ الْمَرْضِيَّةِ

عثمان بن عفان، وزوجته رقية بنت رسول الله ﷺ (أَسْبَقَهُمُ لِلْهَجْرَةِ الْمَرْضِيَّةِ) أول من هاجر إلى الحبشة.

وكانت العادة أنهم يهاجرون عن طريق مكة، فميناء جدة فيه المراكب تنتقل إلى الحبشة، وكانت هناك تجارة بين أهل الحبشة وأهل الحجاز، يأتي التجار، وينقلون بضائع من الحبشة إلى الحجاز، ويجلبون البضائع من الحجاز إلى الحبشة فذهبوا إلى ساحل البحر وانتظروا مركبًا وركبوا معهم وعبروا إلى الحبشة.

فهنا يذكر المهاجرين إلى الحبشة، الهجرة الأولى: قال: كانوا سبعة عشر (خمس من النساء، واثنان عشر رجلًا) أولهم: كان عثمان بن عفان، وزوجته رقية بنت محمد ﷺ ورضي الله عنها.

٤- عُثْمَانُ مَعَ زَوْجَتِهِ رُقِيَّةً أَسْبَقَهُمْ لِلْهَجْرَةِ الْمَرْضِيَّةِ

٥- مُصْعَبُ وَالزُّبَيْرُ وَابْنُ عَوْفٍ وَحَاطِبٌ، فَأَمِنُوا مِنْ خَوْفٍ

من المهاجرين أيضًا مصعب بن عمير، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، كل هؤلاء هاجروا إلى الحبشة ﷺ.

وحاطب: هو حاطب بن عمرو، وهو من السابقين الأولين إلى الإسلام مر ذكره، قال: (وَحَاطِبٌ).

(فَأَمِنُوا مِنْ خَوْفٍ) كلهم أمنوا من الخوف بهجرتهم إلى الحبشة.

٦- كَذَا ابْنُ مَظْعُونِ ابْنُ مَسْعُودٍ أَبُو سَلَمَةَ، وَزَوْجُهُ تُصَاخِبُ

من ضمن المهاجرين إلى الحبشة عثمان بن مظعون ﷺ، وعبد الله بن مسعود ﷺ، وأبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي، وزوجته أم سلمة ﷺ. وأبو سلمة من السابقين الأولين إلى الإسلام ﷺ، وهاجر هو وزوجته أم سلمة إلى الحبشة، وتزوجها النبي ﷺ.

بعد وفاة أبي سلمة رضي الله عنه.

فزوجته هي أم سلمة: هند بنت أبي أمية (تُصَاحِبُ) يعني صاحبته في الهجرة.

٧- أَبُو حَذِيفَةَ أَبُوهُ عُتْبَةُ وَزَوْجُهُ بِنْتُ سُهَيْلٍ سَهْلَةُ

(أَبُو حَذِيفَةَ أَبُوهُ عُتْبَةُ) أبو حذيفة أبوه عتبة بن ربيعة.

(وَزَوْجُهُ بِنْتُ سُهَيْلٍ سَهْلَةُ) زوجة أبي حذيفة اسمها سهلة بنت سهيل.

٨- وَابْنُ عُمَيْرٍ هَاشِمٌ، وَعَامِرُ ابْنُ رَيْعَةَ الْحَلِيفُ النَّاصِرُ

من المهاجرين إلى الحبشة: هاشم بن عمير بن عبد مناف رضي الله عنه، ومن المهاجرين أيضاً: عامر بن ربيعة، قال: (الْحَلِيفُ النَّاصِرُ) هو حليف لآل الخطيب، وكان ناصراً يعني ناصراً للدين يعني وللإسلام.

٩- وَزَوْجُهُ لَيْلَى، أَبُو سَبْرَةَ مَعَ زَوْجَتِهِ أَيَّ أُمِّ كُلْثُومٍ جَمْعُ

(وَزَوْجُهُ لَيْلَى) زوجة عامر بن ربيعة، زوجته ليلى بنت أبي خيثمة العدوية رضي الله عنه، كانت من المهاجرات إلى الحبشة.

من المهاجرين أيضاً: أبو سبرة بن عبد العزى العامري رضي الله عنه ومعه زوجته، اسمها: أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو.

(جَمْعُ): يعني أجمعين، هؤلاء جميعاً هاجروا إلى الحبشة.

١٠- وَخَرَجَتْ (قُرَيْشٌ) فِي الْآثَارِ لَمْ يَصْلُوا مِنْهُمْ لِأَخْذِ الثَّارِ

١١- فَجَاوَرُوهُ فِي أْتَمِّ حَالٍ ثُمَّ أَتَوْا مَكَّةَ فِي شَوَّالٍ

الذي حصل أن قريشاً اكتشفت هجرة هؤلاء الصحابة السبعة عشر إلى الحبشة فخرجت على آثارهم إلى ساحل البحر تريد اللحاق بهم، فخرجوا وراءهم فوجدوهم قد ركبوا السفن وعبروا البحر ولم يستطيعوا أن يدركوهم.

فقال: (فَجَاوَرُوهُ فِي أْتَمِّ حَالٍ) يعني جاؤوا أصحمة النجاشي في أتم حال.

(ثُمَّ أَتَوْا مَكَّةَ فِي شَوَّالٍ) يعني مكثوا فقط ثلاثة أشهر، هذه مدة الهجرة الأولى إلى الحبشة كانت ثلاثة أشهر فقط من شهر رجب وعادوا في شوال. وسبب رجوعهم إلى مكة: شائعة أشيعت ووصلت إليهم في الحبشة، جاءت أخبار من مكة أن أهل مكة قد أسلموا وآمنوا بمحمد ﷺ وصاروا يصلون معه، فسمعوا الخبر فرجعوا بعد ثلاثة أشهر (في شَوَّالٍ).

١٢- مِنْ غَايِهِمْ إِذْ قِيلَ: «أَهْلُ مَكَّةَ قَدْ أَسْلَمُوا»، وَلَمْ يَكُنْ بِالثَّبَتِ

(وَلَمْ يَكُنْ بِالثَّبَتِ) يعني لم يكن هذا الخبر خبراً صحيحاً.

وقصة هذه الشائعة: أن النبي ﷺ كان قد قرأ على مشركي قريش سورة النجم في المسجد الحرام، وكانوا ملأ من كبراء قريش، فتلا عليهم النبي ﷺ سورة النجم حتى بلغ آخرها: ﴿فَاعْبُدُوا اللَّهَ وَعَبُدُوا﴾ [النجم: ٦٢]، فسجد النبي ﷺ فسجدوا معه كما في صحيح البخاري عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَجَدَ بِالنَّجْمِ، وَسَجَدَ مَعَهُ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ وَالْحِنُّ وَالْإِنْسُ»^[١] فالمشركون من تأثرهم بالقرآن العظيم سجدوا مع

النبي ﷺ، رغم أنهم كفار لكن سجدوا مع النبي ﷺ فبعض مَنْ رَأَى النبي ﷺ يسجد ووراءه أبو جهل، وأبو لهب، ومشركو قريش يسجدون معه فأُشيع أن المشركين يصلون مع النبي ﷺ أو يسجدون معه، على ما وصل الخبر إلى الحبشة أن مشركي قريش قد أسلموا.

هناك رواية في سندها ضعف شديد وهي مردودة، والشيخ الألباني رحمه الله ألف في تضعيفها كتاباً سماه: «نصب المجانيق في تضعيف قصة الغرائق» وهذه الرواية تُذكر في سبب سجود المشركين، يزعمون أن النبي ﷺ حين قرأ قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّتَ وَالْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْآخِرَىٰ ۝٢٠﴾ [النجم: ١٩-٢٠]، يزعمون أن الشيطان ألقى على لسان النبي ﷺ جملة: "تلك الغرائق العلا، وإن شفاعتهن لترتجى" تلك الغرائق العلا: والغرائق جمع غرنوق، الغرنوق: طائر أبيض كبير يُضرب به المثل في الحُسن والجمال، فهذا هو سبب سجود مشركي قريش- في تلك الرواية المزعومة- أنه عظم ألتهم في القراءة، يزعمون أن الشيطان أجرى هذا على لسان النبي ﷺ!

وبعض المفسرين أخذ بهذه الرواية وفَسَّرَ قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ءَايَتِهِ﴾ [الحج: ٥٢] التمني: هو التلاوة ﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ [الحج: ٥٢] يعني في تلاوته، فيزعمون أن المقصود أن الشيطان أجرى على لسانه كلاماً ليس من كلام الله ﷻ وهذا ليس بصحيح، والصواب: في تفسير آية الحج أن قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى﴾ [الحج: ٥٢] يعني إذا تلا الكتاب الذي يتلوه ﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ [الحج: ٥٢] يعني ألقى الشيطان شبهات وتشكيكات في نفوس المستمعين لتلاوة النبي، فيلقي الشبهات يعني يحاول أن يُشكِّكهم فيما يتلوه النبي من

كتاب الله، وليس المقصود: أن الشيطان يُجري كلامًا على لسان النبي، ليس من كلام الله تعالى، ﴿فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ءَايَتِهِ﴾ [الحج: ٥٢] الله تعالى ينسخ: يعني يزيل هذه الشبهات، ويدحضها ويحكم الله ﷻ آياته.

الشاهد: أن الخبر وصل إلى أهل الحبشة أن أهل مكة أسلموا فرجع المهاجرون

ﷺ.

١٣- فَاسْتَقْبَلُوهُمْ بِالْأَذَى وَالشَّدَّةِ فَرَجَعُوا لِلْهَجْرَةِ الثَّانِيَةِ

١٤- فِي مِئَةِ عَدِّ الرِّجَالِ، مِنْهُمْ اِثْنَانِ مِنْ بَعْدِ الثَّمَانِينَ هُمْ

فالذي حصل: أنهم لما رجعوا استقبلتهم قريش بالأذى الشديد، وضاعفوا عليهم التعذيب والإيذاء.

فحينئذ هاجروا إلى الحبشة مرة ثانية، نفس المهاجرين الذين هاجروا الهجرة الأولى وأخذوا معهم في المرة الثانية عددًا أكبر، فكان مجموع المهاجرين للهجرة الثانية إلى الحبشة مئة مهاجر، عدد الرجال منهم اثنان وثمانون والباقون من النساء ثمانية عشر.

١٥- فَتَزَلُّوا عِنْدَ النَّجَاشِيِّ عَلَى أَتَمَّ حَالٍ، وَتَغَيَّظَ الْمَلَأَ

١٦- عَلَى النَّبِيِّ وَعَلَى أَصْحَابِهِ وَكَتَبَ الْبَغِيضُ فِي كِتَابِهِ

١٧- عَلَى بَنِي هَاشِمٍ الصَّحِيفَةَ

قصة الهجرة إلى الحبشة ذكرها الإمام أحمد كاملة في مسنده عن أم سلمة رضي الله عنها: قَالَتْ: لَمَّا نَزَلْنَا أَرْضَ الْحَبَشَةِ، جَاوَرْنَا بِهَا خَيْرَ جَارٍ: النَّجَاشِيَّ، أَمَّا عَلَى دِينِنَا، وَعَبَدْنَا اللَّهَ لَا

نُودَى، وَلَا نَسْمَعُ شَيْئًا نَكَرَهُهُ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ قُرَيْشًا، اتَّعَمَرُوا أَنْ يَبْعَثُوا إِلَى النَّجَاشِيِّ فِينَا رَجُلَيْنِ جَلْدَيْنِ، وَأَنْ يُهْدُوا لِلنَّجَاشِيِّ هَدَايَا مِمَّا يُسْتَطَرَفُ مِنْ مَتَاعِ مَكَّةَ، وَكَانَ مِنْ أَعْجَبَ مَا يَأْتِيهِ مِنْهَا إِلَيْهِ الْأَدَمُ، فَجَمَعُوا لَهُ أَدَمًا كَثِيرًا، وَلَمْ يَتْرُكُوا مِنْ بَطَارِقَتِهِ بِطَرِيقًا إِلَّا أَهْدَوْا لَهُ هَدِيَّةً، ثُمَّ بَعَثُوا بِذَلِكَ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ الْمَخْزُومِيِّ، وَعَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ بْنِ وَائِلِ السَّهْمِيِّ، وَأَمَرُوهُمَا أَمْرَهُمْ، وَقَالُوا لَهُمَا: ادْفَعُوا إِلَى كُلِّ بِطَرِيقٍ هَدِيَّتَهُ، قَبْلَ أَنْ تُكَلِّمُوا النَّجَاشِيَّ فِيهِمْ، ثُمَّ قَدَّمُوا لِلنَّجَاشِيِّ هَدَايَاهُ، ثُمَّ سَلَوْهُ أَنْ يُسَلِّمَهُمْ إِلَيْكُمْ قَبْلَ أَنْ يُكَلِّمَهُمْ، قَالَتْ: فَخَرَجَا فَقَدِمَا عَلَى النَّجَاشِيِّ، وَنَحْنُ عِنْدَهُ بِخَيْرِ دَارٍ، وَعِنْدَ خَيْرِ جَارٍ، فَلَمْ يَتَّقْ مِنْ بَطَارِقَتِهِ بِطَرِيقٍ إِلَّا دَفَعَا إِلَيْهِ هَدِيَّتَهُ قَبْلَ أَنْ يُكَلِّمَا النَّجَاشِيَّ، ثُمَّ قَالَا لِكُلِّ بِطَرِيقٍ مِنْهُمْ: إِنَّهُ قَدْ صَبَا إِلَى بَلَدِ الْمَلِكِ مِنَّا غِلْمَانٌ سُفَهَاءُ، فَارْقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكُمْ، وَجَاءُوا بِدِينٍ مُبْتَدَعَ لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتُمْ، وَقَدْ بَعَثْنَا إِلَى الْمَلِكِ فِيهِمْ أَشْرَافُ قَوْمِهِمْ؛ لِنَرُدَّهُمْ إِلَيْهِمْ، فَإِذَا كَلَّمْنَا الْمَلِكَ فِيهِمْ، فَتُشِيرُوا عَلَيْهِ بِأَنْ يُسَلِّمَهُمْ إِلَيْنَا وَلَا يُكَلِّمَهُمْ، فَإِنَّ قَوْمَهُمْ أَعْلَى بِهِمْ عَيْنًا، وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ، فَقَالُوا لَهُمَا: نَعَمْ، ثُمَّ إِنَّهُمَا قَرَّبَا هَدَايَاهُمَا إِلَى النَّجَاشِيِّ فَقَبِلَهَا مِنْهُمَا، ثُمَّ كَلَّمَاهُ، فَقَالَا لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنَّهُ قَدْ صَبَا إِلَى بَلَدِكَ مِنَّا غِلْمَانٌ سُفَهَاءُ، فَارْقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ، وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكَ، وَجَاءُوا بِدِينٍ مُبْتَدَعَ لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ، وَقَدْ بَعَثْنَا إِلَيْكَ فِيهِمْ أَشْرَافُ قَوْمِهِمْ مِنْ آبَائِهِمْ، وَأَعْمَامِهِمْ وَعَشَائِرِهِمْ، لِنَرُدَّهُمْ إِلَيْهِمْ، فَهُمْ أَعْلَى بِهِمْ عَيْنًا، وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ وَعَاتَبُوهُمْ فِيهِ. قَالَتْ: وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَبْغَضَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ، وَعَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ مِنْ أَنْ يَسْمَعَ النَّجَاشِيَّ كَلَامَهُمْ، فَقَالَتْ بَطَارِقَتُهُ حَوْلَهُ: صَدَقُوا أَيُّهَا الْمَلِكُ، قَوْمُهُمْ أَعْلَى بِهِمْ عَيْنًا، وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ، فَأَسْلَمَهُمْ إِلَيْهِمَا، فَلِيرُدَّهُمْ إِلَى بِلَادِهِمْ وَقَوْمِهِمْ، قَالَتْ: فَغَضِبَ النَّجَاشِيُّ، ثُمَّ قَالَ: لَا هَيْمُ اللَّهِ، إِذَا لَا أُسْلِمَهُمْ إِلَيْهِمَا، وَلَا أَكَادُ قَوْمًا جَاوَرُونِي، وَنَزَلُوا بِلَادِي، وَاخْتَارُونِي عَلَى مَنْ سِوَايَ حَتَّى أَدْعُوهُمْ فَأَسْأَلَهُمْ مِذَا

يَقُولُ هَذَانِ فِي أَمْرِهِمْ، فَإِنْ كَانُوا كَمَا يَقُولَانِ أَسْلَمْتُهُمْ إِلَيْهِمَا وَرَدَدْتُهُمْ إِلَى قَوْمِهِمْ، وَإِنْ كَانُوا عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ مَنَعْتُهُمْ مِنْهُمَا، وَأَحْسَنْتُ جَوَارَهُمْ مَا جَاوَرُونِي. قَالَتْ: ثُمَّ أُرْسِلَ إِلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَدَعَاهُمْ فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولُهُ اجْتَمَعُوا، ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَا تَقُولُونَ لِلرَّجُلِ إِذَا جِئْتُمُوهُ؟ قَالُوا: نَقُولُ وَاللَّهِ مَا عَلَّمْنَا، وَمَا أَمَرْنَا بِهِ نَبِينَا ﷺ كَأَنَّ فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنٌ. فَلَمَّا جَاوَوْهُ، وَقَدْ دَعَا النَّجَاشِيَّ أَسَاقِفَتَهُ، فَنَشَرُوا مَصَاحِفَهُمْ حَوْلَهُ، سَأَلَهُمْ فَقَالَ: مَا هَذَا الدِّينُ الَّذِي فَارَقْتُمْ فِيهِ قَوْمَكُمْ، وَلَمْ تَدْخُلُوا فِي دِينِي وَلَا فِي دِينِ أَحَدٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَمِ؟ قَالَتْ: فَكَانَ الَّذِي كَلَّمَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجَوَارَ يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَ الضَّعِيفِ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِّنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ، وَصِدْقَهُ، وَأَمَانَتَهُ، وَعَفَافَهُ، « فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ لِنُوحِدَهُ، وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَأَبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجَوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ، وَالذَّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصَّيَامِ »، قَالَ: فَعَدَدَ عَلَيْهِ أُمُورَ الْإِسْلَامِ، فَصَدَّقْنَاهُ وَأَمَنَّا بِهِ وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ، فَعَبَدْنَا اللَّهَ وَحْدَهُ، فَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَحَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا، وَأَحَلَّلْنَا مَا أَحَلَّ لَنَا، فَعَدَا عَلَيْنَا قَوْمُنَا، فَعَدَّبُونَا وَفَتَنُونَا عَنْ دِينِنَا لِيَرُدُّونَا إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ، وَأَنْ نَسْتَحِلَّ مَا كُنَّا نَسْتَحِلُّ مِنَ الْحَبَائِثِ، فَلَمَّا قَهَرُونَا وَظَلَمُونَا، وَشَقُّوا عَلَيْنَا، وَحَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ دِينِنَا، خَرَجْنَا إِلَى بَلَدِكَ، وَاخْتَرْنَاكَ عَلَى مَنْ سِوَاكَ، وَرَغَبْنَا فِي جَوَارِكَ، وَرَجَوْنَا أَنْ لَا نُظْلَمَ عِنْدَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ، قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: هَلْ مَعَكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ عَنِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ؟ قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ: نَعَمْ، فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: فَاقْرَأْهُ عَلَيَّ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ صَدْرًا مِنْ (كهيعص)، قَالَتْ: فَبَكَى وَاللَّهِ النَّجَاشِيُّ

حَتَّى أَخْضَلَ لِحْيَتَهُ، وَبَكَتْ أَسَاقِفَتُهُ حَتَّى أَخْضَلُوا مَصَاحِفَهُمْ حِينَ سَمِعُوا مَا تَلَا عَلَيْهِمْ، ثُمَّ قَالَ النَّجَاشِيُّ: إِنَّ هَذَا وَالَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى لِيُخْرِجَ مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ، أَنْطَلِقَا فَوَاللَّهِ لَا أُسَلِّمُهُمْ إِلَيْكُمْ أَبَدًا، وَلَا أُكَادُ، قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: فَلَمَّا خَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ، قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: وَاللَّهِ لَا تَبْتَئُهُمْ غَدًا عَيْنُهُمْ عِنْدَهُمْ، ثُمَّ أَسْتَأْصِلُ بِهِ خُضْرَاءَهُمْ، قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رِبِيعَةَ - وَكَانَ اتَّقَى الرَّجُلَيْنِ فِينَا - لَا تَفْعَلْ؛ فَإِنَّ لَهُمْ أَرْحَامًا، وَإِنْ كَانُوا قَدْ خَالَفُونَا. قَالَ: وَاللَّهِ لَا خَبْرَئَهُ أَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَبْدٌ، قَالَتْ: ثُمَّ غَدَا عَلَيْهِ الْغَدَ، فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنَّهُمْ يَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ قَوْلًا عَظِيمًا، فَأَرْسِلْ إِلَيْهِمْ فَاسْأَلْهُمْ عَمَّا يَقُولُونَ فِيهِ، قَالَتْ: فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ يَسْأَلُهُمْ عَنْهُ، قَالَتْ: وَلَمْ يَنْزِلْ بِنَا مِثْلُهُ، فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَاذَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى إِذَا سَأَلَكُمْ عَنْهُ؟ قَالُوا: نَقُولُ وَاللَّهِ فِيهِ مَا قَالَ اللَّهُ، وَمَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا كَانِيًا فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنٌ، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ، قَالَ لَهُمْ: مَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ؟ فَقَالَ لَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: نَقُولُ فِيهِ الَّذِي جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا: هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَرُوحُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ الْعَذْرَاءِ الْبَتُولِ، قَالَتْ: فَضَرَبَ النَّجَاشِيُّ يَدَهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَأَخَذَ مِنْهَا عُودًا، ثُمَّ قَالَ: مَا عَدَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مَا قُلْتُ هَذَا الْعُودَ، فَتَنَاحَرَتْ بِطَارِقَتِهِ حَوْلَهُ حِينَ قَالَ مَا قَالَ، فَقَالَ: وَإِنْ نَحَرْتُمْ وَاللَّهِ، اذْهَبُوا، فَانْتُمْ سُيُومٌ بِأَرْضِي - وَالسُّيُومُ: الْأَمْنُونَ - مَنْ سَبَّكُمْ غُرِّمَ، ثُمَّ مَنْ سَبَّكُمْ غُرِّمَ، فَمَا أَحَبُّ أَنْ لِي دَبْرًا ذَهَبًا، وَأَنِّي آذَيْتُ رَجُلًا مِنْكُمْ - وَالْذَّبْرُ بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ: الْجَبَلُ - رُدُّوا عَلَيْهِمَا هَدَايَاهُمَا، فَلَا حَاجَةَ لَنَا بِهِمَا، فَوَاللَّهِ مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنِّي الرِّشْوَةَ حِينَ رَدَّ عَلَيَّ مُلْكِي، فَأَخَذَ الرِّشْوَةَ فِيهِ وَمَا أَطَاعَ النَّاسَ فِيَّ، فَأُطِيعُهُمْ فِيهِ. قَالَتْ: فَخَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ مَقْبُوحَيْنِ مَرْدُودًا عَلَيْهِمَا مَا جَاءَ بِهِ، وَأَقَمْنَا عِنْدَهُ بِخَيْرِ دَارٍ مَعَ خَيْرِ جَارٍ. قَالَتْ: فَوَاللَّهِ إِنَّا عَلَى ذَلِكَ إِذْ نَزَلَ بِهِ - يَعْنِي مَنْ يُنَازِعُهُ فِي مُلْكِهِ - قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْنَا حُزْنًا قَطُّ كَانَ أَشَدَّ مِنْ حُزْنِ حَزَنَاهُ عِنْدَ ذَلِكَ، تَخَوُّفًا أَنْ يَظْهَرَ ذَلِكَ عَلَى النَّجَاشِيِّ، فَيَأْتِي رَجُلٌ لَا يَعْرِفُ مِنْ

حَقَّنَا مَا كَانَ النَّجَاشِيُّ يَعْرِفُ مِنْهُ. قَالَتْ: وَسَارَ النَّجَاشِيُّ وَبَيْنَهُمَا عُرْضُ النَّيْلِ، قَالَتْ: فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: مَنْ رَجُلٌ يَخْرُجُ حَتَّى يَحْضُرَ وَقَعَةَ الْقَوْمِ ثُمَّ يَأْتِينَا بِالْخَبَرِ؟ قَالَتْ: فَقَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ: أَنَا، قَالَتْ: وَكَانَ مِنْ أَحَدِثِ الْقَوْمِ سِنًا، قَالَتْ: فَنفَحُوا لَهُ قُرْبَةً، فَجَعَلَهَا فِي صَدْرِهِ ثُمَّ سَبَحَ عَلَيْهَا حَتَّى خَرَجَ إِلَى نَاحِيَةِ النَّيْلِ الَّتِي بِهَا مُلْتَقَى الْقَوْمِ، ثُمَّ انْطَلَقَ حَتَّى حَضَرَهُمْ. قَالَتْ: وَدَعَوْنَا اللَّهَ لِلنَّجَاشِيِّ بِالظُّهُورِ عَلَى عَدُوِّهِ، وَالتَّمَكِينِ لَهُ فِي بِلَادِهِ، وَاسْتَوْسَقَ عَلَيْهِ أَمْرُ الْحَبَشَةِ، فَكُنَّا عِنْدَهُ فِي خَيْرِ مَنَزِلٍ، حَتَّى قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ بِمَكَّةَ [١]

- ١٥- فَنَزَلُوا عِنْدَ النَّجَاشِيِّ عَلَى
- ١٦- عَلَى النَّبِيِّ وَعَلَى أَصْحَابِهِ
- ١٧- عَلَى بَنِي هَاشِمٍ الصَّحِيفَةَ
- ١٨- «أَنْ لَا يُنَاكِحُوهُمْ وَلَا وَلَا»
- ١٩- أَوَّلَ عَامٍ سَبْعَةٍ لِلْبُعْثِ
- ٢٠- وَسَمِعَتْ أَصْوَاتُ صِبْيَانِهِمْ
- ٢١- وَاطَّلَعَ (الرَّسُولُ) أَنَّ الْأَرْضَ
- ٢٢- مَا كَانَ مِنْ جَوْرِ وَظْلِمٍ ذَهَبَا
- ٢٣- فَوَجَدُوا ذَاكَ كَمَا قَالَ، وَقَدْ
- أَتَمَّ حَالٍ، وَتَغَيَّظَ الْمَلَأَ
- وَكَتَبَ الْبَغِيضُ فِي كِتَابِهِ
- وَعَلَّقَتْ بِالْكَعْبَةِ الشَّرِيفَةِ
- وَحَصَرُوا فِي الشَّعْبِ، حَتَّى أَقْبَلَا:
- قَاسُوا بِهِ جَهْدًا بِشَرِّ مُكْثٍ
- فَسَاءَ ذَاكَ بَعْضَ أَقْوَامِهِمْ
- أَكَلَتِ الصَّحِيفَةَ الْمُبْعَّضَةَ
- وَبَقِيَ الذِّكْرُ كَمَا قَدْ كُتِبَا
- شَلَّتْ يَدُ الْبَغِيضِ وَاللَّهُ الصَّمَدُ

٢٤- فَلْيَسُوا السَّلَاحَ ثُمَّ أَخْرِجُوا مِنْ شَعْبِهِمْ، وَكَانَ ذَاكَ الْمَخْرَجُ:

٢٥- فِي عَامٍ عَشْرَةٍ بَغِيرَ مَينٍ وَقِيلَ: «كَانَ مُكْتُهُمْ عَامِينَ»

هنا يتكلم المؤلف ﷺ عن حادثة من الحوادث الأليمة التي نزلت بالنبي ﷺ وبأصحابه الكرام، وظهر فيها صبر النبي ﷺ على ما ناله من الأذى وصبر أصحابه ﷺ.

وذلك أن المشركين حبسوا النبي ﷺ وأصحابه في شعب يقال له: شعب بني هاشم، أو: شعب أبي طالب، وهو شعب في مكة.

والشَّعب: هو المضيق بين الجبلين، فجمعوا النبي ﷺ وأصحابه - كما سيأتي بإذن الله تعالى - وحُصِرَ معهم حتى المشركون من بني هاشم ما عدا قِلَّةً منهم ممَّنْ والوا قريشاً.

يعني حتى قرابة النبي ﷺ من بني هاشم من المشركين ممَّنْ أخذتهم الحمية للنبي ﷺ، حُبِسُوا مع النبي ﷺ وأصحابه في شعب بني هاشم، وظلوا محبوسين في هذا الشعب مدة ثلاث سنوات كاملة.

وذكر في قول أنهم حُبِسُوا عامين، أو عامين وعدة أشهر، لكن المشهور أن مدة الحبس كانت ثلاث سنوات قاسوا فيها شدة وعناءً شديداً، ونفذ طعامهم وأزوادهم، وصاروا يأكلون أوراق الشجر، وعانوا شدة عظيمة كما سنذكر بعض ما ورد في هذا.

فهنأ يقول: وَتَغَيَّظَ الْمَلَأُ، عَلَى النَّبِيِّ وَعَلَى أَصْحَابِهِ

الملا: يعني: الملأ - والمَلَأُ - مَهْمُوزٌ بَغِيرَ مَدٍّ - الْجَمَاعَةُ الَّذِينَ أَمَرُهُمْ وَاحِدٌ وَرَأْيُهُمْ وَاحِدٌ، لَأَنَّهُمْ يَمَالِيءُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، أَي: يُعَاوَنُهُ وَيُؤَاوِفُّهُ، وَيُطْلِقُ الْمَلَأُ عَلَى أَشْرَافِ

الْقَوْمَ وَقَادَنِهِمْ لِأَنَّ شَأْنَهُمْ أَنْ يَكُونَ رَأْيُهُمْ وَاحِدًا عَنْ تَشَاوُرٍ، والمراد بهم هنا: هم سادة قريش الذين تغيطوا على النبي ﷺ، وعلى أصحابه مَمَّنْ بقوا في مكة في هذا الوقت، كما ذكرنا أن مائة من أصحاب النبي ﷺ كانوا هاجروا إلى الحبشة، والمتبقون من أصحاب النبي ﷺ تغيط عليهم الملاء من قريش، وكان ذلك في أول شهر المحرم سنة سبع من البعثة.

وسبب التغيط: ما بلغ قريشاً من إكرام النجاشي لأصحاب النبي ﷺ في الحبشة، وأن النجاشي ردّ على مشركي قريش هديتهم، ودافع عن أصحاب النبي ﷺ، فهذه الأحداث زادت المشركين حنقاً وحقداً على النبي ﷺ وأصحابه.

فكتبوا كتاباً تعاهدوا فيه أن يقاتعوا النبي ﷺ وأصحابه وَمَنْ والا هم ويحاصروهم حصاراً حسيّاً ومعنوياً، وكتبوا صحيفة بذلك، وكان كاتب هذه الصحيفة اسمه بغيض بن عامر بن هاشم بن عبد مناف، وهو نفسه من بني هاشم، لكن بعض بني هاشم كان ولاؤهم لقريش مثل أبي لهب، ومثل بغيض بن عامر هذا.

هذا الرأي الذي اعتمده المؤلف، أن كاتب الصحيفة هو بغيض بن عامر، فهو اسم على مسمى، وقال: إن البغيض شلت يده لما كتب هذه الصحيفة كما سيأتي فيما بعد. وورد في بعض روايات السيرة أن كاتب الصحيفة: هشام بن عمرو بن الحارث، أو منصور بن عكرمة، لكن الرأي الذي اعتمده المؤلف أن الكاتب هو بغيض بن عامر بن هاشم بن عبد مناف.

فمما كُتب في هذه الصحيفة أن قريشاً تعاهدوا ألا يناكحوا بني هاشم، ولا يبائعوهم ولا يخالطوهم إلا أن يُسلموا محمداً لِيُقْتَلَ، فهذا هو قول المؤلف: (أَنْ لَا يُنَاكِحُوهُمْ وَلَا وَلَا) يعني: أن لا يناكحوهم، ولا يبائعوهم ولا يخالطوهم؛ فلا يتزوجون من بني

هاشم، ولا من الصحابة الذين آمنوا بالنبي ﷺ، ولا يُزوجونهم، ولا يبيعون لهم، ولا يشترون منهم، ولا يخالطوهم إلا إذا سلّموا النبي ﷺ إليهم؛ ليقتلوه ﷺ وعلقوا هذه الصحيفة بالكعبة الشريفة كما ذكر الناظم.

فأبى بنو هاشم وظاهرهم بنو المطلب، وقرروا أن يكونوا مع النبي ﷺ وأصحابه، وألّا يُسلموا النبي ﷺ إليهم، حتى المشركون من بني هاشم وبني المطلب.

فأجمع المشركون على إخراجهم من مكة إلى شُعب أبي طالب، فحصرُوا فيه بني هاشم وبني المطلب مؤمنهم وكافرهم، المؤمن حُصر فيه ديانةً، والكافر حُصر فيه حميةً لقومه وقرابته.

فقطعوا الميرة (الزاد والطعام) عن النبي ﷺ وأصحابه ومَنْ معه من المحصورين في الشُّعب، ومنعوا المارة من دخول الشُّعب، أحاطوا به، يعني: مثل السجن تمامًا، ومنعوا الناس من دخوله، ومنعوا بني هاشم والمؤمنين من الخروج منه، ومنعوا عنهم الأسواق والتجارة، ولا يأتي أحد حتى يجلب لهم بضائع ليشتروا منهم، وأصروا ألا يقبلوا منهم صلحًا أبدًا ما لم يُسلموا محمدًا ﷺ للقتل.

فمكث النبي ﷺ وأصحابه بهذا الشُّعب ثلاث سنوات كاملة كما ذكرنا، قاسوا فيها من شدة الجوع، وتضاغى صبيانهم من شدة الجوع، قال:

قَاسُوا بِهِ جَهْدًا بِشَرِّ مُكْثٍ

٢٠- وَسَمِعَتْ أَصْوَاتُ صِبْيَانِهِمْ

صار أطفالهم يبكون وأصوات صراخهم تُسمع من خارج الشُّعب. أقاموا في هذا العذاب ثلاث سنوات، لا يصل إليهم شيء من الطعام إلا ما أُدخل سرًّا، على حين غفلة

من الحراس ، فكان بعض مَنْ في قلبهم شيء من الشفقة و الرحمة ربما أدخلوا إليهم شيئاً في مغافلة المحيطين بالشَّعب، ويتسللون في الليل، لكن الوضع العام أن النبي ﷺ وأصحابه كانوا في جوع وجهد ومشقة.

فَلَمَّا كَانَ رَأْسُ ثَلَاثِ سِنِينَ تَلَاوَمَ رِجَالٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ وَمِنْ بَنِي قُصَيٍّ، وَرِجَالٌ سِوَاهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ، قَدْ وَلَدَتْهُمْ نِسَاءٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوا الرَّحِمَ وَاسْتَحَقُّوا بِالْحَقِّ، وَاجْتَمَعَ أَمْرُهُمْ مِنْ لَيْلَتِهِمْ عَلَى نَقْضِ مَا تَعَاهَدُوا عَلَيْهِ مِنَ الْغَدْرِ وَالْبَرَاءَةِ مِنْهُ، فَتَلَاوَمُوا يَعْنِي بَدَأَ يَلُومُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، كَيْفَ نَسَكْتَ عَلَى هَؤُلَاءِ وَهُمْ فِي هَذَا الْحَصَارِ الظَّالِمِ.

وهؤلاء الذين تلاوموا وسعوا في نقض هذا الحصار الظالم : أبو البختری العاص بن هشام، والمطعم بن عدي، وهشام بن عمرو بن الحارث، وزهير بن أمية.

هؤلاء هم الذين سعوا في هذا الأمر، وبدؤوا يجمعون مجموعة من بني قصي وتسلحوا، قال: (فَسَاءَ ذَاكَ بَعْضُ أَقْوَامِهِمْ) أي: فساءهم ذلك ولبسوا السلاح وأرادوا أن يذهبوا لإخراج النبي ﷺ.

وفي هذه الأثناء أوحى الله - ﷻ - إلى نبيه الكريم ﷺ أن الأرضة أكلت جميع ما في الصحيفة من ظلم، وشرك، وقطيعة رحم، وبهتان؛ فلم يبقَ منه شيئاً، وبقي ما كان في الصحيفة من ذِكر الله - ﷻ - كما كُتب لم يتغير منه شيء، والأرضة: هي العثة أو الحشرة التي تأكل الورق، هم كتبوا الكتاب ووضعوه داخل الكعبة وعلَّقوه داخل الكعبة.

فأوحى الله ﷻ إلى النبي ﷺ أن الأرضة أكلت ما في الكتاب من ظلم، الظلم: هو أنهم لا يبايعونهم، ولا يسمحون لأحد بجلب الطعام لهم و من الأسواق وما في ذلك من قطيعة الرحم؛ لأنهم من قريش، وبينهم وبين المحاصرين لهم رحم، فهذا ظلم

وقطيعه رحم وبهتان، فكل هذا أكلته الأرضة ولم يبق في الكتاب إلا ما فيه من ذِكر الله ﷻ ورسوله ﷺ.

فالنبي ﷺ أخبر عمّه أبا طالب بهذا، فقال أبو طالب: لا والثواقب ما كذبتني، الثواقب: هي النجوم، يعني: يحلف أن النبي ﷺ ما كذبه، فما جَرَّب كذبًا على النبي ﷺ، فقال: ما قلته حق وصدق.

فخرج أبو طالب وانطلق في عصابة من بني عبد المطلب، وطلبوا مقابلة قريش حتى أتوا المسجد، فظنت قريش أنهم خرجوا من شدة البلاء؛ ليسلموا رسول الله ﷺ إليهم ليُقتل، فقال أبو طالب: قد جرت أمور بيننا وبينكم لم نذكرها فأتوا بالصحيفة التي فيها موثيقكم فلعن أن يكون بيننا وبينكم صلح، يريد: أن بعض الأمور التي كُتبت في الصحيفة نسيناها، يعني لا نذكر النص المكتوب في الصحيفة.

فأتوا بها معجبين، لا يشكون أن محمدًا ﷺ يُدفع إليهم وأن أبا طالب يريد أن يكلمهم في أمر تسليم النبي ﷺ، فوضعوها بينهم، وقالوا لأبي طالب: قد آن لكم أن ترجعوا عمّا أحدثتم علينا وعلى أنفسكم، فقال: إنما أتيناكم في أمر هو نَصَفٌ بيننا وبينكم. أي: أتيناكم في أمر هو عدل وإنصاف بيننا وبينكم، كانت العادة أن الصحف في ذلك الوقت تُطوى، فيكتبون الكتاب ويطوونه، فالصحيفة مطوية ولا يدرون ماذا حصل بداخلها لأنها مطوية أو ربما وضعوها في جراب، فالقصد: أن الصحيفة مغلقة إلى هذا الوقت وأتوا بها ولا يعلمون ماذا حصل داخلها.

فقال أبو طالب: أخبرني ابن أخي أن هذه الصحيفة بعث الله عليها دابة فلم تترك فيها إلا ذِكر الله ورسوله ﷺ - فإن كان كما قال: فلا والله لا نُسلمه حتى نموت من عند آخرنا، وإن كان باطلاً دفعناه إليكم فقتلتم أو استحيتتم.

قالوا: رضينا بالذي تقول. ففتحوها فوجدوا الأمر كما أخبر النبي ﷺ؛ أَكَلِ كُل ما في الصحيفة من ظلم وعدوان، أكلته الأرضة، ولم يبق فيها إلا في بدايتها (باسمك اللهم..). والمواضع التي فيها ذُكر: أن تُسلموا محمداً إلينا، فالمواضع التي فيها اسم الله ﷻ واسم النبي ﷺ بقيت كما هي، وكل ما كان فيها من ظلم وعدوان أكلته الأرضة. فقالوا: هذا سحر ابن أخيك! سبحان الله! كانوا كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَرَوْا كُلاًّ آيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾ [الأنعام: ٢٥] فهذا الذي حدث هو معجزة عظيمة للنبي ﷺ، وآية على صدقه، لكن مع ذلك لم تزدهم إلا طغياناً، فقالوا: هذا سحر ابن أخيك، وزادهم بغياً وعدواناً. قال:

٢٣- فَوَجَدُوا ذَاكَ كَمَا قَالَ، وَقَدْ شُلَّتْ يَدُ الْبَغِيضِ وَاللَّهُ الصَّمَدُ

يعني: وجدوا ما أخبرهم به النبي ﷺ من أمر الصحيفة، وأن الأرضة أكلتها، ولم تترك فيها إلا ما فيه ذكر الله - ﷻ - وجدوا ذلك حقاً كما أخبرهم به النبي ﷺ، وهذا آية من الله - ﷻ - على صدق نبيه ﷺ، وقد حدثت آية أخرى: وهي أن البغيض أن الذي كتب الصحيفة شلت يده والعياذ بالله تعالى، فهذا هيّج مجموعة ممّن لديهم إنصاف، فخرج هؤلاء ومعهم مجموعة من بني قصي، ولبسوا السلاح وأخرجوا النبي ﷺ وأصحابه، ومّن معه من الشّعب بالقوة، وفرّج الله ﷻ عن النبي ﷺ وأصحابه.

ذكر وفاة عمه أبي طالب وزوجته خديجة عليهما السلام:

١- بَعْدَ خُرُوجِهِمْ بِثُلَاثِي عَامٍ وَثُلَاثِي شَهْرٍ وَيَوْمٍ طَائِي

(ثلاثا العام) أي: ثمانية أشهر

(طَائِي) أي: زائد، يعني: ويوم زيادة على ثلثي الشهر.

ثلاثا الشهر: عشرون يوماً، ويوم زائد: يعني: واحد وعشرون يوماً.

والمقصود: بعد خروج النبي ﷺ من الشعب بثمانية أشهر وواحد وعشرين يوماً:

٢- سَيَقَ أَبُو طَالِبٍ لِلْحِمَامِ ثُمَّ تَلَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ:

٣- مَوْتُ حَدِيجَةَ الرِّضَا، فَلَمْ يَهْنُ عَلَى الرَّسُولِ فَقَدْ ذِينَ، وَحَزِنَ

يشير هنا إلى وفاة أبي طالب ووفاة أم المؤمنين خديجة عليها السلام.

فوفاة أبي طالب كانت بعد خروج النبي ﷺ من الشعب بثمانية أشهر وواحد وعشرين يوماً، وبعدها بثلاثة أيام توفيت أم المؤمنين خديجة عليها السلام وأرضاهما، وهذا العام يُعرف بعام الحزن.

وعندما حضرت أبا طالب الوفاة ذهب إليه النبي ﷺ يدعوهُ إلى الإسلام؛ رجاء أن يختم له بالإسلام، ففي الصحيحين من حديث سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ، جَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلٍ، وَعَبَدَ اللَّهُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، فَقَالَ: « أَيُّ عَمِّ قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ. فَقَالَ أَبُو

جَهْلٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: أَتَرَعَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْزِضُهَا عَلَيْهِ، وَيُعِيدَانِهِ بِتِلْكَ الْمَقَالَةِ، حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَاللَّهِ لَا سْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أَنُحِ عَنْكَ» فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿مَا كَانَتْ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ وَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [١].

فسبحان الله، أبو طالب كان يدافع عن النبي ﷺ وينصره، وضحى تضحيات عظيمة، ودخل الشعب وحُصر، واحتمل الجوع، والعطش، والحصار؛ مناصرةً للنبي ﷺ.

وكان أبو طالب في نفسه يعلم أن النبي ﷺ صادق، لكن منعه من الإيمان به خوف الملامة وحذار المسبة، يعني حتى لا يُعيّره قومه ويلومونه، ويقولون: ترك دين آبائه، وهذا عياداً بالله ﷻ أحد الصوارف عن الحق.

يعني الصوارف التي تصرف الناس عن الحق، سواء عن الإيمان، يعني عن أصل الإيمان، أو تصرف الناس أحياناً عن اتباع الحق في أي مسألة من المسائل أو باب من أبواب الدين، فهناك صوارف تصرف الناس عن الحق، ومنعت ناساً من الإسلام.

وقد تكلم عن هذه الصوارف بتفصيل: الإمام ابن القيم رحمه الله في كتاب «مفتاح دار السعادة» تكلم عن أسباب تخلف العمل بمقتضى العلم، فقال: «السببُ الثامن: تخيُّله أنَّ في الإسلام ومتابعة الرسول إزراءً وطعنًا منه على آبائه وأجداده وذمًّا لهم، وهذا هو الذي منع أبا طالب وأمثاله عن الإسلام؛ استعظموا آباءهم وأجدادهم أن يشهدوا عليهم بالكفر والضلال وأن يختاروا خلافَ ما اختار أولئك لأنفسهم، ورأوا أنهم إن أسلموا

سَفَّهُوا أَحْلَامَ أَوْلَئِكَ، وَضَلَّلُوا عَقُولَهُمْ، وَرَمَوْهُمْ بِأَقْبَحِ الْقَبَائِحِ وَهُوَ الْكُفْرُ وَالشَّرْكُ.
ولهذا قال أعداء الله لأبي طالبٍ عند الموت: أترغبُ عن ملة عبد المطلب؟ ! فكان
آخرَ ما كلَّمهم به: «هو على ملة عبد المطلب» فلم يدعُه أعداءُ الله إلا من هذا الباب؛
لعلمهم بتعظيمه أباه عبد المطلب، وأنه إنما حاز الفخرَ والشرفَ به، فكيف يأتي أمرًا
يلزُمُ منه غايةُ تنقيصه وذمِّه؟!!

ولهذا قال: «لولا أن تكونَ سُبَّةٌ على بني عبد المطلب لأقررتُ بها عينك»، أو كما
قال.

وهذا شعرُه يصرِّحُ فيه بأنه قد علمَ وتحقَّقَ نبوَّةَ محمدٍ ﷺ وصدَّقه؛ كقوله:
ولقد علمتُ بأنَّ دينَ محمدٍ من خَيْرِ أديانِ البريةِ دينا
لولا الملامَةُ أو حِذارُ مَسَبَّةٍ لوجدتني سَمْعًا بذاك مُبينًا
وفي قصيدته اللامية:

فوالله لولا أن تكونَ مَسَبَّةٌ تُجرُّ على أشياخنا في المحافلِ
لكنَّا اتَّبَعْنَاهُ على كُلِّ حالَةٍ من الدَّهرِ جدًّا غيرِ قولِ التَّهَازُلِ
لقد عَلِمُوا أنَّ ابْنَنَا لا مُكَدِّبٌ لدينا ولا يُعْنَى بقولِ الأباطِلِ
والمَسَبَّةُ التي زعم أنها تُجرُّ على أشياخه: شهادته عليهم بالكفر، والضلال، وتسفيه
الأحلام، وتضليل العقول؛ فهذا هو الذي منعه من الإسلام بعد تيقُّنه. [١]

فهذا واحد من الأسباب التي تصرف الناس عن قبول الحق، وهو: خوف الملامة،

وخوف المسبة، وتعيير الناس له إذا اتبع الحق، فهذا هو الصارف الذي صرف أبا طالب عن الإيمان. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

و هناك صارف: الجاه والسلطان، أن الإنسان يكون له جاه وسلطان، ويخاف أنه إذا اتبع الحق زال عنه جاهه وسلطانه، وهذا هو الذي صرف هرقل قيصر الروم عن الإيمان، فهرقل كان يعلم أن النبي ﷺ هو النبي الخاتم الذي بُشِّرَ به في كتبهم، وجمع قومه، وقال لهم: يا قوم، هل أدلكم على الفلاح والرشد وأن يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبي؟

وقال لأبي سفيان: ليملكن موضع قدمي هاتين، ومع ذلك لما وجد أن قومه سيعزلونه من الملك إذا اتبع النبي ﷺ فضّل الملك والرياسة على الإيمان بالنبي ﷺ.

هناك دافع أو صارف الحسد؛ وهذا الذي صرف اليهود عن الإيمان بالنبي ﷺ، فاليهود كانوا ينتظرون نبياً من بني إسرائيل، فلما جاء من بني إسماعيل لم يؤمنوا به بسبب الحسد، وكراهة أن يكون التميز في قبيلة أخرى أو في قوم آخرين.

وهذا الصارف هو الذي صرف أبا جهل أيضاً عن الإسلام، مع علمه بصدق النبي ﷺ فأبو جهل كان يقول: تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف: أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاثينا على الركب، وكنا كفرسي رهان قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندرك هذه؟ والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدقه.

وكذلك بعض مَنْ كان يتبع مسيلمة الكذاب كانوا يقولون له: والله إنّا لنعلم أنك كذاب ولكنّ كذاب ربيعة أحبُّ إلينا من صادق مضر.

هناك صارف العادة والإلف، واتباع الآباء والأجداد ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢]، أو ﴿مُتَقَدِّمُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣] في الآية الأخرى.

فأبو طالب كان يعلم أن النبي ﷺ صادق وأن دينه حق، فإذا كفره كان حذار المسببة. ولهذا استغل هذا الأمر أبو جهل وعبد الله بن أمية فالنبي ﷺ قال لأبي طالب: يا عم، قل: (لا إله إلا الله) كلمة أشفع لك بها عند الله، فقال أبو جهل وعبد الله بن أمية له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ (تترك ملة أبيك، وتتبع ملة أخرى).

فأعاد عليه النبي ﷺ فأعادا، النبي ﷺ أعاد عليه، قال: يا عم! قل: (لا إله إلا الله) كلمة أشفع لك بها عند الله، فقالا له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فكان آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب؛ فأخر كلمة قالها: هو على ملة عبد المطلب، ثم هلك.

وملة عبد المطلب كانت الشرك بالله - تعالى - فعبد المطلب كان كمشركي قريش: يؤمن بوجود الله ﷻ لكن يعبد معه آلهة أخرى، فكان يقول: للبيت رب يحميه، ويؤمن بالله ﷻ لكن يشرك معه آلهة أخرى قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]، فما كان كُفْر مشركي قريش أنهم يُنكرون وجود الله، ولا يُنكرون أنه الخالق ﷻ وإنما كان شركهم أنهم يدعون الله ﷻ ويدعون معه اللات والعزى ويدعون آلهة أخرى. فقال: هو على ملة عبد المطلب.

فهلك أبو طالب، وأمر النبي ﷺ علياً أن يواريه التراب. والنبي ﷺ سيشفع له عند الله ﷻ فيخفف الله العذاب عنه، لكن قضى الله ﷻ أن الكافرين لا يخرجون من النار والعياذ بالله تعالى.

فَعَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَفَعَتَ أَبَا طَالِبٍ بَشْيْءٌ؟ فَإِنَّهُ كَانَ يَحْوِطُكَ وَيَغْضِبُ لَكَ؟ قَالَ: «نَعَمْ، هُوَ فِي صَحْصَاحٍ مِنْ نَارٍ، وَلَوْ لَا أَنَا لَكَانَ

فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ^[١] والضحضاح: ما رَقَّ من الماء على وجه الأرض إلى نحو الكعبين، واستعير في النار.

فهلك أبو طالب، و كان من حكمة الله ﷻ أنه بقي على دين قومه، حتى ينصر النبي ﷺ، ف الله ﷻ أيد نبيّه ﷺ بأن جعل له نصيراً مَمَّنْ هو على دين قومه؛ لأنه لو أسلم أبو طالب لتجرأ عليه مشركو قريش كما تجرؤوا على غيره من سادات قريش مَمَّنْ أسلم. كثير من الصحابة الذين أسلموا كانت لهم وجاهة ومنزلة في قومهم، فلما أسلموا اجتروا عليهم.

لكن أبا طالب نظراً لأنه كان لا يزال على دينهم فكان اجتراؤهم عليه في حدود لا يتخطونها، ومما مكّنه من نُصرة النبي ﷺ، فكان هذا من توفيق الله ﷻ للنبي ﷺ أن ألقى في قلب أبي طالب محبة طبيعية للنبي ﷺ جعلته ينصره.

بعد وفاة أبي طالب، اجتراً مشركو قريش على النبي ﷺ اجتراءً عظيماً، وناله ﷺ من الأذى ما لم يكن يناله أيام وجود أبي طالب، حتى عَرَضَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَفِيهَةٌ مِنْ سُفَهَاةٍ قُرَيْشٍ فَأَلْقَى عَلَيْهِ تُرَابًا، فَرَجَعَ إِلَى بَيْتِهِ، فَأَتَتْ امْرَأَةٌ مِنْ بَنَاتِهِ تَمْسَحُ عَنْ وَجْهِهِ التُّرَابَ وَتَبْكِي قَالَ: فَجَعَلَ يَقُولُ: «أَيُّ بُنْيَةٍ لَا تَبْكِي؛ فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ مَانِعٌ أَبَاكَ»، وَيَقُولُ مَا بَيْنَ ذَلِكَ: «مَا نَأَلْتُ مِنِّْي قُرَيْشٌ شَيْئًا أَكْرَهُهُ حَتَّى مَاتَ أَبُو طَالِبٍ».

وبعد وفاة أبي طالب بثلاثة أيام توفيت أم المؤمنين خديجة ﷺ وأرضاه.

وأم المؤمنين خديجة ﷺ وأرضاه مر بنا نصرتها للنبي ﷺ، ودفاعها عنه بنفسها وبمالها ﷺ وأرضاه. ولذلك كافأها الله -تعالى- بأن أرسل إليها السلام مع جبريل



فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: « أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ ﷺ ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ، أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَأَقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ، وَلَا نَصَبٍ »^[١]

بعد وفاة أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها خرج النبي ﷺ إلى الطائف، وقصة خروج النبي ﷺ إلى الطائف لم يذكرها المؤلف - رحمه الله تعالى - فنشير إليها باختصار:

النبي ﷺ لما اشتد عليه أذى مشركي قريش، أراد النبي ﷺ أن يذهب إلى الطائف -والطائف تبعد نحو ستين ميلاً عن مكة المكرمة- فأراد النبي ﷺ أن يذهب إلى الطائف يدعو أهلها إلى الإسلام، ويلتمس منهم أن ينصروه ويعينوه على دينه لعلهم يكونون أحسن حالاً من أهل مكة.

فذهب النبي ﷺ ماشياً على قدميه ومعه مولاة زيد بن حارثة، وكان كلما مر على قبيلة في الطريق دعاهم إلى الإسلام، فلم يستجب له أحد ممن مر بهم، فلما وصل إلى الطائف عمد إلى نفر من ثقيف، هم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم، وهم إخوة ثلاثة: عبد ياليل، ومسعود، وحبيب، بنو عمرو بن عمير بن عوف، فجلس إليهم رسول الله ﷺ وكلمهم بما جاء به من نصرته على الإسلام، والقيام على من خالفه من قومه.

فقال له أحدهم: هو يمرط ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك.

وقال الآخر: أما وجد الله أحداً يرسله غيرك؟

وقال الثالث: والله لا أكلّمك أبداً، لئن كنت رسولاً من الله كما تقول، لأنت أعظم خطراً من أن أردّ عليك الكلام، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي أن أكلّمك.

فقام رسول الله ﷺ من عندهم وقد يئس من خير ثقيف.

وقد قال لهم: إذ فعلتم فاكموا عليّ. وكره رسول الله ﷺ أن يبلغ قومه.

فأقام بالطائف عشرة أيام، وقيل: شهرًا، لا يدع أحدًا من أشrafهم إلا جاء إليه وكلّمه، فلم يجيبوه وخافوا على أحداثهم منه فقالوا: يا محمد اخرج من بلدنا. وأغروا به، سفهاءهم، وعبيدهم، يسبّونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس.

يعني لم يكتفوا بطرد النبي ﷺ من بلدهم؛ بل أغروا السفهاء ودعوا عبيدهم وأطفالهم، وأمروهم أن يقفوا صفين على جانبي الطريق الذي يمر فيه النبي ﷺ وأن يرموه بالحجارة وهو خارج من بلدهم ﷺ حتى اختضبت نعلاه بالدماء ﷺ وكان زيد يقيه بنفسه حتى أصابه شجاج في رأسه.

فلم يزل السفهاء يرمون النبي ﷺ بالحجارة حتى ألجؤوه إلى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة، على بعد ثلاثة أميال من الطائف، وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة من زعماء قريش، لكن لهما بستان قريب من الطائف، فدخل النبي ﷺ بستان عتبة وشيبة ابني ربيعة، فلما التجأ إليه رجعوا عنه.

فلما انصرف عنهم أتى ظلّ شجرة فصلى ركعتين ثم قال: «اللهم إني أشكو إليك ضعف قوّتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي. إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني؟ أو إلى عدوّ ملكته أمري؟ إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك أو تحلّ عليّ سخطك. لك العتبي حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك».

فلما رآه ابنا ربيعة، وما لقي تحركت له رحمهما فدعوا غلامًا لهما يقال له: عداس،

فقالا له: خذ له هذا القطف من هذا العنب، فضعه في هذا الطبق، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل، فقل له: يأكل منه. ففعل عدّاس، ثم أقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله ﷺ ثم قال له: كل. فلما وضع رسول الله ﷺ يده قال بسم الله. ثم أكل فنظر عدّاس في وجهه ثم قال: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد. فقال له رسول الله ﷺ: ومن أيّ البلاد أنت يا عدّاس؟ وما دينك؟ قال: نصراني وأنا من أهل نينوى. فقال رسول الله ﷺ من قرية الرجل الصالح يونس بن متى. قال له عدّاس: وما يدريك ما يونس بن متى؟ والله لقد خرجت منها- يعني من أهل نينوى- وما فيها عشرة يعرفون ما يونس بن متى، فمن أين عرفت أنت يونس بن متى وأنت أمّي وفي أمّة أميّة؟ قال رسول الله ﷺ: ذاك أخي، كان نبياً وأنا نبي. فأكبّ عدّاس على رسول الله ﷺ يقبل رأسه ويديه وقدميه، فقال ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه: أمّا غلامك فقد أفسده عليك. فلما جاءهما عدّاس قالا له: ويلك! ما لك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه؟

قال: يا سيدي ما في الأرض خير من هذا الرجل، لقد أعلمني بأمر لا يعلمه إلا نبي. قال:

ويحك يا عدّاس لا يصرفنك عن دينك؛ فإن دينك خير من دينه.

وقال عدّاس لسيديه لما أرادا الخروج إلى بدر وأمرأه بالخروج معهما فقال لهما: قتال ذلك الرجل الذي رأيت في حائطكما تريدان؟ فو الله ما تقوم له الجبال. فقالا: ويحك يا عدّاس قد سحرك بلسانه.

فانصرف رسول الله ﷺ عنهم وهو محزون لم يستجب له رجل واحد ولا امرأة.

وأثناء رجوع النبي ﷺ في الطريق أرسل الله ﷻ إليه جبريل ﷺ ومعه ملك الجبال فعن عائشة رضي الله عنها قالت: يا رسول الله، هل أتى عليك يومٌ كان أشدَّ من يومٍ أُحُدٍ؟ فقال:

« لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ. وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي فَظَنَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جَبْرِيلُ، فَنَادَانِي، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ ﷻ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ »، قَالَ: « فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ وَسَلَّمْ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللَّهَ ﷻ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ، فَمَا شِئْتَ، إِنَّ شِئْتَ أَنْ أُطِيقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ »، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا »^[١]

فرغم شدة الأذى الذي تعرض له النبي ﷺ إلا أنه عفا عنهم مع قدرته على أن يأمر ملك الجبال أن يهلك أهل مكة والطائف أجمعين ويبيدهم، لكنه ﷺ رجا أن يخرج الله من أصلابهم مَنْ يعبد الله ﷻ، وحقق الله ﷻ له رجاءه، فدارت الأيام بعد ذلك وأسلم أهل مكة وأسلم أهل الطائف، وصارت ذريتهم يعبدون الله ﷻ.

أقام النبي ﷺ بنخلة أيامًا، وأراد الرجوع إلى مكة، فقال له زيد بن حارثة: كيف تدخل عليهم وهم قد أخرجوك؟ فقال: يا زيد، إن الله جاعل لما ترى فرجًا ومخرجًا وإن الله مظهر دينه وناصر نبيه. ثم انتهى إلى حراء وبعث عبد الله بن أريقط إلى الأخنس بن شريق؛ ليجيره فقال: أنا حليف، والحليف لا يجير على الصريح. فبعث إلى سهيل بن عمرو - وقد أسلم بعد ذلك - فقال: إن بني عامر بن لؤي لا تجير على بني كعب. فبعث إلى المطعم بن عدي - وقد مات كافرًا - فأجابه إلى ذلك وقال: نعم، قل له: فليأت. فرجع إليه، فأخبره فدخل رسول الله ﷺ فبات عنده تلك الليلة، فلما أصبح

خرج المطعم بن عدي، وقد لبس سلاحه هو وبنوه ستة أو سبعة. فقال لرسول الله ﷺ :
طُف. (يعني: بالبيت).

واحتبوا بحمائل سيوفهم بالمطاف فأقبل أبو سفيان إلى المطعم بن عدي فقال:
أمجير أم تابع؟

قال: بل مجير. قال: إذن لا تخفر قد أجرنا من أجرت. فجلس معه حتى قضى
رسول الله ﷺ طوافه، فلما انصرف إلى بيته وانصرفوا معه، فذهب أبو سفيان مجلسه.
ولأجل هذه السابقة التي سبقت للمطعم قال رسول الله ﷺ : «لو كان المطعم بن
عدي حيًا ثم كلمني في هؤلاء التّنى - يعني أسارى بدر لأطلقتهم له» .

ذكر وفد الجن

من الحوادث العظيمة في سيرة النبي ﷺ أثناء رجوعه من الطائف إلى مكة أن الله ﷻ بعث إليه نفرًا من الجن يستمعون القرآن، فأمنوا بالنبي ﷺ، وصدقوه، واتبعوه، وصاروا رسلاً لرسول الله ﷺ إلى أقوامهم من الجن.

والحكمة في هذا التوقيت: أنه كان في وقت يعاني فيه النبي ﷺ من صدود الإنس عن دعوته ﷺ فبعث الله ﷻ إليه مَنْ آمَنَ به وصدقَه من الجن، وكان لقاء الجن بالنبي ﷺ في وادٍ يقال له: وادي نخلة بين مكة والطائف، في أثناء رجوع النبي ﷺ من الطائف.

وكان هذا عندما صار عمر النبي ﷺ خمسين سنة، فالتقى ﷺ ببُعْث وهو ابن أربعين سنة، ومضت عشر سنوات من بعثة النبي ﷺ، قلنا: العام العاشر هو عام الحزن.

هنا يقول الناظم رحمه الله: قال: باب ذكر وفد الجن، أي: من جن نصيبين.

نصيبين: مدينة من مدن الشام، أو يقال عنها: مدن الجزيرة، منطقة الجزيرة التي هي الجزيرة الفراتية، التي تقع بين دجلة والفرات، تُعتبر جزءًا من الشام حسب التقسيم المعاصر، وهذه الجزيرة الآن جزء منها تابع لسوريا، وجزء تابع للعراق.

يقول الناظم رحمه الله:

١- وَبَعْدَ أَنْ مَضَتْ لَهُ خَمْسُونَ وَرُبُعُ عَامٍ: جَاءَهُ يَسْعَوْنَا

٢- جِنُّ نَصِيبِينَ لَهُ، وَكَانَا يَقْرَأُ فِي صَلَاتِهِ قُرْآنَا

٣- بِنَخْلَةٍ، فَاسْتَمَعُوا وَأَسْلَمُوا وَرَجَعُوا فَأَنْذَرُوا قَوْمَهُمْ

فيقول: بعد أن مضت للنبي ﷺ خمسون عامًا (وَرُبُعُ عَامٍ)، خمسون وربع عام:

يعني: كان أكمل خمسين عامًا وثلاثة أشهر ﷺ يعني الآن دخلنا في العام الحادي عشر من بعثة النبي ﷺ وكان هذا أثناء رجوع النبي ﷺ من الطائف.

(جَاءَهُ يَسْعَوْنَا جُنُّ نَصِيبِينَ) يعني جاء جن نصيبين يسعون إلى النبي ﷺ، وورد في الأحاديث أنهم كانوا تسعة من الجن.

والجن مُكَلَّفون كالإنس، ورسولنا ﷺ مُرْسَل إلى الإنس والجن.

والإنس: هم ذرية آدم ﷺ، فيهم المؤمن والكافر.

والجن هم ذرية إبليس -لعنه الله- أبوهم كافر لكن الذرية منهم المؤمن والكافر. فالجن كما قال الله تعالى عنه: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ﴾ [الجن: ١١]، وفي الآية الأخرى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ﴾ [الجن: ١٤]؛ الجن منهم المسلمون ومنهم القاسطون، يعني: ومنهم الظالمون.

فالجن هم ذرية إبليس، قال تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ [الكهف: ٥٠].

فالجن منهم المؤمن ومنهم الكافر، ومنهم جميع الملل والطوائف، والفرق الموجودة في الإنس؛ لأنهم قالوا: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قَدَدًا﴾ [الجن: ١١] كانوا طرائق متفرقة، مثل حال الإنس، يعني: فيهم: اليهود، والنصارى، والوثنيون، وفيهم: السني، والبدعي وغير ذلك؛ فهم طرائق شتى، وهم مكلفون.

وهناك اختلاف بين العلماء: هل هناك رسل من الجن أم لا؟

أكثر العلماء يقولون: ليس هناك رسل من الجن، وإنما رسل الإنس يكونون رسلاً إلى الإنس والجن، ويكون هناك رسل من الرسول الإنسي يدعون الجن، يعني الرسول

الإنسي يدعو بعض الجن وهم يدعون قومهم ويبلغون قومهم عن رسولهم.

ففي قوله تعالى: ﴿يَمَعَشَرُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٠] فقالوا هنا: ﴿رُسُلٌ مِّنْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٠] يعني بالنسبة للإنس هم رسل إلى الإنس، والجن رسلهم رسل من رسل الإنس، وليسوا رسلاً من الله ﷻ مباشرة.

وهؤلاء الجن كانوا تسعة جاؤوا إلى النبي ﷺ وهو يصلي، فاستمعوا لقراءته ﷻ فلما فرغ من قراءته أسلموا بالنبي ﷺ، وولوا إلى قومهم منذرين، وجاء ذكر ذلك في سورة الأحقاف، من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ (١٩) قَالُوا يَنْقُومُنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ [الأحقاف: ٢٩-٣٠].

فقالوا: ﴿قَالُوا يَنْقُومُنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ يعني كتاب بعد التوراة بعد موسى ﷺ ﴿يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ إلى آخر سورة الأحقاف، ذكر الله ﷻ فيها قصة مجيء الجن إلى النبي ﷺ.

وهناك أيضاً سورة الجن فيها ذكر إرسال النبي ﷺ إلى الجن.

وفي صحيح مسلم عن عامر، قال: سألت علقمة هل كان ابن مسعود شهد مع رسول الله ﷺ ليلة الجن؟ قال: فقال علقمة، أنا سألت ابن مسعود فقلت: هل شهد أحد منكم مع رسول الله ﷺ ليلة الجن؟ قال: لا ولكننا كنّا مع رسول الله ذات ليلة ففقدناه فالتمسناه في الأودية والشعاب. فقلنا: استطير أو اغتيل. قال: فبتنا بشر ليلة بات بها قوم، فلما أصبحنا إذا هو جاء من قبل حراء. قال: فقلنا يا رسول الله، فقدناك، فطلبناك فلم نجدك، فبتنا بشر ليلة بات بها قوم. فقال: «أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن» قال:

فَانْطَلَقَ بِنَا فَأَرَانَا أَثَارَهُمْ وَأَثَارَ نِيرَانِهِمْ وَسَلَّوَهُ الزَّادَ فَقَالَ: « لَكُمْ كُلُّ عَظْمٍ ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ يَقَعُ فِي أَيْدِيكُمْ أَوْ فَرَّ مَا يَكُونُ لَحْمًا، وَكُلُّ بَعْرَةٍ عَلَفٌ لِدَوَابِّكُمْ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَلَا تَسْتَنْجُوا بِهِمَا؛ فَإِنَّهُمَا طَعَامٌ إِخْوَانِكُمْ».^[١]

وَمَعْنَى اسْتُطِيرَ: طَارَتْ بِهِ الْجَنُّ، وَمَعْنَى اغْتِيلَ: قُتِلَ سِرًّا. وَالْغِيلَةُ -بِكسر الغين- هِيَ: الْقَتْلُ فِي خُفْيَةٍ.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ وهو بمكة: من أحبَّ منكم أن يحضر الليلة أمر الجن فليفعل. فلم يحضر منهم أحد غيري، فانطلقنا فقال: إن بني إخوة وبني عمّ يأتون الليلة فأقرأ عليهم القرآن. فسرنا حتى إذا كنا بأعلى مكة خطَّ لي برجله خطأ ثم أمرني أن أجلس فيه، وقال لي لا تبرح منه حتى آتيك. ثم انطلق حتى إذا قام فافتتح القرآن فغشيه أسودة كثيرة. وفي رواية فذكر هيئة كأنهم الزطّ ليس عليهم ثياب، ولا أرى سواتهم طوالا قليلا، فجبثتهم فرأيت الرجال ينحدرون عليه من الجبال، فازدحموا عليه فقال سيد لهم يقال له وردان: أنا أرحلهم عنك.

فقال: إني لن يجيرني من الله أحد. فحالوا بيني وبينه حتى ما أسمع صوته فانطلقوا فطفقوا يتقطّعوه مثل السحاب ذاهبين حتى بقي رهط، ففرع رسول الله ﷺ سمع الفجر، فنزل ثم أتاني فقال: أرسلت إلى الجن. فقلت: فما هذه الأصوات التي سمعتها قال: هذه أصواتهم حين ودّعوني وسلّموا عليّ. ما فعل الرهط؟ فقلت: هم أولئك يا رسول الله. فسألوه الزاد فأخذ عظمًا وروثًا فأعطاهم إياهما. فقال: لكم كلّ عظم عراق ولكم كل روثة خضرة. قالوا: يا رسول الله يقدرهما الناس علينا. قلت: يا رسول الله وما يغني ذلك عنهم؟ فقال: إنهم لا يجدون عظمًا إلا وجدوا عليه لحمه يوم أكل، ولا روثة إلا

وجدوا فيها حبّها يوم أكلت، فلا يتنقّين أحدكم إذا خرج من الخلاء بعظم ولا بعرّة ولا روثة. فلما أصبحت رأيت مبرك ستين بعيراً

فلما ولوا- قال ابن مسعود رضي الله عنه - مَنْ هؤلاء؟ قال: جن نصيبين.

قالوا: لعل هذا كان لقاء آخر بين النبي ﷺ وبين هؤلاء الجن، غير لقائه لما قرأ عليهم القرآن، واستمعوا إليه ﷺ وهو راجع من الطائف، وهذه في مرة أخرى التقى بهم النبي ﷺ.

باب ذِكْرِ قِصَّةِ الْإِسْرَاءِ.

- ١- وَبَعْدَ عَامٍ مَعَ نِصْفِ: أُسْرِيَا
 - ٢- مِنْ مَكَّةَ الْغَرَّ إِلَى الْقُدْسِ، عَلَى
 - ٣- إِلَى السَّمَاءِ، مَعَهُ جِبْرِيلُ
 - ٤- مُجِيبًا إِذْ قِيلَ لَهُ «مَنْ ذَا مَعَكَ؟»:
 - ٥- ثُمَّ تَلَاقَى مَعَ الْأَنْبِيَاءِ
 - ٦- ثُمَّ عَلَا لِمُسْتَوَى قَدْ سَمِعَا
 - ٧- ثُمَّ دَنَا حَتَّى رَأَى الْإِلَهَا
 - ٨- أَوْحَى لَهُ سُبْحَانَهُ مَا أَوْحَى
 - ٩- وَفَرَضَ (الصَّلَاةَ) خَمْسِينَ عَلَى
 - ١٠- وَالْأَجْرُ خَمْسُونَ كَمَا قَدْ كَانَا
 - ١١- فَصَدَّقَ «الصَّدِّيقُ» ذُو الْوَفَاءِ
 - ١٢- وَسَأَلُوهُ عَنْ صِفَاتِ الْقُدْسِ
 - ١٣- جِبْرِيلُ، حَتَّى حَقَّقَ الْأَوْصَافَا
 - ١٤- لَكِنَّهُمْ قَدْ كَذَبُوا وَجَحَدُوا
- بِهِ إِلَى السَّمَاءِ، حَتَّى حَظِيََا
ظَهَرَ الْبُرَاقِ رَاكِبًا، ثُمَّ عَلَا:
فَاسْتَفْتَحَ الْبَابَ لَهُ يَقُولُ
«مُحَمَّدٌ مَعِي»، فَرَحَّبَ الْمَلَكُ
وَكُلُّ وَاحِدٍ لَدَى سَمَاءٍ
صَرِيفَ الْأَقْلَامِ بِمَا قَدْ وَقَعَا
بِعَيْنِهِ، مُخَاطِبًا شِفَاهَا
فَلَا تَسْلُ عَمَّا جَرَى تَصْرِيحًا
أَمْتِهِ، حَتَّى لِحْمِيسٍ نَزَلَا
وَزَادَهُ مِنْ فَضْلِهِ إِحْسَانًا
وَكَذَّبَ الْكُفَّارُ بِالْإِسْرَاءِ
رَفَعَهُ إِلَيْهِ رُوحُ الْقُدْسِ:
لَهُ، فَمَا طَافُوا لَهُ خِلَافًا
فَأَهْلِكُوا، وَفِي الْعَذَابِ أُخْلِدُوا

يشير إلى حادثة الإسراء والمعراج وهما من معجزات رسول الله ﷺ.

أما الإسراء فجاء ذكره في سورة الإسراء ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١]، والإسراء: هو السير ليلاً أو السفر ليلاً، فكان الإسراء بالنبي ﷺ من مكة إلى بيت المقدس.

وأما المعراج فجاء ذكره في سورة النجم، والمعراج: هو الصعود من بيت المقدس إلى السموات العلى، وجاء ذكر ذلك في سورة النجم: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝٥﴾ [النجم: ١-٥].

إلى آخر السورة الكريمة، كلها في ذكر قصة المعراج بالنبي ﷺ.

وقد كان الإسراء والمعراج بالنبي ﷺ يقظة بجسده وروحه ﷺ وهذا هو الصحيح. بعض الناس زعموا أن الإسراء كان مناماً بالروح فقط، وهذا الكلام مردود؛ لأنه لو كان كذلك لما حصلت هذه الضجة العظيمة بشأن الإسراء والمعراج، ولما ارتد ناسٌ ولا ما حصلت فتنة بسببه، فلو أن شخصاً رأى رؤيا منامية أنه ذهب إلى القدس وإلى السماء ورجع وقص هذا، ما كذبه أحد، فالناس يرون في المنام أشياء عجيبة، وهذا شيء مألوف، لكن حادثة الإسراء والمعراج كانت يقظة برسول الله ﷺ، وبجسده وروحه معاً ﷺ لذلك لما أخبر بحادثة الإسراء والمعراج كذبت قريش، وأخذوا يهزؤون بالنبي ﷺ، وكان ذلك سبباً في ردة بعض ضعاف الإيمان ممن كان أسلم وآمن بالنبي ﷺ رجع فارتد -والعياذ بالله- لما أخبر بحادثة الإسراء والمعراج.

وكان سبب تفضيل أبي بكر الصديق وتلقيه بالصدق: أنه لما جاءه المشركون يريدون تشكيكه في النبي ﷺ، وقالوا: إن صاحبك يزعم أنه أُسري به إلى القدس وصُعد

به إلى السماء، ورجع في ليلة، فقال: إن كان قال فقد صدق، قبل أن يسمع النبي ﷺ، وقبل أن يُخبره النبي ﷺ، فلقبه النبي ﷺ بالصادق منذ ذلك اليوم.

متى وقع الإسراء والمعراج؟

قيل: في شهر ربيع الأول، وقيل: في ربيع الآخر، وقيل: في رجب، وقيل: في رمضان؛ فهناك أقوال عديدة، لم يُضبط تحديدًا موعد الإسراء والمعراج، فالاحتفالات التي تقام أحيانًا ليلة السابع والعشرين من رجب لا تعتمد على تاريخ ثابت على وجه القطع أن الإسراء والمعراج كان في السابع والعشرين من رجب، وإنما هو قول من الأقوال التي قيلت، وقيلت أقوال أخرى في موعد الإسراء والمعراج.

وأما تحديد السنة:

فهناك أقوال، فقيل: إنه قبل الهجرة بثلاث سنوات يعني في العام الحادي عشر من البعثة، وقيل: قبل الهجرة بسنة ونصف، وهذا الذي اختاره المؤلف هنا أنه قبل الهجرة بسنة ونصف، يعني كان النبي ﷺ أكمل واحدًا وخمسين عامًا ونصف.

لأن الهجرة كانت لما أكمل ثلاثًا وخمسين سنة ﷺ وهنا قال:

١- وَبَعْدَ عَامٍ مَعَ نِصْفٍ: أُسْرِيَا بِهِ إِلَى السَّمَاءِ، حَتَّى حَظِيَا

(حَظِيَا) يعني حظي عند ربه ﷺ بالمنزلة العظيمة.

النبي ﷺ كان نائمًا في البيت الذي يسكنه في مكة، ويقال له: بيت أم هانئ، وأم هانئ ﷺ هي أم هانئ بنت أبي طالب، أخت علي بن أبي طالب، فهي بنت عم النبي ﷺ، فكان النبي ﷺ في بيت أم هانئ، وجاءه جبريل ﷺ فرأى النبي ﷺ سقف البيت ينفرج، ويدخل منه جبريل ﷺ ويحمله ﷺ من بيت أم هانئ إلى الحجر.

ذهب به إلى الحجر، الذي يقال له: حجر إسماعيل وهو البناء المقوس عند الكعبة الذي هو يُعتبر جزءاً من الكعبة، فأخذه وذهب إلى الحجر.

فلذلك نجد في بعض الروايات أن النبي ﷺ أُسْرِيَ به من بيت أم هانئ، وفي بعضها أنه أُسْرِيَ به من الحجر، فليس هناك تعارض؛ لأنه أُخِذَ من بيت أم هانئ، وذهب به إلى الحجر أولاً، حيث شقَّ صدره ﷺ عند الحجر، وأُخْرِجَ قلبه وغُسِلَ في طست من ذهب بماء زمزم تهيئةً للإسراء به ﷺ.

ومع جبريل ﷺ دابة يقال لها: البراق وهي: دابة بيضاء فوق الحمار ودون البغل.

قال ابن القيم - رحمه الله -: ثُمَّ أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِجَسَدِهِ عَلَى الصَّحِيحِ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، رَاكِبًا عَلَى الْبُرَاقِ، صُحْبَةً جِبْرِيلَ عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَنَزَلَ هُنَاكَ، وَصَلَّى بِالْأَنْبِيَاءِ أَمَامًا، وَرَبَطَ الْبُرَاقَ بِحَلْقَةِ بَابِ الْمَسْجِدِ. وَقَدْ قِيلَ: أَنَّهُ نَزَلَ بَيْتِ لَحْمٍ وَصَلَّى فِيهِ، وَلَمْ يَصِحَّ ذَلِكَ عَنْهُ الْبَتَّةَ.

«ثُمَّ عُرِجَ بِهِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَاسْتَفْتَحَ لَهُ جِبْرِيلُ فُتُوحَ لَهُ، فَرَأَى هُنَاكَ آدَمَ أَبَا الْبَشَرِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ، وَرَحَّبَ بِهِ، وَأَقْرَأَ بِنُبُوَّتِهِ، وَأَرَاهُ اللَّهُ أَزْوَاحَ السُّعْدَاءِ عَنْ يَمِينِهِ، وَأَزْوَاحَ الْأَشْقِيَاءِ عَنْ يَسَارِهِ، ثُمَّ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ فَاسْتَفْتَحَ لَهُ، فَرَأَى فِيهَا يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا وَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَلَقِيَهُمَا وَسَلَّمَ عَلَيْهِمَا، فَرَدَّا عَلَيْهِ وَرَحَّبَا بِهِ، وَأَقْرَأَا بِنُبُوَّتِهِ، ثُمَّ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، فَرَأَى فِيهَا يُوسُفَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ وَرَحَّبَ بِهِ، وَأَقْرَأَ بِنُبُوَّتِهِ، ثُمَّ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، فَرَأَى فِيهَا إِدْرِيسَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، وَرَحَّبَ بِهِ وَأَقْرَأَ بِنُبُوَّتِهِ، ثُمَّ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ، فَرَأَى فِيهَا هَارُونَ بْنَ عِمْرَانَ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَرَحَّبَ بِهِ، وَأَقْرَأَ بِنُبُوَّتِهِ، ثُمَّ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَلَقِيَ فِيهَا مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَرَحَّبَ بِهِ، وَأَقْرَأَ بِنُبُوَّتِهِ، فَلَمَّا جَاوَزَهُ بَكَى مُوسَى،

فَقِيلَ لَهُ: مَا يُنْكِيكَ؟ فَقَالَ: أَبْكِي لِأَنَّ غُلَامًا بُعِثَ مِنِّي بَعْدِي يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي أَكْثَرَ مِمَّا يَدْخُلُهَا مِنْ أُمَّتِي، ثُمَّ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَلَقِيَ فِيهَا إِبْرَاهِيمَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، وَرَحَّبَ بِهِ وَأَقَرَّ بِنَبَوَّتِهِ، ثُمَّ رُفِعَ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنتَهَى، ثُمَّ رُفِعَ لَهُ الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، ثُمَّ عُرِجَ بِهِ إِلَى الْجَبَّارِ - جَلَّ جَلَالُهُ - فَدَنَا مِنْهُ حَتَّى كَانَ ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ ١ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ١٠ ﴿[النجم]، وَفَرَضَ عَلَيْهِ خَمْسِينَ صَلَاةً. فَرَجَعَ حَتَّى مَرَّ عَلَى مُوسَى فَقَالَ لَهُ: بِمِ أُمِرْتَ؟ قَالَ: بِخَمْسِينَ صَلَاةً، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ، ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ، فَالْتَفَتَ إِلَى جِبْرِيلَ كَأَنَّهُ يَسْتَشِيرُهُ فِي ذَلِكَ، فَأَشَارَ أَنْ نَعَمْ إِنْ شِئْتَ، فَعَلَا بِهِ جِبْرِيلُ حَتَّى أَتَى بِهِ الْجَبَّارَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - وَهُوَ فِي مَكَانِهِ. هَذَا لَفْظُ الْبُخَارِيِّ فِي بَعْضِ الطُّرُقِ، فَوَضَعَ عَنْهُ عَشْرًا، ثُمَّ أَنْزَلَ حَتَّى مَرَّ بِمُوسَى فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَلَمْ يَزَلْ يَتَرَدَّدُ بَيْنَ مُوسَى وَبَيْنَ اللَّهِ ﷻ حَتَّى جَعَلَهَا خَمْسًا، فَأَمَرَهُ مُوسَى بِالرُّجُوعِ وَسُؤَالِ التَّخْفِيفِ، فَقَالَ: قَدْ اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي، وَلَكِنْ أَرْضَى وَأَسْلَمَ، فَلَمَّا بَعْدَ نَادَى مُنَادٍ: قَدْ أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي، وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي﴾ ١١ .

وورد في بعض أحاديث الإسراء أن النبي ﷺ في طريقه وهو على البراق ذاهبًا إلى بيت المقدس مر في طريقه بمدين ومر بسيناء، وبطور سيناء، ومر بيت لحم، فذكر النبي ﷺ الأماكن التي مر بها ﷺ وأنه توقف في بعض هذه الأماكن، وصلى ﷺ حتى وصل في نهاية الرحلة إلى بيت المقدس وجمع له الأنبياء، وصلى بهم ﷺ .

ثم عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ عِبْرَ مَعْرَاجٍ، وَالْمَعْرَاجُ: هُوَ الْمَصْعَدُ، الْمَعْرَاجُ: أَيْ: آلَةٌ لِلصُّعُودِ يُقَالُ لَهَا الْمَعْرَاجُ، فَمَوْضِعُ الْمَعْرَاجِ الَّذِي يُعْرَجُ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ هُوَ عِنْدَ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ، طَبْعًا كَيْفِيَّتُهُ هَذِهِ مِنْ أُمُورِ الْغَيْبِ الَّتِي لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ ﷻ

فبعد أن صلى في بيت المقدس ﷺ نُصِبَ المعراج وعُرج به ﷺ، صُعد به إلى السماء، ومعه جبريل ﷺ فاستفتح الأبواب.

٣- إلى السَّمَاءِ، مَعَهُ جِبْرِيلُ فَاسْتَفْتَحَ الْبَابَ لَهُ يَقُولُ

جبريل ﷺ استفتح، أي: طلب أن يُفتح له الباب. فكل سماء لها أبواب، وعند الأبواب ملائكة يحرسونها، فملائكة السماء الدنيا قالت: مَنْ هذا؟ قال: جبريل، قالوا: مَنْ معك؟ قال: محمد ﷺ فرحبوا به، وفتحوا له ﷺ وظل كذلك يرقى من سماء إلى سماء والتقى في كل سماء بالأنبياء الذين فيها، بعض الأنبياء لقيهم في كل سماء من السموات التي مر بها ﷺ.

حتى:

٦- ... عَلَا لِمُسْتَوَى قَدْ سَمِعَا صَرِيفَ الْأَقْلَامِ

يعني صُعد بالنبي ﷺ حتى وصل إلى السماء السابعة، والسماء السابعة فوقها الجنة وفوقها سدرة المنتهى، والسدرة: هي شجرة السدر، والسدر هو نبات النبق، فشجرة السدر وهي شجرة عظيمة وصفها النبي ﷺ بأنها: ورقها مثل آذان الفيلة، ونبقها مثل قلال هجر، وهي قلال ضخمة عظيمة، وهجر: هي الأحساء أو البحرين.

ورأى السدرة يغشاها ما يغشى، وقال النبي ﷺ: يغشى السدرة فراش من ذهب، رأى النبي ﷺ فراشاً من الذهب يغطي هذه السدرة ويطير حولها.

وسدرة المنتهى عندها جنة المأوى كما وصف رب ﷺ، قال: ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾ (١٤) ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ (١٥) [النجم: ٤١-٥١] والجنة أُعِدَّتْ وَخُلِقَتْ كما ذكر الله ﷻ عن الجنة قال: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٣) يعني فُرِغَ منها، فالجنة جاهزة ومُعَدَّة ومُهَيَّاة

لاستقبال المؤمنين، والحدود العين مخلوقات الآن، وفي الجنة ينتظرون، والولدان المخلدون، وما أعد الله فيها من النعيم؛ فالنبي ﷺ دخل الجنة في رحلة المعراج وراها بعينه ﷺ.

لما وصل النبي ﷺ عند سدره المنتهى التي هي فوق السماء السابعة وصل إلى مقام ينتهي إليه جبريل، يعني جبريل ﷺ لا يُسمح له بالصعود فوق هذا المقام، وأذن رب العالمين ﷺ لمحمد ﷺ أن يرقى فوق مقام لا يرقى عنده جبريل، رُقي به ﷺ وقال: «حتى صرت إلى منتهى أسمع فيه صريف الأقلام» صريف الأقلام: هو صوت كتابة الأقلام التي تكتب كلمات الله ﷻ وما يأمر الله ﷻ به مما أراد الله ﷻ إجراؤه من المقادير، فصار النبي ﷺ في مستوى يسمع صريف الأقلام ﷺ.

وكلمه رب العالمين ﷺ وأثنى رب العالمين ﷺ على أدبه ﷺ في ذلك الوقت، ولذلك العلماء يذكرونه في كتاب الأدب، يريدون فيه: قوله تعالى: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ [النجم: ١٧]، يعني نبينا محمد ﷺ كان في موقف عظيم ومهيب، وكل شيء حوله عجيب ومدهش، ومع ذلك ما زاغ بصره وما طغى، ما طغى: يعني ما جاوز الحد الذي يُسمح له أن ينظر إليه، ولا زاغ: يعني ولا التفت يمينا ولا يسارا، ﷺ.

فكلمه رب العالمين ﷺ وهذا مما اختص الله ﷻ به بعض رسله، وهم أفضل الرسل، يعني الذين كلمهم الله ﷻ بغير واسطة الملك، فسمعوا كلام الله ﷻ بآذانهم مباشرة بغير واسطة الملك، فقال الله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ ﷻ﴾ [البقرة: ٢٥٣] يعني من الرسل المفضلين مَنْ كلمهم الله ﷻ ومن الرسل المكلمين نبينا محمد ﷺ وموسى - ﷺ - ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ ﷻ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، وآدم ﷺ نبي مُكَلَّم كما قال ﷺ.

فكلمه الله ﷻ وفرض عليه خمسين صلاة في اليوم والليلة، ثم خففها رب العالمين -سبحانه- النبي ﷺ امثل لأمر الله ﷻ ثم بعد أن فرض الله عليه الصلوات خمسين صلاة في اليوم والليلة، وأوحى الله ﷻ إليه آخر آيتين من سورة البقرة، تلقاهما النبي ﷺ من رب العالمين ﷻ مباشرة بغير واسطة في ذلك اليوم.

وهناك الخلاف بين الصحابة ﷺ: هل النبي ﷺ رأى ربه ﷻ يوم المعراج أم لا؟ وهنا الناظم -رحمه الله- كأنه يؤيد يعني أن النبي ﷺ رأى ربه يوم المعراج؛ لأنه قال:

٧- ثُمَّ دَنَا حَتَّى رَأَى الْإِلَهَا بِعَيْنِهِ، مُخَاطِبًا شِفَاهَا

فيقول النبي ﷺ (رَأَى الْإِلَهَا) ﷻ (بِعَيْنِهِ، مُخَاطِبًا شِفَاهَا) يعني وخاطبه رب العالمين ﷻ مشافهة، وهذا قول عبد الله بن عباس ﷺ أن النبي ﷺ رأى ربه يوم المعراج، وقول الإمام أحمد بن حنبل ﷺ وجماعة من الأئمة.

والرأي الآخر: وهو رأي أم المؤمنين عائشة ﷺ وبعض الصحابة والأئمة، يقولون: إن النبي ﷺ لم ير ربه ليلة المعراج، ولكن رأى الحجاب، رأى النور الذي هو حجاب الله ﷻ ولم ير الله ﷻ يوم المعراج.

لكن هذا الخلاف في الرؤية وعدمها متعلق بما قبل الآخرة، أما في الآخرة فجميع المؤمنين يرون الله ﷻ: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۚ﴾ [القيامة: ٢٢-٣٢] الذين قالوا إن النبي ﷺ رأى ربه ﷻ قالوا: المعراج هذا لا يأخذ أحكام الدنيا، النبي ﷺ في ذلك الوقت ما كان يأخذ أحكام الدنيا، وأن أهل الدنيا لا يرون الله ﷻ فالنبي ﷺ في ذلك الوقت أخذ أحكام الآخرة في هذا المكان.

الذين يقولون: إنه رأى ربه ﷺ قالوا: الرؤية المنفية غير الرؤية المثبتة، فقالوا: إن المقصود: «أنتى أراه» يعني رؤية فيها إحاطة فحملوا النفي على نوع من الرؤية، وليس على أصل الرؤية، فالرؤية المنفية رؤية فيها إدراك أو فيها إحاطة، لكن أصل الرؤية قالوا: ثابتة.

وابن عباس ﷺ كان يفسر الآية الكريمة في سورة النجم: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ (١٣) **عند سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ** (١٤) **عندها جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ** (١٥) **إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ** (١٦) **[النجم: ١٣-١٦]** فكان ابن عباس ﷺ يقول: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ **[النجم: ١٣]** يقول: رأى ربه، نزلة أخرى: يعني مرة أخرى؛ لأن المرة الأولى هي رؤية النبي ﷺ لله ﷻ منامًا، فقال: إن النبي ﷺ رأى الله ﷻ منامًا ثم رآه مرة أخرى عند سدرة المنتهى يعني يقظة.

وأم المؤمنين عائشة ﷺ كانت تقول الضمير هنا يعود على جبريل، ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ **[النجم: ١٣]** تقول: إن النبي ﷺ رأى جبريل مرة أخرى على صورته التي خلقه الله عليها، يسد ما بين السماء والأرض، وله ستمائة جناح، فرآه مرة أخرى على صورته وكان رآه قبل ذلك في أجياد بمكة بعد الإيحاء إليه على صورته.

وأحاديث الإسراء والمعراج كثيرة، قالوا: أحاديث متواترة وردت عن بضعة وثلاثين صحابيًا، رَوَوْا عن النبي ﷺ أحاديث الإسراء والمعراج، ومنها عشرات الروايات في الصحيحين وغيرها، فمن ضمن أحاديث الإسراء والمعراج، والأحاديث يكمل بعضها بعضًا، في كل حديث ذُكر بعض التفاصيل التي لم تُذكر في الحديث الآخر.

فمن ذلك ما جاء في صحيح مسلم عن أنس ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ، وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ، وَدُونِ الْبَغْلِ، يَضَعُ حَافِرُهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرَفِهِ»، قَالَ: «فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ»، قَالَ: «فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلَقَةِ الَّتِي يَرِبُطُ بِهَا

الأنبياء»، قَالَ « ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجْتُ فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ، وَأَنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ جِبْرِيلُ ﷺ: اخْتَرْتَ الْفُطْرَةَ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ، فَرَحَّبَ بِي، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِابْنِي الْخَالَةِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، وَيَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا - فَرَحَّبَا وَدَعَوَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ ﷺ إِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قَالَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، قَالَ اللَّهُ - ﷻ: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ ﷺ، فَرَحَّبَ، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى ﷺ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ ﷺ، مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ

أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ، ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى السِّدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَإِذَا وَرَفُهَا كَأِذَا نِ الْفَيْلَةِ، وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلَالِ.

قَالَ: فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا غَشِيَ تَغَيَّرْتُ، فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى، فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى ﷺ فَقَالَ: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَيَّ أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلَاةً، قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ.

قَالَ: « فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي، فَقُلْتُ: يَا رَبِّ، خَفِّفْ عَلَيَّ أُمَّتِي، فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقُلْتُ: حَطَّ عَنِّي خَمْسًا، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ.

قَالَ: « فَلَمْ أَرْزُلْ أَرْجِعْ بَيْنَ رَبِّي -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- وَبَيْنَ مُوسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- حَتَّى قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلُّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ، فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةٌ وَاحِدَةٌ

قَالَ: « فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ » فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « فَقُلْتُ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ ^[١]

هؤلاء الذين التقى بهم النبي ﷺ في طريقه من الأنبياء، والأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم- طبعًا أكثر من هذا، وكلهم مُنعمون عند الله ﷻ لكن هو ذكر مَنْ مَرَّ بِهِ، يعني لقيه في طريقه أثناء المرور ﷺ.

في السماء السابعة قال: « فإذا أنا بإبراهيم مُسنِّداً ظهره إلى البيت المعمور ».

والبيت المعمور: هو بيت الله ﷻ حيال الكعبة، يعني فوق الكعبة، والله ﷻ في كل سماء بيت تطوف به ملائكة كل سماء، ويعبدون الله ﷻ عنده.

فالبيت الذي في السماء الدنيا اسمه بيت العِزَّة، والبيت الذي في السماء السابعة اسمه البيت المعمور الذي أقسم الله ﷻ به في سورة الطور: ﴿وَالطُّورِ ١﴾ وَكَتَبَ مَسْطُورٍ ٢﴾ في رَقٍّ مَنشُورٍ ٣﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ٤﴾ [الطور: ١-٤] فإبراهيم ﷺ هو الذي بنى بيت الله ﷻ في الدنيا فداءً للجزء من جنس العمل، فهو جالس مُسنِّداً ظهره إلى البيت المعمور «وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه» يعني من كثرة الملائكة، كل يوم سبعون ألف ملك جُدد يدخلون البيت المعمور، يطوفون به ويعبدون الله فيه، ويخرجون و لا يعودون إليه آخر ما عليهم، يعني لا يعودون إليه مرة أخرى لكثرة الملائكة، كل يوم سبعون ألفاً غير الذين دخلوه في اليوم الذي قبله.

(وَسَأَلُوهُ عَنْ صِفَاتِ الْقُدْسِ) يعني: أن المشركين سألوا النبي ﷺ عن صفات بيت المقدس، فسأله عن عدد أعمدته، وصفة نوافذه وأبوابه، قال: فسألوني عن أشياء لم أثبتها، يعني النبي ﷺ ذهب إلى بيت المقدس لكن ما تثبت من هذه الأمور.

قال: (رَفَعَهُ إِلَيْهِ رُوحُ الْقُدْسِ) وفي رواية قال ﷺ قال: «فجلاه الله لي حتى كأني أنظر إليه» هنا شراح الحديث بعضهم يقول: إن الله ﷻ أعطى النبي ﷺ قوة في البصر حتى صار ينظر وهو في مكة إلى بيت المقدس.

والفريق الآخر قالوا: «جلاه الله لي» يعني أن البيت قد رفعه إليّ جبريل، قالوا: المقصود أنه صوّر بيت المقدس، بكيفية يعلمها الله ﷻ بحيث ينظر إليه النبي ﷺ لأنه قال: «كأني أنظر إليه» فهذا يفيد أنه ما نظر حقيقةً، ولكن صوّر للنبي ﷺ بحيث أصبح

ينظر إليه أمامه فيجيبهم عن أسئلتهم، وهم يعلمون أن النبي ﷺ ما زار بيت المقدس من قبل.

النبي ﷺ لم يذهب إلى بيت المقدس من قبل، وعندما ذهب إلى الشام للتجارة ذهب إلى بصرى ورجع، يعني: ما ذهب إلى بيت المقدس، فكانوا يعلمون ذلك، فسألوه عن أشياء فجعل النبي ﷺ يجيبهم عن أسئلتهم سؤالاً سؤالاً، ومع ذلك استمروا على تكذيبهم، فجعل يصفه باباً باباً وموضعاً موضعاً.

وجاء في حديث أم هانئ أن النبي ﷺ قال لهم: «آيته أنني مررت بغير بني فلان» العير: هي القافلة التجارية، لبني فلان «بوادي كذا، فأنفرهم حس الدابة، فند لهم بغير، فدللتهم عليه وأنا متوجه إلى القدس» النبي ﷺ قال: وهو سائر بالبراق مر بغير لبني فلان، وصوت البراق نقرهم، يعني هم سمعوا صوتاً يشق الطريق حتى أن بغيراً من إبلهم ندّ فرعاً من صوت البراق.

قال: «فدللتهم عليه» النبي ﷺ قال لهم: بغيركم في المكان الفلاني.

«ثم أقبلت حتى إذا مررت بغير بني فلان فوجدت القوم نياماً ولهم إناء فيه ماء قد غطوا عليه بشيء فكشفته وشربت ما فيه، ثم غطيت عليه كما كان، وآية ذلك أن غيرهم الآن تصوب من البيضاء ثنية التنعيم يقدمها جمل أورك عليه غرارتان إحداهما سوداء» فوصف لهم النبي ﷺ أنه مر بقافلة أخرى لبني فلان، وسمى لهم أصحاب هذه القافلة، وأنه شرب من إناء لهم، ووصف لهم البعير الذي يتقدم هذه القافلة «جمل أورك وعليه غرارتان» الغرارة: هي مثل: الجوال.

فالقصد: أنهم انتظروا فإذا بالقافلتين اللتين أخبر عنهما النبي ﷺ يقدمان كما وصف النبي ﷺ وعلى نفس الصفة، وقالوا: إنهم سمعوا صوت محمد ﷺ، وأنه سلم عليهم

وأنهم ردوا ، وسمعوا صوته وهم لا يرونه ، وذكروا قصة الإناء كما وصف ،
وما زادهم هذا إلا تكذيباً.
هذا كان ما يتعلق بقصة الإسراء والمعراج.

باب ذِكْرِ عَرْضِ النَّبِيِّ ﷺ نَفْسَهُ عَلَى الْقَبَائِلِ وَبَيْعَةِ الْأَنْصَارِ لَهُ ﷺ

قال:

- ١- وَعَرَضَ النَّبِيُّ ﷺ نَفْسَهُ عَلَى قَبِيلَةِ قَبِيلَةٍ، لِيُخْصَلَ
- ٢- إِيَّائِهِ مِنْ بَعْضِهِمْ، يُبَلِّغُ رِسَالَةَ اللَّهِ، فَكُلُّ يَنْزَعُ:
- ٣- إِلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ، حَتَّى يُعْرِضُوا عَنْ قَوْلِهِ، وَيَهْزُؤُوا وَيَرْفُضُوا
- ٤- حَتَّى أَتَاهُ اللَّهُ لِلْأَنْصَارِ فَاسْتَبَقُوا لِلْخَيْرِ بِاخْتِيَارِ

نذكر المعنى الإجمالي ثم نشرحه تفصيلاً إن شاء الله، يقول: إن النبي ﷺ عرض نفسه على القبائل قبيلة قبيلة، وكان النبي ﷺ يفعل ذلك في مواسم الحج خاصةً عندما يأتي وفود العرب، كانوا يأتون من كل أنحاء الجزيرة العربية، إلى مكة للحج، وكل قبيلة كان تُخَيِّم في مكان في موسم الحج، فكان النبي ﷺ يمر على خيام كل قبيلة من القبائل يدعوهم إلى الإسلام، ويطلب منهم النبي ﷺ، أن يؤووه وينصروه، ويُبدي لهم استعدادهم أنهم إن آمنوا به ونصروه أن ينتقل معهم إلى بلادهم.

وكان أبو لهب يمر دائماً خلف النبي ﷺ، يُحذِّر الناس منه، ويقول: أنا عمه، وأعرف الناس به، وإنه كذاب وإنه مجنون، وإنه كذا، ويُنفِّر الناس عنه ﷺ.

فكانوا يُعْرِضُونَ عن قوله ويهزؤون به ﷺ ويرفضون.

- ٤- حَتَّى أَتَاهُ اللَّهُ لِلْأَنْصَارِ فَاسْتَبَقُوا لِلْخَيْرِ بِاخْتِيَارِ

حتى وفق الله ﷻ أنه ﷺ ذهب يدعو أهل المدينة الذين قدِموا للحج، فدعاهم النبي ﷺ، وكانت المدينة تُسمى يثرب في ذلك الوقت فدعاهم النبي ﷺ إلى الإسلام، وأنه إن

ففي العام الذي بعده قَدِمَ على النبي ﷺ ضعف العدد الذين بايعوه في العام الأول، فبايعوا النبي ﷺ (كَبَيْعَةِ النِّسَاءِ، ثُمَّ انْصَرَفُوا)؛ بيعة النساء: هي البيعة المذكورة في سورة الممتحنة: ﴿يُبَايِعُكَ عَلَى أَنْ لَا يَشْرَكَكَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَرْفِقَ وَلَا يَرْتِينَ وَلَا يَقْنُنَ وَلَا لَهْزَنَ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتِنٍ يُفَرِّقُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ وَلَا يَعْصِيكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُمْ﴾ (الممتحنة: ١٢)؛

فالنبي ﷺ لما بايع الأنصار بايعهم مثل بيعة النساء، قال لهم: بايعوني على ألا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم.

المقصود في بيعة النساء: ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِيْهَتَيْنِ يَفْتَرِيْنَهُ﴾ [الممتحنة: ١٢] قالوا: المقصود أن المرأة كانت أحياناً تلتقط لقيطاً فتبناه وتنسبه إلى زوجها، يعني تدّعي أنه ولدها وتنسبه إلى زوجها، وخاصةً مَنْ كانت منهم تلد بنتاً، وتعرف كراحتهم للبنات فتأخذ بدلاً منه طفلاً لقيطاً وتقول: هذا ولدي، فتنسب إلى زوجها مَنْ ليس من صلبه، وتزعم أنه ابنه فالمقصود بـ ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِيْهَتَيْنِ يَفْتَرِيْنَهُ بَيْنَ أَيْدِيْهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ [الممتحنة: ١٢] يعني لا ينسبن ولداً لأزواجهن، ليس منهم.

لكن في بيعة الرجال قالوا: المقصود هنا: (ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم) قالوا: المعنى العام للبهتان، البهتان: هو الكذب والافتراء.

وبين أيديكم وأرجلكم: بمعنى تكسبه جوارحكم، أي: لا تأتوا ببهتان أو بافتراء تعملونه يعني بجوارحكم، مثل: قذف الآخرين بالزنا مثلاً.

﴿وَلَا يَعْصِيْكَ فِيْ مَعْرُوفٍ﴾ [الممتحنة: ١٢] هذه في بيعة النساء، وهي بمعنى النواح، النوح على الميت.

وفي بيعة الرجال (ولا تعصوني في معروف): هو بمعنى معصية أمر النبي ﷺ؛ لأن كل ما أمر به النبي ﷺ فهو معروف، بمعنى المعصية يعني بصفة عامة.

هذه البيعة سُميت (بيعة النساء) لأن صيغتها تشابه الصيغة التي بايع بها النبي ﷺ النساء.

١٠- ثُمَّ أَتَى مِنْ قَابِلٍ سَبْعُونَ وَنِيفَ فَبَايَعُوا، يُخْفُونَا:

١١- بَيْعَتُهُمْ لَيْلًا، وَنِعَمَ الْبَيْعَةِ جَزَاءُ مَنْ بَايَعَ فِيهَا الْجَنَّةَ

يقول: في العام الذي بعده جاء سبعون ونيّف فبايعوا النبي ﷺ.

هذا على سبيل الإجمال، وتوضيح ذلك بشيء من التفصيل: أن النبي ﷺ كان يعرض نفسه على قبائل العرب في مواسم الحج يقول: «ألا رجل يعرض عليّ قومه؟ فإن قريشاً منعوني أن أبْلغ رسالة ربي» فكانوا يهزؤون بالنبي ﷺ.

حتى ذهب النبي ﷺ يدعو الأوس والخزرج، وقد قدموا من المدينة للحج في مكة، فذهب يدعوهم إلى الإسلام، وقرأ عليهم القرآن، فأسلم عدد منهم فكانوا ستّاً وقيل: كانوا ثمانية.

الرواية التي فيها أن الذين بايعوا النبي ﷺ في أول مرة حصلت فيها بيعة كانوا ستة، هم: أسعد بن زرارة، وعوف بن الحارث، ورافع بن مالك، وقطبة بن عامر، وعقبة بن عامر، وجابر بن عبد الله، أو عبادة بن الصامت يعني في رواية (جابر بن عبد الله)، وفي رواية (عبادة بن الصامت)، وفي بعض الروايات زيادة (أبي الهيثم بن التيهان، ومعاذ بن عفراء) ﷺ.

ولم يكن فيهم نساء في هذه المرة.

وفي العام الذي بعده بايع النبي ﷺ اثنا عشر، وهو معنى قوله: (ضِعْفُ) العام الذي بعده بايعه ضعف العدد الأول، فبايع النبي ﷺ اثنا عشر رجلاً من الأنصار.

منهم خمسة بايعوا مرة ثانية ممّن كانوا أسلموا، وبايعوا في العام الذي قبله، وهم: أسعد بن زرارة، وعوف بن الحارث، ورافع بن مالك، وقطبة بن عامر، وعقبة بن عامر؛

هؤلاء الخمسة و السبعة الآخرون، هم: ذكوان بن عبد قيس، وعبادة بن الصامت، ويزيد بن ثعلبة، والعباس بن عباد، ومعاذ بن عفراء، وأبو الهيثم بن التيهان، وعويم بن ساعدة رضي الله عنه.

فهؤلاء الذين بايعوا كبيعة النساء، بايعهم النبي ﷺ قال: «ألا تشرکوا بالله شيئاً، ولا تنزوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فإن وفيتم فلكم الجنة، وإن غشيتم من ذلك شيئاً فأصبتكم بحدّ في الدنيا فهو كفارة له في الدنيا، وإن سترتم عليه فأمرکم إلى الله؛ إن شاء عذب وإن شاء غفر»..

فبايعهم النبي ﷺ على ذلك وعلى أنهم إن فعلوا شيئاً مما يُوجب حدّاً وأقيم عليهم الحد في الدنيا مثل: السرقة، والزنا، فهو كفارة له، وإذا ستروا على أنفسهم وتابوا فهُم تحت مشيئة الله إن شاء عذب وإن شاء عفا.

فبايعوا النبي ﷺ على ذلك وانصرفوا إلى المدينة، ولما رجعوا إلى المدينة كتبوا إلى النبي ﷺ: أن ابعث إلينا مَنْ يقرئنا القرآن ويفقهنا، فبعث إليهم مصعب بن عمير رضي الله عنه، فنزل على أسعد بن زرارة، وأسعد بن زرارة كان ممّن أسلم وبايع، و كان من سادات الأنصار، وكبراء أهل المدينة.

فنزل في دار أسعد بن زرارة، وكانوا يصلون الجمعة في هذه الدار فقالوا: كان النبي ﷺ في مكة لا يستطيع أن يصلي الجمعة، فأول جمعة صُليت كانت في دار أسعد بن زرارة رضي الله عنه قبل بناء المسجد، فكانوا يصلون الجمعة في المدينة، والنبي ﷺ ما كان يستطيع أن يصليها في مكة، فالإسلام قوي أمره وشأنه في المدينة.

فمصعب رضي الله عنه كان أول سفير في الإسلام، وكان يقال له: القارئ، ويقال له: المقرئ أيضاً رضي الله عنه، فقالوا: كان أول مَنْ سُمي القارئ، وأول مَنْ سُمي المقرئ هو مصعب بن عمير رضي الله عنه.

وممن أسلم على يده: أسيد بن حضير، وسعد بن معاذ رضي الله عنه.

وكان سعد بن معاذ رضي الله عنه من سادة أهل المدينة أيضًا، وكان قد بلغه اجتماع مصعب مع رجال ممن أسلم في دار أسعد بن زرارة، فبعث إليهم أسيد بن حضير؛ ليزجر هؤلاء ويمنعهم، فلما جاء أسيد بن حضير أخذ يتكلم بكلام يزجر به مصعبًا ومن معه، فقال له مصعب: أوتجلس فتسمع، فإن رضيت أمرًا قبلته، وإن كرهته كُفَّ عنك ما تكره، قال: أنصفت.

ثم ركز حربته وجلس، فكلمه مصعب بالإسلام وقرأ القرآن، فقال: ما أحسن هذا! كيف تصنعون إذا دخلتم في هذا الدين؟ فقالوا له: تغتسل وتشهد شهادة الحق، ثم تصلي.

وطبعًا يعني هنا الذي يذكره الفقهاء أن الشهادة لا تؤخر عن الاغتسال، يعني أنه يتشهد أولاً ثم يغتسل لاحقًا، فالقصد: أنه تشهد واغتسل وصلى.

ثم قال: إن في المدينة رجالًا لو تبعكم لم يتخلف أحد عن الإسلام، وهو سعد بن معاذ رضي الله عنه، وسأرسله الآن، فلما قدم أسيد على سعد قال سعد لمن حوله: لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب به. فقال له سعد: ما فعلت؟، فذكر قصته، وأنه سمع كلامًا أعجبه، وأشار أسيد على سعد أن يذهب إليهم ويسمع منهم ما يقولون.

فجاء سعد فدخل عليهم و كلمه مصعب وقرأ عليه القرآن ودعاه إلى الإسلام فأسلم سعد رضي الله عنه.

العام الذي بعده قدم من الأنصار سبعون رجلًا ونيف: ونيف يعني: ورجل أو رجلان وامرأتان، (ونيف) قيل يعني: رجل وامرأتان، وقيل: رجلان وامرأتان، يعني سبعون، أو واحد وسبعون أو اثنان وسبعون من الرجال وامرأتان.

وهذه البيعة سُميت بالبيعة الثانية، فعندنا البيعة الأولى، والبيعة الثانية.

البيعة الأولى: هي التي بايع فيها اثنا عشر رجلاً، سموها بيعة العقبة الأولى، اثنا عشر رجلاً.

والثانية: هي التي بايع فيها واحد وسبعون أو اثنا وسبعون رجلاً وامرأتان.

فاجتمعوا وسلموا على النبي ﷺ، وكان الإسلام قد انتشر في المدينة، وجاءوا فسلموا على المصطفى ﷺ، وبايعهم، وواعدهم النبي ﷺ ليلة النفر الأول وهو اليوم الثاني عشر من ذي الحجة، والنفر الثاني هو الثالث عشر من ذي الحجة.

فالنبي ﷺ بايعهم في الثاني عشر من ذي الحجة؛ إذا هدأت الرجل أن يوافوه في الشعب الأيمن إذا انحدروا من منى في أسفل العقبة في الموضع الذي فيه مسجد الخيف الآن.

وأمرهم ألا يُنبِّهوا نائمًا ولا ينتظروا غائبًا، فخرج القوم يتسللون، وسبقهم النبي ﷺ لذلك الموضع، ومعه العباس عم النبي ﷺ، وتكلم العباس وقال: إنكم دعوتكم محمدًا ﷺ إلى ما دعوتموه إليه، ومحمد من أعز الناس في عشيرته يمنعه ممَّنْ كان على قوله، وممَّنْ لم يكن على قوله، يمنعه الشرف والحسد، وقد أبى إلا الانقطاع إليكم، يعني هذه البيعة الثانية كان فيها مواعدة النبي ﷺ أن يهاجر إليهم في المدينة ويتنقل إليهم، فالعباس يعني قال لهم: إن محمدًا ﷺ في مكة يعني قومه يمنعونهم سواء الذين أسلموا أو ممَّنْ لم يُسلم، يعني من قرابته وبني هاشم كانوا أيضًا يدافعون عن النبي ﷺ.

قال: وقد أبى إلا الانقطاع إليكم؛ أي: إن النبي ﷺ أبى إلا أن يهاجر إليكم ويتنقل إلى بلدكم.

فإن كنتم ترون أنكم تفون له، وأنكم أهل جلد وقوة وبصر بالحرب واستقلال
بعداوة العرب قاطبة ترميكم عن قوس واحدة فروا رأيكم وأتمروا ولا تفرقوا إلا عن
اجتماع، فإن أحسن الحديث أصدقه.

فقام البراء بن معرور رضي الله عنه، فقال: سمعنا ما قلت، ولو كان في أنفسنا غير ما ننطق به
قلناه، ولكننا نريد الوفاء وبذل المهج دونه.

ثم قرأ عليهم القرآن ورغبهم في الإسلام، فبايعوا النبي ﷺ كما ذكرنا، وطلب منهم
النبي ﷺ أن يخرجوا اثني عشر نقيباً أي: مندوبين عنهم، فأخرجوا تسعة من الخزرج
وثلاثة من الأوس، قال لهم النبي ﷺ: «إن موسى اتخذ من بني إسرائيل اثني عشر
نقيباً، فلا يجدن أحد منكم في نفسه أن يؤخذ غيره، وإنما يختار لي جبريل» يعني لا
يحزن أحد أنه لم يخرج كمندوب يعني عنكم، نقباء: يعني هم يمثلونكم.

وبايعهم النبي ﷺ وكان من ضمن هذه البيعة أن ينصروا النبي ﷺ، ويؤوه إذا جاء
إليهم، وأن يحموه مما يحمون منه أنفسهم وأولادهم، وأن يدافعوا عنه ﷺ فبايعهم
النبي ﷺ على ذلك، وكان هذا إيذاناً بالهجرة.

وخلال هذه الفترة بدأ النبي ﷺ يبعث أصحابه إلى المدينة حتى يهاجروا قبله ﷺ
حتى سافر وهاجر معظم الصحابة، ولم يبق إلا النبي ﷺ وأبو بكر وعلي وقلة ممن لم
يستطيعوا الهجرة، لكن معظمهم كان هاجر قبل النبي ﷺ وذهب إلى المدينة وصارت
المدينة مهيأة لهجرة رسول الله ﷺ.

وبهذا نكون قد انتهينا من المرحلة المكية من سيرة رسول الله ﷺ، وننتقل إلى
المرحلة المدنية وهي آخر عشرة أعوام في حياة الرسول ﷺ.

ذكر الهجرة من مكة إلى المدينة المشرفة

- ١- وَإِذْ فَشَا الْإِسْلَامُ بِالْمَدِينَةِ: هَاجَرَ مَنْ يَحْفَظُ فِيهَا دِينَهُ
- ٢- وَعَزَمَ الصَّدِيقُ أَنْ يَهَاجِرَا: فَرَدَّهُ النَّبِيُّ، حَتَّى هَاجَرَا:
- ٣- مَعًا إِلَيْهَا، فَتَرَفَقَا إِلَى
- ٤- وَمَعَهُمَا عَامِرُ مَوْلَى الصَّدِيقِ
- ٥- فَأَخَذُوا نَحْوَ طَرِيقِ السَّاحِلِ
- ٦- تَبِعَهُمْ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ
- ٧- لَمَّا دَعَا عَلَيْهِ سَاخَتِ الْفَرَسُ

هنا يقول: لما (فَشَا الْإِسْلَامُ): ظهر الإسلام وانتشر بالمدينة النبوية (هَاجَرَ مَنْ يَحْفَظُ فِيهَا دِينَهُ) مرّ بنا أن الصحابة رضي الله عنهم بدؤوا بالهجرة قبل النبي ﷺ فالصحابه الكرام كانوا بمكة مستضعفين وبدأ الإسلام ينتشر بالمدينة فبدأ الصحابة الكرام -رضوان الله عليهم- يهاجرون تباعاً مجموعةً تلو مجموعة يسبقون النبي ﷺ إلى المدينة النبوية.

وقالوا: كان أول مَنْ هاجر من أهل مكة إلى المدينة: مصعب بن عمير رضي الله عنه، وقيل: أول مَنْ هاجر هو أبو سلمة بن عبد الأسد رضي الله عنه، مرّ بنا ذكره كان من السابقين الأولين رضي الله عنهم، وكان أخاً للنبي ﷺ من الرضاعة، فقليل: إن أبا سلمة هو كان أول مَنْ هاجر، وقيل: مصعب بن عمير.

وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه قد عزم أن يهاجر، يقول:

٢- وَعَزَمَ الصَّدِيقُ أَنْ يَهَاجِرَا فَرَدَّهُ النَّبِيُّ، حَتَّى هَاجَرَا:

٣- مَعًا إِلَيْهَا، فَتَرَفَقَا إِلَى غَارٍ بِأَثُورٍ بَعْدُ، ثُمَّ ارْتَحَلَا

يعني كان أبو بكر الصديق عليه السلام يستأذن النبي ﷺ في أن يهاجر إلى المدينة كما هاجر بقية الصحابة عليهم السلام، فكان الرسول ﷺ يقول له: «لا تعجل؛ لعل الله يجعل لك صاحبًا». يقول: فردّه النبي ﷺ: منعه من الهجرة حتى يتشرف بصحبة النبي ﷺ، وهاجر معه النبي ﷺ.

وكما هو مشهور في كتب السير في خروج النبي ﷺ مع أبي بكر رضي الله عنه أن النبي ﷺ في تلك الليلة التي عزم فيها النبي ﷺ على الهجرة مع الصديق، قال لعلي رضي الله عنه: «نم على فراشي وتسجّ بردي» أي: يتغطى برده «فلن يخلص إليك شيء تكرهه»، وكلف النبي ﷺ عليًا رضي الله عنه بردّ الأمانات إلى أهلها؛ فقد كان الناس يودعون ودائع عند النبي ﷺ لأمانته ﷺ فأبقى عليًا لردّ الودائع.

وكان المشركون قد شعروا بقرب هجرة الرسول ﷺ وأنه تهيأ للخروج، ووجدوا الصحابة هاجروا ولم يتبق إلا الرسول ﷺ وأبو بكر وقلّة ممن بقي، فكانوا في تلك الليلة التي هاجر فيها الرسول ﷺ «فَلَمَّا أَيْقَنْتَ فُرِيشُ أَنْ مُحَمَّدًا ﷺ قَدْ بُويعَ، وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ كَانَ بِمَكَّةَ مِنْ أَصْحَابِهِ أَنْ يَلْحَقُوا بِإِخْوَانِهِمْ بِالْمَدِينَةِ تَأْمُرُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ، فَقَالُوا: الْآنَ فَاجْمِعُوا فِي أَمْرِ مُحَمَّدٍ؛ فَوَاللَّهِ لَكَأَنَّهُ قَدْ كَرَّ عَلَيْكُمْ بِالرَّجَالِ فَأَتَيْتُوهُ أَوْ اقْتُلُوهُ أَوْ أَخْرِجُوهُ، فَاجْتَمَعُوا لَهُ فِي دَارِ النَّدْوَةِ لِيَقْتُلُوهُ، فَلَمَّا دَخَلُوا الدَّارَ اعْتَرَضَهُمُ الشَّيْطَانُ فِي صُورَةِ رَجُلٍ جَمِيلٍ فِي بَتٍّ لَهُ وَالبَّتْ: الكِسَاءُ، فَقَالَ: أَدْخُلْ؟ فَقَالُوا: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ سَمِعَ بِالَّذِي اجْتَمَعْتُمْ لَهُ، فَأَرَادَ أَنْ يَحْضُرَهُ مَعَكُمْ، فَعَسَى أَنْ لَا يَعِدْمَكُمُ مِنْهُ رَأْيِي وَنُصْحٌ، فَقَالُوا: أَجَلْ فَادْخُلْ. فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: قَدْ كَانَ

مِنَ الْأَمْرِ مَا قَدْ عَلِمْتُمْ، فَاجْمَعُوا فِي هَذَا الرَّجُلِ رَأْيًا وَاحِدًا، وَكَانَ مِمَّنِ اجْتَمَعَ لَهُ فِي دَارِ النَّدْوَةِ: شَيْبَةُ وَعُثْبَةُ ابْنَا رَبِيعَةَ، وَأَبُو جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ، وَالنَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ، فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: أَرَى أَنْ تَحْسِبُوهُ وَتَرْبِّصُوا بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ حَتَّى يَهْلِكَ كَمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ مِنَ الشُّعَرَاءِ: زُهَيْرُ بْنُ أَبِي سُلَمَى، وَالنَّابِغَةُ، وَغَيْرُهُمَا. فَقَالَ النَّجْدِيُّ: وَاللَّهِ، مَا هَذَا لَكُمْ بِرَأْيٍ، وَاللَّهِ لَئِنْ فَعَلْتُمْ لَيُخْرِجَ رَأْيُهُ وَحَدِيثُهُ حَيْثُ حَبَسْتُمُوهُ إِلَى مَنْ وَرَاءَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَأَوْشَكَ أَنْ يَنْتَزِعُوهُ مِنْ أَيْدِيكُمْ، ثُمَّ يَغْلِبُوكُمْ عَلَى مَا فِي أَيْدِيكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ، فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: بَلْ نُخْرِجُهُ فَنَنْفِيهِ مِنْ بِلَادِنَا، فَإِذَا غُيِّبَ عَنَّا وَجْهُهُ وَحَدِيثُهُ فَوَاللَّهِ مَا نُبَالِي أَيْنَ وَقَعَ مِنَ الْبِلَادِ، وَلَئِنْ كَانَ أَجْمَعُنَا بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا وَأَصْلَحْنَا ذَاتَ بَيْنِنَا قَالَ النَّجْدِيُّ: لَا وَاللَّهِ مَا هَذَا لَكُمْ بِرَأْيٍ، أَمَا رَأَيْتُمْ حِلَاوَةَ مَنْطِقِهِ وَحُسْنَ حَدِيثِهِ وَغَلْبَتَهُ عَلَى مَنْ يَلْقَاهُ دُونَ مَنْ خَالَفَهُ، وَاللَّهِ لَكَأَنِّي بِهِ أَنْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ قَدْ دَخَلَ عَلَى قَبِيلَةٍ مِنْ قَبَائِلِ الْعَرَبِ، فَأَصْفَقَتْ مَعَهُ عَلَى رَأْيِهِ، ثُمَّ سَارَ بِهِمْ إِلَيْكُمْ حَتَّى يَطَاقُكُمْ بِهِمْ، فَلَا وَاللَّهِ مَا هَذَا لَكُمْ بِرَأْيٍ. قَالَ أَبُو جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ: وَاللَّهِ إِنْ لِي فِيهِ لِرَأْيًا مَا أَرَاكُمْ وَقَعْتُمْ عَلَيْهِ قَالُوا: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: أَرَى أَنْ تَأْخُذُوا مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ غُلَامًا نَهْدًا جَلْدًا نَسِيبًا وَسِيطًا، ثُمَّ تُعْطُوهُمْ شِفَارًا صَارِمَةً ثُمَّ يَجْتَمِعُوا فَيَضْرِبُوهُ ضَرْبَةً رَجُلٍ وَاحِدٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمُوهُ تَفَرَّقَ دَمُهُ فِي الْقَبَائِلِ، فَلَمْ تَذَرِ عَبْدٌ مَنَافٍ بَعْدَ ذَلِكَ مَا تَصْنَعُ، وَلَمْ يَقْوُوا عَلَى حَرْبِ قَوْمِهِمْ، فَإِنَّمَا أَفْصَرُهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ أَنْ يَأْخُذُوا الْعَقْلَ فَتَدُونَهُ لَهُمْ. قَالَ النَّجْدِيُّ: لِلَّهِ دَرُّ الْفَتَى هَذَا الرَّأْيُ وَالْأَفْلا شَيْءٌ. فَتَفَرَّقُوا عَلَى ذَلِكَ وَاجْتَمَعُوا لَهُ، وَآتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْحَبْرَ، وَأَمَرَ أَنْ لَا يَنَامَ عَلَى فِرَاشِهِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، فَلَمْ يَبْتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَيْثُ كَانَ يَبِيتُ، وَبَيَّتَ عَلِيًّا فِي مَضْجَعِهِ^[١].

وذهب النبي ﷺ إلى بيت الصديق وقت الظهيرة؛ ليخبره بأن الله - ﷻ قد أمره بالهجرة، وأذن له بالخروج، ولم يكن من عادته ﷺ أن يأتي أبا بكر في مثل هذا

الوقت، كما «قَالَتْ عَائِشَةُ: فَبَيْنَا نَحْنُ يَوْمًا جُلُوسٌ فِي بَيْتِنَا فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ، فَقَالَ قَائِلٌ لِأَبِي بَكْرٍ: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُقْبِلًا مُتَقَنَّعًا، فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فِدَا لَكَ أَبِي وَأُمِّي، وَاللَّهِ إِنْ جَاءَ بِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا لَأَمُرَّ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَاسْتَأْذَنَ فَأَذِنَ لَهُ فَدَخَلَ، فَقَالَ حِينَ دَخَلَ لِأَبِي بَكْرٍ: «أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ» قَالَ: إِنَّمَا هُمْ أَهْلُكَ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «فَإِنِّي قَدْ أَدْنَى لِي فِي الْخُرُوجِ» قَالَ: فَالْصُّحْبَةُ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: فَخُذْ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِحْدَى رَاحِلَتَي هَاتَيْنِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بِالْثَّمَنِ» قَالَتْ: فَجَهَّزْنَاهُمَا أَحْتَ الْجِهَارِ، وَضَعْنَا لَهُمَا سُفْرَةً فِي جِرَابٍ، فَقَطَعَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ قِطْعَةً مِنْ نِطَاقِهَا، فَأَوْكَأَتْ بِهِ الْجِرَابَ، وَلِذَلِكَ كَانَتْ تُسَمَّى ذَاتَ النِّطَاقِ. ثُمَّ لَحِقَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ بَغَارٍ فِي جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ ثَوْرٌ، فَمَكَثَ فِيهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ، يَبِيتُ عِنْدَهُمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، وَهُوَ غُلَامٌ شَابٌّ لَقِنٌ ثَقِفٌ، فَيَرَحُلُ مِنْ عِنْدِهِمَا سَحْرًا، فَيُصْبِحُ مَعَ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ كَبَائِتٍ، فَلَا يَسْمَعُ أَمْرًا يُكَادَانِ بِهِ إِلَّا وَعَاهُ، حَتَّى يَأْتِيَهُمَا بِخَبَرِ ذَلِكَ حِينَ يَخْتَلِطُ الظَّلَامُ، وَيَرَعَى عَلَيْهِمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ مِنْحَةً مِنْ غَنَمٍ، فَيُرِيحُهَا عَلَيْهِمَا حِينَ تَذْهَبُ سَاعَةٌ مِنَ الْعِشَاءِ، فَيَبِيتَانِ فِي رِسْلِهِمَا حَتَّى يَنْعَقَ بِهَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ بَغْلَسٍ، يَفْعَلُ ذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ مِنْ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثِ»^[١].

وأُسرة أبي بكر الصديق ﷺ كان لها دور كبير في حادثة الهجرة، وإعداد النبي ﷺ لأمر الهجرة النبوية، وكذلك إعداد صاحبه أبي بكر ﷺ فيه أخذ بالأسباب مع توفيق الله ﷻ فإن النبي ﷺ أخذ بما في وسعه من الأسباب ووضع خطة مُحكمة ﷻ لتوقي أذى الأعداء، فمنها: اختبأؤه ﷻ ثم تكليف أفراد أسرة أبي بكر الصديق ﷻ ببعض المهام.

فأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنه كان دورها في أحداث الهجرة: جلب الطعام إلى النبي ﷺ وصاحبه في الغار، وشقت نطاقها، والنطاق: ثوب تلفه عليها، فشقت النطاق وجعلته نصفين ولقت الطعام بنصف، وانتطقت بالآخر؛ ولذلك عرفت بذات النطاقين رضي الله عنه.

وكلف أبو بكر رضي الله عنه ابنه عبد الله: أن يتسمع لهم خبر القوم بالنهار، وأن يأتيهم به بالليل.

وكلف عامر بن فهيرة - وكان مولى لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، وهو من السابقين الأولين - أن يأخذ غنماً يسرح بها فيُعفي بها على آثار أسماء وعبد الله، فأسماء تأتي بالطعام، وعبد الله يأتي بالخبر، ويسير عامر بالغنم فيُعفي آثار أقدام أسماء وعبد الله.

ثم كان الاتفاق أن عامر بن فهيرة بعد ذلك يصحبهما في رحلة الهجرة، ولكنه لم يكن معهما في الغار؛ لأن الله تعالى قال: ﴿ثَاقِبَ أَتْنَيْنِ إِذْ هُما فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا لَنَرَى اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

فكان النبي ﷺ وأبو بكر في الغار، والله ﷻ معهم، والمعية هنا: هي المعية الخاصة، وهي معية النصر والتأييد والحفظ والرعاية، فالله ﷻ معهم بنصره وتأييده ورعايته وحفظه ﷻ.

وانتظروا الأيام الثلاثة ثم خرج النبي ﷺ وصاحبه من الغار، وشرعا في طريق الهجرة وانضم إليهم عامر بن فهيرة رضي الله عنه، فكان رفيق النبي ﷺ وصاحبه في الهجرة يخدمهما وكان معهم أيضاً في الهجرة دليل يدلهم على الطريق وهو عبد الله بن أريقط.

وعبد الله بن أريقط كان هادياً خريئاً، يعني كان دليلاً ماهراً خبيراً بالدروب في الصحراء؛ ليسير بالنبي ﷺ وصاحبه في طريق غير الطريق المعتاد الذي يسافر منه من مكة إلى المدينة، فسلك النبي ﷺ مع عبد الله بن أريقط الدليل يدلهم ويهديهم الطريق،

فسار بهم في طريق غير معروف.

وكان عبد الله بن أريقط مشركًا، وصحبهم بالأجرة، ولكنه كان أمينًا والنبي ﷺ استأجره؛ ليرشدهم على الطريق ويعطونه أجرة على هذه الدلالة.

فهنا يقول:

٣-..... ثَمَّ ارْتَحَلَ

٤- وَمَعَهُمَا عَامِرُ مَوْلَى الصَّدِيقِ وَابْنُ أَرَيْقَطٍ دَلِيلٌ لِلطَّرِيقِ

هل أسلم عبد الله بن أريقط بعد ذلك أم لا؟

بعض العلماء يقول: إنه أسلم بعد ذلك، وبعضهم يقول: لم يثبت خبر إسلامه الله ﷻ أعلم، لكن وقت الهجرة كان مشركًا.

قال: (فَأَخَذُوا نَحْوَ طَرِيقِ السَّاحِلِ) يعني سلك النبي ﷺ طريق الساحل، طريقًا قريبًا من الساحل متوجهًا من مكة إلى المدينة.

قال: (وَالْحَقُّ لِلْعَدُوِّ خَيْرٌ شَاغِلٍ) الحق: هو الله ﷻ قد شغل الأعداء عن النبي ﷺ فلم يستطيعوا الوصول إليه.

قال: (تَبِعَهُمْ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ) هنا قصة سراقة بن مالك المدلجي الذي أسلم بعد ذلك ﷺ وصحب النبي ﷺ.

قصة سراقة: أنه خرج يطلب النبي ﷺ وصاحبه؛ طمعًا في الجائزة التي رصدتها قريش لمن يأتي بالنبي ﷺ وصاحبه حيّين أو ميتّين، أو يدل عليهما، وكانت جائزة ضخمة كبيرة، قدرها مئة ناقة، فخرج سعيًا في الحصول على هذه الجائزة.

فبلغه أن سوادًا مرَّ بالساحل، سوادًا يعني: أشخاصًا، بعض أهل الطريق أو المارين في الطريق أخبروا أنهم رأوا ناسًا يسيرون في اتجاه الساحل فتوقع أن يكون السائرون هم النبي ﷺ وصاحبه.

فخرج (يُرِيدُ فِتْكًَا) بالنبي ﷺ أي: يريد قتل النبي ﷺ، الفتك: هو القتل، فسراقة بن مالك تبع النبي ﷺ (يُرِيدُ فِتْكًَا) يعني يريد أن يقتل النبي ﷺ (وَهُوَ غَيْرُ فَاتِكٍ) يعني وهو غير قاتل له؛ لأن الله ﷻ حماه ﷻ وحفظه وعصمه ﷻ منه.

قال: (لَمَّا دَعَا عَلَيْهِ سَاخَتِ الْفَرَسُ) الذي حصل أن سراقة بن مالك وصل إلى مكان النبي ﷺ دعا النبي ﷺ قال: «اللهم اكفناه كيف شئت وبما شئت» فساخت أقدام الفرس في الأرض فعجز عن الحركة، ساخت يدا الفرس إلى بطنها.

ف (نَادَاهُ) أي: أن سراقة نادى النبي ﷺ ، (بِالْأَمَانِ) أي: طلب منهم الوقوف، ووعدهم أن يكونوا آمنين من شره. يقول سراقة كما في صحيح البخاري: «جَاءَنَا رَسُولُ كُفَّارٍ قُرَيْشٍ، يَجْعَلُونَا فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ، دِيَّةً كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا، مَنْ قَتَلَهُ أَوْ أَسْرَهُ، فَبَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ قَوْمِي بَنِي مُدَلِجٍ، أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، حَتَّى قَامَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ جُلُوسٌ، فَقَالَ يَا سُرَاقَةَ: إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ أَنْفًا أَسْوَدَةً بِالسَّاحِلِ، أَرَاهَا مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ، قَالَ سُرَاقَةُ: فَعَرَفْتُ أَنَّهُمْ هُمْ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِهِمْ، وَلَكِنَّكَ رَأَيْتَ فُلَانًا وَفُلَانًا، انْطَلَقُوا بِأَعْيُنِنَا، ثُمَّ لَبِثْتُ فِي الْمَجْلِسِ سَاعَةً، ثُمَّ قُمْتُ فَدَخَلْتُ فَأَمَرْتُ جَارِيَّتِي أَنْ تَخْرُجَ بِفَرَسِي، وَهِيَ مِنْ وَرَاءِ أَكْمَةِ، فَتَحْبِسَهَا عَلَيَّ، وَأَخَذْتُ رُمْحِي، فَخَرَجْتُ بِهِ مِنْ ظَهْرِ الْبَيْتِ، فَحَطَطْتُ بِرُجْهِ الْأَرْضَ، وَخَفَضْتُ عَلَيْهِ، حَتَّى أَتَيْتُ فَرَسِي فَرَكِبْتُهَا، فَرَفَعْتُهَا تُقَرِّبُ بِي، حَتَّى دَنَوْتُ مِنْهُمْ، فَعَثَرَتْ بِي فَرَسِي، فَخَرَزْتُ عَنْهَا، فَقُمْتُ فَأَهْوَيْتُ يَدِي إِلَى كِنَانَتِي، فَاسْتَخَرَجْتُ مِنْهَا الْأَزْلَامَ فَاسْتَقْسَمْتُ بِهَا: أَضْرَهُمْ أَمْ لَا، فَخَرَجَ الَّذِي

أَكْرَهُ، فَرَكِبْتُ فَرَسِي، وَعَصَيْتُ الْأَزْلَامَ، تُقَرَّبُ بِي حَتَّى إِذَا سَمِعْتُ قِرَاءَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ لَا يَلْتَفِتُ، وَأَبُو بَكْرٍ يُكْثِرُ الْإِلْتِفَاتَ، سَاخَتْ يَدَا فَرَسِي فِي الْأَرْضِ، حَتَّى بَلَغَتَا الرُّكْبَيْنِ، فَخَرَزْتُ عَنْهَا، ثُمَّ زَجَرْتُهَا فَهَضَّتْ، فَلَمْ تَكَدْ تُخْرِجُ يَدَيْهَا، فَلَمَّا اسْتَوَتْ قَائِمَةً، إِذَا لِأَثَرِ يَدَيْهَا عَثَانٌ سَاطِعٌ فِي السَّمَاءِ مِثْلُ الدُّخَانِ، فَاسْتَفْسَمْتُ بِالْأَزْلَامِ، فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ، فَتَادَيْتُهُمْ بِالْأَمَانِ فَوَقَفُوا، فَرَكِبْتُ فَرَسِي حَتَّى جِئْتُهُمْ، وَوَقَعَ فِي نَفْسِي حِينَ لَقِيتُ مَا لَقِيتُ مِنَ الْحَبْسِ عَنْهُمْ، أَنْ سَيَظْهَرُ أَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ جَعَلُوا فِيكَ الدِّيَةَ، وَأَخْبَرْتُهُمْ أَخْبَارَ مَا يُرِيدُ النَّاسُ بِهِمْ، وَعَرَضْتُ عَلَيْهِمُ الزَّادَ وَالْمَتَاعَ، فَلَمْ يَرْزَأْنِي وَلَمْ يَسْأَلَانِي، إِلَّا أَنْ قَالَ: «أَخْفِ عَنَّا». فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَكْتُبَ لِي كِتَابَ أَمْنٍ، فَأَمَرَ عَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ فَكَتَبَ فِي رُقْعَةٍ مِنْ أَدِيمٍ، ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. [١]

فلما فُتِحَتِ المَدَائِنُ فِي أَيَّامِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ وَجِيءَ بِكُنُوزِ كَسْرَى إِلَى عُمَرَ ﷺ فَجَاءَ سَرَاقَةً إِلَى عُمَرَ وَأَخْبَرَهُ بِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَعَدَهُ أَنْ يَلْبَسَ سَوَارِي كَسْرَى، وَكَانَ لَهُ سَوَارَانِ يَلْبَسُهُمَا فِي يَدَيْهِ - يَعْنِي مِنَ الْجَوَاهِرِ النَّفِيسَةِ - فَأَعْطَى عُمَرَ سَوَارِي كَسْرَى لِسَرَاقَةٍ ﷺ.

باب ذِكْرِ مَرُورِهِ ﷺ بِأُمِّ مَعْبَدٍ

- ١- مَرُّوا عَلَى خَيْمَةِ أُمِّ مَعْبَدٍ وَهِيَ عَلَى طَرِيقِهِمْ بِمَرْصَدٍ
- ٢- وَعِنْدَهَا شَاةٌ أَضَرَ الْجَهْدُ
- ٣- فَمَسَحَ النَّبِيُّ مِنْهَا الضَّرْعَا
- ٤- وَحَلَبَتْ بَعْدَ إِنَاءٍ آخَرَ

يقول: إن النبي ﷺ وَمَنْ مَعَهُ مَرُّوا فِي الطَّرِيقِ عَلَى خَيْمَةِ أُمِّ مَعْبَدٍ، وَاسْمُهَا: عَاتِكَةُ بِنْتُ خَالِدِ الْخَزَاعِيَّةِ، وَقَدْ أَسْلَمَتْ بَعْدَ ذَلِكَ ﷺ.

فَمَرُّوا عَلَى خَيْمَةِ أُمِّ مَعْبَدٍ وَكَانَتْ هِيَ وَزَوْجُهَا لَهُمْ خَيْمَةً فِي طَرِيقِ الْمَسَافِرِينَ، وَكَانَتْ تَسْقِي الْمَارَةَ الْمَاءَ وَاللَبَنَ.

فَمَرَّ النَّبِيُّ ﷺ وَمَنْ مَعَهُ (عَلَى خَيْمَةِ أُمِّ مَعْبَدٍ وَهِيَ عَلَى طَرِيقِهِمْ بِمَرْصَدٍ) وَالْمَرْصَدُ: يَعْنِي مَكَانَ الرَّاصِدِ، وَهُوَ الْمُرَاقِبُ يَعْنِي الَّذِي يَرِاقِبُ الطَّرِيقَ، (بِمَرْصَدٍ): يَعْنِي بِمَقْعَدٍ تَرْصُدُ فِيهِ الطَّرِيقَ يَعْنِي تَرِاقِبُ فِيهِ الطَّرِيقَ، وَتَرْصُدُ الْمَارِينَ عَلَى الطَّرِيقِ بَغَرَضِ سَقْيِهِمُ الْمَاءَ وَاللَبَنَ.

فَمَرَّ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ (وَعِنْدَهَا شَاةٌ أَضَرَ الْجَهْدُ) يَعْنِي كَانَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ كَانَ عِنْدَهُمْ جَدْبٌ وَقَلَّةٌ مَرْعَى، فَنَظَرَ النَّبِيُّ ﷺ فَوَجَدَ عِنْدَهَا شَاةً، فَقَالَ: مَا هَذِهِ؟ قَالَتْ: شَاةٌ أَضَرَ بِهَا الْجَهْدُ.

(وَمَا بِهَا قُوًى) يعني ليس بها قوى (تَشْتَدُّ) يعني تشتد بها حتى تلحق الغنم؛ لترعى معها، يعني هذه الشاة من ضعفها أنها عاجزة عن اللحاق بالغنم، وأخبرته أن زوجها أخذ أغناماً أخرى، وذهب يبحث لها عن مرعى، وهذه الشاة بقيت عندها وبها ضر ولا تستطيع أن تخرج معها للرعي من شدة ضعفها.

فقال: هل بها من لبن؟ قالت: هي أجهد من ذلك، يعني هي أضعف من أن يكون بها لبن.

(فَمَسَحَ النَّبِيُّ مِنْهَا الضَّرْعَا) مسح النبي ﷺ ضرع الشاة، وورد أيضاً أنه مسح ظهر الشاة وضرعها، وسمى النبي ﷺ ودعا.

(فَحَلَبْتُ مَا قَدْ كَفَاهُمْ وَسَعَا) يعني: ما تحتمله طاقتهم من الرّبي، يعني أحضروا إناءً كبيراً، وحلبوا الشاة وشرب النبي ﷺ ومن معه، ثم حلب النبي ﷺ بعد ذلك إناءً آخر فملاً لها الإناء لبناً من هذه الشاة التي كانت لا لبن فيها، وترك النبي ﷺ هذا الإناء مملوءاً عندها وسافر ﷺ واصل بعد ذلك طريقه.

ثم قدم زوجها أبو معبد يسوق أعنزاً عجافاً، فلما رأى اللبن عجب، وقال: من أين، ولا حلوب في البيت؟! قالت: مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا، قال: صف لي هذا الرجل الذي مر، فوصفت النبي ﷺ أوصافاً ستأتينا في باب بعد قليل فيه ذكر أوصاف النبي ﷺ من خلال حديث أم معبد لما وصفت النبي ﷺ لزوجها، فذكرت صفات النبي ﷺ.

فلما وصفته قال أبو معبد: هو والله صاحب قريش الذي يبحثون عنه، وقد عزمت على صُحبته إن وجدت إلى ذلك سبيلاً، ثم واصل النبي ﷺ طريق الهجرة.

وورد عن أسماء ﷺ أنها قالت: فَمَكَّنَا ثَلَاثَ لَيَالٍ مَا نَدْرِي أَيْنَ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،

حَتَّى أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنَ الْجَنِّ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ يَتَغَنَّى بِأَبْيَاتٍ مِنْ شِعْرِ غِنَاءِ الْعَرَبِ، وَإِنَّ النَّاسَ لِيَتَّبِعُونَهُ يَسْمَعُونَ صَوْتَهُ وَمَا يَرَوْنَهُ، حَتَّى خَرَجَ مِنْ أَعْلَى مَكَّةَ وَهُوَ يَقُولُ:

جَزَى اللَّهُ رَبُّ النَّاسِ خَيْرَ جَزَائِهِ	رَفِيقَيْنِ حَلًّا خِيَمَتِي أُمَّ مَعْبِدِ
هُمَا نَزَلَا بِالْبِرِّ ثُمَّ تَرَوَّحَا	فَأَفْلَحَ مَنْ أَمْسَى رَفِيقَ مُحَمَّدٍ
لِيَهْنِ بَنِي كَعْبٍ مَكَانُ فَتَاتِهِمْ	وَمَقْعُدُهَا لِلْمُؤْمِنِينَ بِمَرْصَدِ
فِيَا لِقَصِيٍّ مَا زَوَى اللَّهُ عَنْكُمْ	بِهِ مِنْ فِعَالٍ لَا تَجَازِي وَسُودِدِ
سَلُّوا أُخْتُكُمْ عَنْ شَاتِهَا وَإِنَائِهَا	فَإِنَّكُمْ إِنْ تَسَالُوا الشَّاةَ تَشْهَدِ
دَعَاهَا بِشَاةٍ حَائِلٍ فَتَحَلَّبَتْ	لَهُ بِصَرِيحٍ، ضَرَّةُ الشَّاةِ مُزْبِدِ
فَعَادَرَهُ رَهْنًا لَدَيْهَا لِحَالِبِ	يَدُرُّ لَهَا فِي مَصْدَرٍ ثُمَّ مَوْرِدِ
قَالَتْ أَسْمَاءُ: فَلَمَّا سَمِعْنَا قَوْلَهُ عَرَفْنَا حَيْثُ وَجَّهَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَنَّ وَجْهَهُ إِلَى	

الْمَدِينَةِ.

باب ذِكْرِ وَصُولِهِ ﷺ إِلَى قَبَاءَ

قَبَاءَ: قرية صغيرة في ذلك الوقت، وهي الآن تُعْتَبَرُ حَيًّا من أحياء المدينة، لكن في ذلك الوقت كانت قرية صغيرة تبعد ثلاثة أميال عن المدينة، الآن مع توسع المدينة صارت حَيًّا أو ضاحيةً من ضواحي المدينة النبوية.

قال رحمه الله:

- ١- حَتَّى إِذَا أَتَى إِلَى قَبَاءَ
- ٢- فِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ لِثِنْتِي عَشْرَةَ
- ٣- أَقَامَ أَرْبَعًا لَدَيْهِمْ، وَطَلَعَ
- ٤- فِي مَسْجِدِ الْجُمُعَةِ، وَهِيَ أَوَّلُ
- ٥- وَقِيلَ: «بَلْ أَقَامَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ
- ٦- وَهُوَ الَّذِي أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ
- ٧- لِمَسْجِدِ الْجُمُعَةِ يَوْمَ جُمُعَةٍ:
- ٨- إِلَّا عَلَى الْقَوْلِ: «بِكَوْنِ الْقُدَمَةِ
- نَزَلَهَا بِالسَّعْدِ وَالْهَنَاءِ
- مِنْ شَهْرِ مَوْلِدِ، فَنِعْمَ الْهَجْرَةُ
- فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ، فَصَلَّى وَجَمَعَ:
- مَا جَمَعَ النَّبِيُّ فِيمَا نَقَلُوا
- فِيهِمْ»، وَهُمْ يَنْتَحِلُونَ ذِكْرَهُ
- لَكِنَّ مَا مَرَّ مِنَ الْإِثْيَانِ
- لَا يَسْتَقِيمُ مَعَ هَذِهِ الْمُدَّةِ
- إِلَى قَبَاءَ كَانَتْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ»

هنا يقول: إن النبي ﷺ وصل إلى قَبَاءَ ونزلها ﷺ بالسعد والهناء وسط ترحيب عظيم من الأنصار ﷺ، وكانوا يترقبون قدوم رسول الله ﷺ، ويخرجون على مشارف المدينة ينتظرون مجيء النبي ﷺ.

و كان المهاجرون والأنصار، يخرجون ينتظرون قدوم النبي ﷺ كل يوم من أول النهار إلى أن يشتد الحر وقت الظهيرة، فيرجعون ويخرجون في اليوم التالي ينتظرون النبي ﷺ على مشارف المدينة.

فَانْقَلَبُوا يَوْمًا بَعْدَ مَا أَطَالُوا انْتِظَارَهُمْ، فَلَمَّا أَوْوَا إِلَى بُيُوتِهِمْ أَوْفَى رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ إِلَى أَطْمٍ مِنْ أَطَامِهِمْ (حصن من حصونهم) لِأَمْرِ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَبَصُرَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ مُبَيِّضِينَ (عليهم الثياب البيض) يَزُولُ بِهِمُ السَّرَابُ، فَلَمْ يَمْلِكِ الْيَهُودِيُّ أَنْ قَالَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ هَذَا جَدُّكُمْ الَّذِي تَنْتَظِرُونَ. فلبسوا السلاح وخرجوا فتلقوا النبي ﷺ مرحبين به ﷺ وقدموا به حتى وصل إلى قباء ﷺ.

وجاء المسلمون يسلمون على النبي ﷺ وصاحبه أبي بكر وعامر بن فهيرة، فكان الأنصار الذين أسلموا ممن لم ير النبي ﷺ قبل ذلك كانوا ربما سلموا على أبي بكر بالنبوة، يقولون: السلام عليك يا رسول الله، يحسبونه النبي ﷺ فيشير إلى النبي ﷺ، وهذا من تواضعه ﷺ وأنه ما كان عليه ثوب يُمَيِّزُهُ وَلَا جِلْسَ مَجْلِسًا يَتَرَفَعُ فِيهِ عَنْ مَجْلِسِ صَاحِبِهِ ﷺ، فكان بعضهم ربما خلط بينه وبين الصديق ﷺ.

فهنا الناظم رحمه الله يناقش تاريخ وصول النبي ﷺ إلى قباء، فيقول: أهل السير يعني علماء السيرة يروون في كتب السير أن النبي ﷺ وصل إلى قباء يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول، وأنه أقام أربعة أيام، في قباء وصلى الجمعة في قباء ﷺ ثم خرج من قباء يوم الجمعة متوجهًا إلى المدينة على بُعد ثلاثة أميال فالأيام التي قضاها في قباء هي: الاثنين، والثلاثاء، والأربعاء، والخميس، وانصرف ظهر الجمعة.

فهذا الذي يرويه أهل السير، يقول: لكن الرواية الأخرى التي رواها البخاري ومسلم في الصحيحين فيها: أن النبي ﷺ أقام أربع عشرة ليلة في قباء، وليس فقط أربعة أيام.

قال: (وَهُمْ يَنْتَحِلُونَ ذِكْرَهُ) يعني: يميلون إلى هذا القول.

يقول: لكن الرواية التي فيها أنه أقام أربعة عشرة يوماً هذه لا تستقيم إلا على القول بأن قدوم النبي ﷺ إلى قباء كان يوم الجمعة.

فالأمر في ذلك يسير، وكما مرّ بنا فإن بعض التفاصيل في أحداث السيرة قد تختلف فيها الروايات لكن هذا لا يقدح في أصل الحادثة، هناك قدر مشترك بين الروايات وإن كان بعض الروايات مثلاً قد تكون مراسيل أو منقطعات، لكن تشترك في رواية أصل القصة وأصل الحادثة، وربما وقع اختلاف في بعض التفاصيل مثل يوم الدخول وعدد الأيام التي مكثها، لكن الروايات كلها تتفق على أن النبي ﷺ أول ما دخل المدينة دخل إلى قباء، وأنه أقام في قباء وأنه صلى فيها الجمعة على الأقل أو أكثر من الجمعة ﷺ لكن هنا الخلاف: هل يوم الدخول كان يوم الاثنين، أو أن يوم الدخول كان يوم الجمعة، ومدة الإقامة هل هي أربعة أيام أو أربعة عشر يوماً؟

لكن طبعاً هنا في الموضوع الذي معنا إحدى الروايتين في الصحيحين، ولا شك أن ما كان في الصحيحين أرجح مما ليس في الصحيحين.

على كل حال؛ يذكر هنا بعد ذلك أن النبي ﷺ صلى الجمعة بقباء، وهو المسجد الذي أسسه النبي ﷺ في قباء، وهو المسجد المعروف إلى اليوم، وهو المسجد الذي قال الله ﷻ فيه: ﴿الْمَسْجِدُ أَسَسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨].

وقد ذكرنا أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يصلون الجمعة قبل هجرة النبي ﷺ، كانوا يصلون الجمعة في دار أسعد بن زرارة رضي الله عنه، فلما قدم النبي ﷺ بنى مسجد قباء ثم توجه إلى المدينة وبنى مسجده، أي النبي ﷺ لما وصل إلى قباء وضع أسس هذا المسجد الذي

أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ.

طبعًا بالنسبة للآية الكريمة ورد حديث في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال عن مسجده الشريف، المسجد النبوي: «هذا الذي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ».

وقالوا: هنا لا تعارض؛ فمسجد النبي ﷺ هو مسجد أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ، وهذا لا يعارض كون الآيات الكريمة نزلت بشأن مسجد قباء إلا أن لفظها يشمل أيضًا مسجد رسول الله ﷺ، فهو أيضًا مسجد آخر أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ.

النبي ﷺ في المدة التي قضاها ﷺ في قباء، نزل على كلثوم بن الهدم وقيل: على سعد بن خيثمة ﷺ وجمعوا بينهما بأنه ﷺ نزل في البيتين، يعني أنه نزل على كلثوم بن الهدم ﷺ، وأنه كان يقضي بعض الوقت، ويستقبل الناس في بيت سعد بن خيثمة ﷺ.

ونزل أبو بكر الصديق ﷺ على خبيب بن إساف، وقيل: على خارجة بن زيد ﷺ.

فأسس النبي ﷺ مسجد قباء وهو المسجد الذي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ، ثم طلع من بين أظهرهم يوم الجمعة.

القصد: أن النبي ﷺ خطب في هذا المسجد، عند بني عمرو بن عوف ﷺ، الذين كانوا يسكنون في منطقة قباء وأقام عندهم النبي ﷺ.

قال:

٩- بَنَى بِهَا (مَسْجِدَهُ) وَارْتَحَلَ

١٠- فَبَرَكَتْ نَاقَتُهُ الْمَأْمُورَةُ بِمَوْضِعِ الْمَسْجِدِ فِي الظَّهْرِ

يقول: ارتحل النبي ﷺ بعد أن بعدما بنى النبي ﷺ مسجد قباء، و بناء المسجد في ذلك الوقت هو التأسيس اليسير، وإحاطة المكان بأسوار، وأعمدة خشب، والسقف

من سعف النخيل، وأشياء نحو هذا، فما كان البناء الذي يستغرق وقتاً طويلاً.
وارتحل النبي ﷺ بعد صلاة الجمعة (لَطِيئَةُ الْفَيْحَاءِ) طيبة من أسماء المدينة النبوية المشرفة.

(فَبَرَكَتْ نَاقَتُهُ الْمَأْمُورَةُ) ناقة النبي ﷺ بركت في موضع معين؛ لأن النبي ﷺ لما دخل المدينة جعلوا يتنافسون على الأخذ بزمام ناقة النبي ﷺ، كل منهم يريد استضافة النبي ﷺ في بيته، فجعلوا يتسابقون ﷺ لاستضافة النبي ﷺ فكان يقول لهم: دعوها فإنها مأمورة، يعني: الله ﷻ أمرها بالتوجه إلى مكان معين، وهو مكان المسجد النبوي. مر النبي ﷺ أول شيء على بني سالم، فأخذوا بزمام الناقة، وأرادوا أن يستضيفوه عندهم، فقال: «دعوها فإنها مأمورة».

فمر بعد ذلك على بني ساعدة، فاعترضه سعد بن عباد في رجال معه يريدون استضافة النبي ﷺ فقال: «دعوها فإنها مأمورة».

وتجاوزهم إلى دار بني الحارث بن الخزرج فاعترضه سعد بن الربيع وعبد الله بن رواحة في رجال معهم، وطلبوا استضافة النبي ﷺ وأرادوا أن يأخذوا بناقته فقال: «دعوها فإنها مأمورة».

ثم مر بدار عدي بن النجار من بني النجار -وهم أخوال النبي ﷺ- فقال: «دعوها فإنها مأمورة» حتى وصلت إلى دار بني مالك بن النجار، فلما وصلوا إلى دار بني مالك بن النجار بركت ناقة النبي ﷺ في موضع المسجد.

وكان ذلك الموضع في ذلك الوقت مملوكاً لغلामين يتيمن من بني النجار.

فلما بركت ناقة النبي ﷺ وهو عليها لم ينزل، وثبتت الناقة فسارت غير بعيد ثم

التفتت خلفها فرجعت إلى مبركها الأول، يعني بركت الناقة والنبي ﷺ عليها، وقد أرخى لها زمامها وتركها تسير حيث وجهها الله ﷻ فالناقة بركت قليلاً ثم وثبت سارت قليلاً، ثم التفتت ورجعت إلى نفس المكان الأول وبركت فيه مرة أخرى.

ثم تحلحلت ووضعت جرائنها، فاستقرت، فنزل عنها النبي ﷺ وذلك في وقت الظهيرة، فكان أقرب بيت من هذه الأرض التي بركت فيها الناقة هو بيت أبي أيوب الأنصاري ﷺ، فأخذ أبو أيوب رُحْل النبي ﷺ وأدخل ناقته داره؛ ونزل رسول الله ﷺ ضيفاً على أبي أيوب الأنصاري ﷺ.

وقال النبي ﷺ: «المرء مع رحله» يعني: أول شيء فعله أبو أيوب أنه أخذ رُحْل النبي ﷺ فوضعه في داره، فلما جاء ناس يطلبون استضافة النبي ﷺ قال: «المرء مع رحله».

مكث النبي ﷺ في دار أبي أيوب الأنصاري ﷺ نحو ستة أشهر، تشرف فيها أبو أيوب بصحبة رسول الله ﷺ، وضيافة النبي ﷺ وخلال هذه الفترة كان النبي ﷺ يبنى مسجده، والحجرات -بيوت أزواج النبي ﷺ التي بناها ﷺ- خلال هذه الأشهر الستة.

وكانت دار أبي أيوب ﷺ من طابقين، ويفصل بينهما سقف من الخشب، هو أرض الطابق العلوي وسقف الطابق السفلي، فأراد أبو أيوب أن يكون النبي ﷺ في الطابق الأعلى؛ حتى لا يعلو أبو أيوب سقفاً تحته رسول الله ﷺ.

فقال النبي ﷺ: «السفل أرفق بنا»؛ لأنه يأتيه الضيوف، ويدخلون ويخرجون. فوافق أبو أيوب على مضض أن يصعد إلى الطابق الأعلى، وكان متأدياً من هذا، ويخشى أن يطاء على السقف بقوة فيزعج النبي ﷺ.

قال أبو أيوب: فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي سُفْلِهِ وَكُنَّا فَوْقَهُ فِي الْمَسْكَنِ.
فَلَقَدْ انْكَسَرَ حُبٌّ (إِنَاء) لَنَا فِيهِ مَاءٌ، فَقُمْتُ أَنَا وَأُمُّ أَيُّوبَ بِقَطِيفَةٍ لَنَا مَا لَنَا لِحَافٍ غَيْرَهَا،
نَنْشُفُ بِهَا الْمَاءَ تَخَوُّفًا أَنْ يَقْطُرَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْهُ شَيْءٌ فَيُؤْذِيهِ.
فصعد النبي ﷺ بعد ذلك إلى الطابق الأعلى، ونزل أبو أيوب ﷺ إلى الطابق
الأسفل ﷺ.

وكان أصحاب النبي ﷺ يأتونه ويزورونه في هذا البيت ويجلسون معه ﷺ فيعلمهم
مما علمه الله ﷺ.

وكان الأنصار ﷺ من جيران رسول الله ﷺ وغيرهم يرسلون الطعام إلى النبي ﷺ،
ويتعاهدون هذه الدار بإرسال الطعام إليها لإكرام النبي ﷺ وإكرام ضيوفه ﷺ.

والأرض التي بركت فيها الناقة - كما ذكرنا - كانت مملوكة لغلامين يتيمين من
بني مالك بن النجار فساومهما النبي ﷺ على هذه الأرض، والغلامان هما: سهل بن
عمرو، وسهيل بن عمرو من بني مالك بن النجار، وكانا غلامين يتيمين في حجر معاذ
بن عفراء، يعني يربيهما ويكفلهما معاذ بن عفراء ﷺ.

فالنبي ﷺ ساومهما في شراء هذه الأرض؛ ليتخذها مسجداً ﷺ فقالا: هبة لك يا
رسول الله ﷺ، فأبى النبي ﷺ وابتاعها بعشرة دنانير، وأمر أبا بكر ﷺ أن يعطيها إياها.
و كانت مساحة الأرض مائة ذراع في مائة ذراع، فهذه مساحة المسجد الذي بناه
النبي ﷺ، مائة ذراع في مائة ذراع.

وكانت هذه الأرض تشتمل على قبور من قبور أهل الجاهلية وفيها بعض النخيل -
فأمر النبي ﷺ بالنخيل الذي فيها ففُطِعَ، وكان فيها أشجار غرقد، فأمر بالنخل وأشجار

الغرقد التي فيها فُقطعت، وأمر بقبور المشركين فُنُبِشت، وأُخرج ما فيها من العظام ودُفِنَت في مكان آخر، وكانت الأرض غير مستوية، وغير مهيأة فسُوِّيت الأرض، ثم شرع النبي ﷺ يبني المسجد ومعه أصحابه ﷺ.

مساحة المسجد مائة ذراع في مائة ذراع، وبقيّة الأرض حول المسجد بُنيت فيها بيوت رسول الله ﷺ.

فجعل النبي ﷺ أساس البناء ثلاثة أذرع على الأرض بالحجارة، ثم رفع البناء باللبن، اللبن: هو الطوب الذي يُعَجَن من الطين ويُوضَع في الشمس حتى يجف.

والنخيل الذي قُطِع استُعْمِلَ أعمدة للمسجد، الأعمدة من النخيل، والسقف من سعف النخيل، يعني سُقِف المسجد بسعف النخيل.

وكان النبي ﷺ يحمل الحجارة مع أصحابه ﷺ وهم يحملون الحجارة لبناء المسجد، ويقول ﷺ: «اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة»، وكانوا يُنشدون وهم يبنون المسجد، يقولون:

لئن قعدنا والنبي يعمل لذاك منّا العمل المُضِلَّل

فلما وجدوا النبي ﷺ يعمل بيده الشريفة ﷺ تشجعوا للمشاركة في بناء المسجد ونقل الأحجار.

ثم إنه ﷺ بعد بناء المسجد بدأ يبني بيوتاً حوله لنسائه ومواليه ﷺ، فبنى الحجرات حول المسجد.

والحجرة في لغة العرب عكس ما هو متعارف عليه اليوم، اليوم يستعملون البيت وداخله حجرات، لكن الاستعمال العربي الصحيح أن الحجرة تشتمل على بيوت،

يعني كل غرفة يقال لها بيت، فإذا قيل مثلاً: حجرة عائشة عليها السلام، فكأنها (شقة) ذات غرف يعني، كل غرفة يقال لها بيت، فالحجرة أكبر من البيوت، ومنه الحديث: «صلاة المرأة في بيتها خير من صلاتها في حجرتها، وصلاتها في حجرتها خير من صلاتها في مسجد قومها، وصلاتها في مسجد قومها خير من صلاتها في مسجدي هذا» فالبيت هو داخل الحجرة.

فُتِنَتِ الْحَجَرَاتُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَآلِ بَيْتِهِ حَوْلَ الْمَسْجِدِ.

هنا يقول الناظم رحمه الله:

١١- فَحَلَّ فِي دَارِ أَبِي أَيُّوبَ حَتَّى ابْتَنَى مَسْجِدَهُ الرَّحْبِيَّ

(الرَّحْبِيَّ): يعني الواسع

١٢- وَحَوْلَهُ مَنَازِلًا لِأَهْلِهِ وَحَوْلَهُ أَصْحَابُهُ فِي ظِلِّهِ

(وَحَوْلَهُ أَصْحَابُهُ فِي ظِلِّهِ) ﷺ، يعني: حول بيوت النبي ﷺ بدأ بعض أصحاب

النبي ﷺ من المهاجرين يبتنون بيوتاً بالقرب من مكان رسول الله ﷺ.

بعث النبي ﷺ زيد بن حارثة وأبا رافع إلى مكة، فقدمَا عليه بفاطمة وأم كلثوم ابنتيه، وسودة بنت زمعة زوجة النبي ﷺ التي تزوجها بعد وفاة أم المؤمنين خديجة عليها السلام، وأمرهما أيضاً بإحضار أسامة بن زيد، وإحضار أمه، وهي أم أيمن (بركة الحبشية) عليها السلام وهي زوجة زيد بن حارثة، ووالدة أسامة بن زيد، وهي حاضنة رسول الله ﷺ.

وبقيت زينب بنت النبي ﷺ مع زوجها أبي العاص بن الربيع وفي هذا الوقت لم يكن تحريم زواج المشركين بالمسلمات قد نزل، وكانت زينب بنت النبي ﷺ مسلمة وزوجها كان مشركاً، وفيما بعد سيأتينا أن زينب قدمت مهاجرة إلى النبي ﷺ وزوجها

كان مشرّكاً، ثم إن النبي ﷺ رَدَّها إلى زوجها بالنكاح الأول لما أسلم زوجها بعد ذلك فردّها النبي ﷺ إليه بالنكاح الأول، يعني لم يجدد عقد النكاح؛ لأنها لم تتزوج بعده. وقدم عبد الله بن أبي بكر ﷺ أيضاً مهاجراً ومعه عيال أبي بكر، وفيهم عائشة أم المؤمنين ﷺ وأرضاهما، فقدموا المدينة.

وأخذ الصحابة ﷺ يبنون مساكنهم حول بيت رسول الله ﷺ سواء كانوا من المهاجرين الذين هاجروا إلى المدينة ولم يكن لهم بيوت، أم من الأنصار ﷺ، فالأنصار كانوا يتقاسمون المدينة حسب القبائل والأُسُر، يعني: هذه مساكن بني فلان، وهذه مساكن بني فلان، كل حي فيه قبيلة من قبائل الأنصار، فكثير من الأنصار بدؤوا يتركون مساكنهم، ويبنّون مساكن بالقرب من بيت رسول الله ﷺ في منطقة بني مالك بن النجار التي نزل فيها النبي ﷺ، وجعلوا يرحلون، يعني الأنصار يتركون مساكنهم ويبنّون بجوار رسول الله ﷺ.

قال:

- ١٣- طَابَتْ بِهِ طَيْبَةٌ مِنْ بَعْدِ الرَّدَى أَشْرَقَ مَا قَدْ كَانَ مِنْهَا أَسْوَدَا
١٤- كَانَتْ لِمَنْ أَوْبَا أَرْضَ اللَّهِ فَزَالَ دَاوُهَا بِهِذَا الْجَاهِ
١٥- وَنَقَلَ اللَّهُ بِفَضْلِ رَحْمَةٍ: مَا كَانَ مِنْ حُمَّى بِهَا لِلْجُحْفَةِ
١٦- وَلَيْسَ دَجَّالٌ وَلَا طَاعُونٌ يَدْخُلُهَا، فَحِرْزُهَا حَصِينٌ

يقول: لما هاجر النبي ﷺ إلى طيبة - وهي المدينة النبوية - (طَابَتْ بِهِ) ﷺ و(أَشْرَقَ مَا قَدْ كَانَ مِنْهَا أَسْوَدَا) يعني ذهب عنها (الرَدَى) الردى: هو الهلاك، ويأتي بمعنى: الكفر، يعني وما كان فيها من كفر وضلال قبل مجيء الرسول ﷺ، فذهب الردى،

وذهب ما كان سيئاً فيها، وحلَّ فيها الخير وحلَّت فيها البركة.

(كَانَتْ لِمَنْ أَوْبَأَ أَرْضِ اللَّهِ) يعني كانت المدينة بها وباء ومرض، فكان بها الحمى، والمهاجرون ﷺ لما قدموا إلى المدينة كثير منهم أصابتهم الحمى، وصعب عليهم طقس المدينة وطبيعتها.

(فَزَالَ دَاوُهَا) يعني بفضل الله ﷻ والله ﷻ جعل النبي ﷺ مباركاً وتحصل البركة فيما مسّه النبي ﷺ، وفي آثاره ﷺ البركة يعني الشرعية في آثار المصطفى ﷺ فهنا بركة دعاء النبي ﷺ أنه دعا ﷺ بأن يزول الوباء عن المدينة، واستجاب الله ﷻ دعاءه، وذهب عنها الوباء وانتقل بفضل الله ﷻ (مَا كَانَ مِنْ حُمَى) في المدينة انتقل إلى (لِلْجُحْفَةِ) وهي قرية بين المدينة ومكة، وهذه القرية سُميت بذلك؛ لأن السيل أجحفها، كان نزل فيها سيل فجرف القرية ودمرها، فدعا النبي ﷺ أن ينقل الله حمى المدينة إلى الجحفة، قال النبي ﷺ: «اللهم انقل حمّاها إلى الجحفة»؛ فانتقلت الحمى إلى الجحفة وسلمت المدينة من هذا الوباء.

ثم ذكر أن المدينة لا يدخلها الدجال ولا يدخلها الطاعون ففيها حُرُز حصين من الدجال؛ الدجال لا يستطيع دخول مكة ولا المدينة في آخر الزمان، وتقف الملائكة حرساً على أنقاب مكة والمدينة يمنعون الدجال من دخولهما، وكذلك المدينة لا يدخلها الطاعون كما ذكر المؤلف، وورد هذا في بعض الأحاديث.

قال:

١٧- أَقَامَ شَهْرًا، ثُمَّ بَعْدُ نَزَلَتْ عَلَيْهِ إِتْمَامُ الصَّلَاةِ أَكْمَلَتْ

يقول: إن النبي ﷺ بعد أن أقام شهراً في دار أبي أيوب الأنصاري ﷺ نزل عليه إتمام

الصلاة وإكمال الصلاة؛ وذلك أن الصلاة أول ما فُرِضَتْ فُرِضَتْ ركعتين ركعتين.

كما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «فُرِضَتِ الصَّلَاةُ رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ فِي الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ، فَأُقِرَّتْ صَلَاةُ السَّفَرِ، وَزِيدَ فِي صَلَاةِ الْحَضَرِ»^[١]

فورد في بعض الروايات أن زيادة الصلاة كانت بعد شهر من هجرة النبي ﷺ إلى المدينة، فكان يصلي كل صلاة من الصلوات الخمس ركعتين ركعتين، ثم زيدت الصلاة فجُعِلَتِ الظهر أربعاً، والعصر أربعاً، والعشاء أربعاً، وجُعِلَتِ المغرب ثلاثاً، وبقي الفجر ركعتين.

والرواية الثانية: أن الصلوات أول ما فُرِضَتْ فُرِضَتْ ركعتين فقالوا: إن الصلاة لما فرضها الله خمسين صلاة في اليوم واللييلة، ثم خففها إلى خمس، فلما كانت خمسين كانت كل صلاة ركعتين.

ثم لما خُفِّفَتْ إلى خمس، خُفِّفَتْ إلى خمس منها صلوات رباعية وصلوات ثلاثية، فبعض العلماء يرى أن الصلاة من أول يوم صلاها فيها النبي ﷺ بعد المعراج كانت على هذا العدد من الركعات، ثم الظهر أربعاً والعصر أربعاً والمغرب ثلاثاً والعشاء أربعاً، ويكون تفسير: (وزيدت في الحضر) أنها فُرِضَتْ ركعتين يعني في السماء، وزيدت بعد ذلك، وأُفِرَّتِ الصلاة ركعتين في السفر.

لكن الذي أخذ به المؤلف هنا: أن الصلاة زيدت بعد شهر من هجرة النبي ﷺ، وأنه خلال الفترة التي قبل ذلك من فرضها يوم الإسراء إلى ذلك الوقت كان يصلي كل صلاة من الخمس ركعتين.

١٨- أَقَامَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ لِصَفَرٍ يُبْنَى لَهُ مَسْجِدُهُ وَالْمُسْتَقَرُّ

يقول: بقي من شهر ربيع لشهر صفر في ذلك الوقت، كان يُبْنَى مسجد النبي ﷺ، (وَالْمُسْتَقَرُّ) يعني وحجرات النبي ﷺ وأزواجه خلال هذه المدة.

من شهر ربيع الأول إلى شهر صفر: يعني تقريباً أحد عشر شهراً، كانت تُبْنَى حجرات أزواج النبي ﷺ خلال هذه الفترة يعني شيئاً فشيئاً، لكن كما ذكرنا خلال ستة أشهر كان النبي ﷺ في بيت أبي أيوب، وبدأ أولاً ببناء المسجد وبدأ الصلاة في المسجد، ثم بدأت بيوت النبي ﷺ تُبْنَى. ومدة بناء المسجد مع البيوت التي حوله استغرقت نحو سنة أو أحد عشر شهراً.

قال:

١٩- وَوَادَعَ الْيَهُودَ فِي كِتَابِهِ مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا أَصْحَابِهِ

الآن يبدأ بالكلام عن أحداث السنوات الهجرية، فالسنة الأولى من الهجرة: كان أبرز أحداثها بناء المسجد النبوي الشريف.

ثم ذكر من أحداث هذه السنة: أن النبي ﷺ (وَادَعَ الْيَهُودَ) يعني صالحهم النبي ﷺ وجعل بينه وبينهم عهداً، بين اليهود (وَبَيْنَ مَا أَصْحَابِهِ) يعني: وبين أصحابه، يعني (ما) هنا زائدة للتوكيد.

والكتاب الذي كتبه النبي ﷺ فيه معاهدة بينه ﷺ وبين اليهود، يعني نصّ الكتاب قال: « هذا كتاب من محمد رسول الله بين المؤمنين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم أنهم أمة واحدة من دون الناس »

المؤمنون من قريش: هم المهاجرون، والمؤمنون من يثرب: هم أهل المدينة

الأنصار، وَمَنْ تبعهم فالحق بهم وجاهد معهم: من أي قبيلة كانوا، من أي بلد كان، أنهم أمة واحدة من دون الناس - هؤلاء أمة واحدة من دون الناس وهي أمة الإسلام، إنما المؤمنون إخوة.

قال: «وَأَنْ مَنْ تبعنا من اليهود كان له النصره والأسوة غير مظلومين» كان له النصره والأسوة: يعني والمواساة، الأسوة هنا بمعنى المواساة، له النصره: يعني مَنْ تبعنا من اليهود نصره ونواسيه، غير مظلومين: نصرهم على مَنْ ظلمهم، فلو اعتدى أحد على اليهود الذين في رعاية الدولة الإسلامية فإننا نصرهم على عدوهم وندفع عنهم الظلم. «وأنه لا يحل لمؤمن أقرّ بما في هذه الصحيفة أن ينصر مُحدثًا ولا يؤويه» المُحدث هنا بمعنى: الظالم، مَنْ أحدث حدثًا بمعنى: ظلم، فلا يحل لمؤمن أن ينصر مُحدثًا ولا أن يؤويه: يعني أن ينصر ظالمًا أو يؤوي ظالمًا، بل على المؤمنين أن يخلوا بين الظالم وبين الاقتصاص منه وأخذ الحق منه وردّه إلى أصحابه.

«وأنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مردّه إلى الله ورسوله» ﷺ.

فكانت هذه صيغة المعاهدة التي كتبها النبي ﷺ بينه وبين اليهود.

قال:

٢٠- وَكَانَ بَدْءُ الْأَمْرِ بِالْإِذَانِ رُؤْيَا ابْنِ زَيْدٍ، أَوْلِعَامٍ ثَانٍ

من أحداث السنة الأولى أيضًا: المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، آخى النبي ﷺ بينهم وقالوا: هذه كانت مؤاخاة أولى، ثم آخى بينهم ثانية بعد غزوة بدر، فكانت هناك مؤاخاة في العام الأول، ثم مؤاخاة أخرى ستأتي بعد غزوة بدر إن شاء الله.

ومن أحداث السنة الأولى أيضًا: بدء الأذان، قال: (وَكَانَ بَدْءُ الْأَمْرِ بِالْإِذَانِ).

(رُؤْيَا ابْنِ زَيْدٍ، أَوْ لِعَامٍ ثَانٍ) وقيل: إن الأذان فُرِضَ في العام الثاني، يعني قيل: إن الأذان في العام الأول - وهو الأشهر -، وروى أن الأذان فُرِضَ في العام الثاني.

وبداية تشريع الأذان كانت برؤيا لعبد الله بن زيد رضي الله عنه؛ وذلك أنهم كانوا يصلون، قبل أن يُشْرَعَ الأذان، فكان الناس يجتمعون في مواقيت الصلاة بغير دعوة، يعني يراقبون مواقيت الصلاة.

مواقيت الصلاة علّمها جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم في أول يوم فُرِضت فيه الصلوات الخمس، يوم المعراج، فأول صلاة من الصلوات الخمس صلاها النبي صلى الله عليه وسلم كانت صلاة الظهر لأنه عُرِجَ به وقت صلاة الفجر.

فأول صلاة حضر وقتها كانت صلاة الظهر بعد أن فُرِضت الصلوات الخمس.

فبعث الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام فصلى إمامًا بالرسول صلى الله عليه وسلم يومين متتاليين، خمس صلوات ثم خمس صلوات، صلى به خمس صلوات في اليوم الأول، جبريل يؤم النبي صلى الله عليه وسلم ليعلمه بأمر من الله صلى الله عليه وسلم مواقيت الصلاة، وليعلمه أيضًا صفة الصلاة وهيئات الصلاة، فجعل جبريل يصلي، والنبي صلى الله عليه وسلم يأتّم به.

فصلى بالنبي صلى الله عليه وسلم الصلوات في اليوم الأول في أول وقتها، كل صلاة في أول وقتها، يعني صلى به الظهر حين زالت الشمس، وصلى به العصر في اليوم الأول حين صار ظل كل شيء مثله، وصلى به المغرب حين غربت الشمس، والعشاء حين غاب الشفق، والفجر حين بزغ الفجر. هذا في اليوم الأول.

وفي اليوم الثاني: صلى به كل صلاة من هذه الصلوات الخمس في آخر وقتها، فصلى به الظهر حين صار ظل كل شيء مثله، وهو الوقت الذي صلى فيه العصر بالأمس، وصلى به العصر حين صار ظل كل شيء مثليه، وصلى به المغرب حين وجبت

الشمس وقتاً واحداً لم يحد عنه، وصلى به العشاء حين مضى ثلث الليل، وصلى به الفجر حين أسفر جداً أي: أضاء واقترب شروق الشمس.

ثم قال جبريل للنبي ﷺ: ما بين هذين الوقتين وقت، فعلمه مواقيت الصلاة.

نرجع إلى موضوع الأذان: فكان الناس يجتمعون لمواقيت الصلاة كما علمهم النبي ﷺ؛ إذا زالت الشمس أي: بعد ما تكون الشمس في منتصف السماء ثم تزول، يعني أول بداية تحرّك للشمس عن منتصف السماء فهذا وقت الظهر، فيجتمعون في هذا الوقت ويراقبون المواقيت، ويجتمعون.

ثم إنهم اهتموا لهذا الأمر، ووجدوا مشقة في الاجتماع لمواقيت الصلاة من غير علامة تُعلمهم بدخول وقتها، فأخذوا يشيرون على النبي ﷺ أن يتخذ ناقوساً كناقوس النصارى، أو يتخذ بوقاً كبوق اليهود يُعلمهم بوقت الصلاة، فلم يعجبه ﷺ ذلك، وكان النبي ﷺ لا يريد أن يكون شعار المسلمين كشعار اليهود والنصارى في مواقيت الصلاة.

ففي تلك الليلة رأى عبد الله بن زيد ﷺ أنه مرّ به رجل في المنام، عليه ثوبان أخضران يحمل ناقوساً، فقال له عبد الله: أتبيع هذا الناقوس؟ قال: وما تصنع به؟ قال: ندعو به للصلاة، قال: أفلا أدلك على خير منه؟ قال: وما هو؟ قال: تقول: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر إلى آخر ألفاظ الأذان.

ثم استأخر غير بعيد ثم قال: تقول إذا قمت إلى الصلاة: الله أكبر، الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله إلى آخر ألفاظ الإقامة.

فأخبر بها رسول الله ﷺ فقال ﷺ: «إنها رؤيا حق إن شاء الله، قم مع بلال فألقها عليه؛ فإنه أندى منك صوتاً» يعني صوته أعلى وأحسن منك، نداوة الصوت: ارتفاعه مع حسنه، فقال: «قم فألقها على بلال» يعني قم علماً بلالاً هذا الذي رأيته في الرؤيا

«فإنه أندى منك صوتًا، ففعل».

«فلما سمعها عمر رضي الله عنه وهو في بيته»، فخرج عمر وهو يجر إزاره يقول: والذي بعثك بالحق، لقد رأيت مثل ما رأى، فقال النبي ﷺ: «الله الحمد».

وفي هذه السنة أيضًا كان إسلام عبد الله بن سلام رضي الله عنه الذي كان كبير أحناب اليهود، وكبير علمائهم رضي الله عنه، وقصة إسلامه معروفة: أنه جاء إلى النبي ﷺ، والنبي ﷺ في قباء، يعني قبل أن يدخل المدينة ﷺ.

وكان عبد الله بن سلام ينتظر مبعث النبي الخاتم، وكان كبير علماء اليهود وسيدهم، وهو من أسرة علم فيهم؛ فأبوه كان أيضًا حنّ اليهود، وكبير أحنابهم في المدينة، فكان ينتظر مبعث النبي ﷺ فلما سمع بقدوم النبي ﷺ إلى قباء ذهب إليه ليقاه ويتبين فيه العلامات الموجودة في كتبهم، فوجدها في رسول الله ﷺ فأمن بالنبي ﷺ واتبعه، وكان اسمه الحصين بن سلام النبي ﷺ سماه: عبد الله بن سلام.

فالقصد: أن عبد الله بن سلام لما أسلم ﷺ قال للنبي ﷺ: إن اليهود قوم بُهت؛ يعني أهل بهتان، البهت: هو الافتراء، يعني يفترون الفرية التي تبهت المفترى عليه يعني تُدهشه من فظاعتها وعدم توقعه إياها، قال: إن اليهود قوم بُهت فإن علموا بإسلامي بهتوني بما ليس فيّ، فأشار عبد الله بن سلام على النبي ﷺ أن يُحضر اليهود، ويسألهم عنه قبل أن يُخبرهم أنه أسلم، فحضر اليهود عند النبي ﷺ، فسألهم: «كيف عبد الله بن سلام فيكم؟» فقالوا: هو سيدنا وابن سيدنا، وحنّنا وابن حنّنا، وخيرنا وابن خيرنا، وأخذوا يشنون عليه ويمدحونه، فقال لهم النبي ﷺ - وكان عبد الله بن سلام في الدار مختبئًا عنهم -: «فما تصنعون إذا أسلم؟» فقالوا: أعاذة الله من ذلك. يعني لا يمكن أن يُسلم هذا عالمنا وسيدنا.

فخرج عبد الله بن سلام أمامهم وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، فقالوا: هو شرنا وابن شرنا، وأخذوا يسبونهُ، ويسبون أباه، ويذكرونهُ بكل سوء، وغيرُوا كلامهم لما أسلم ﷺ.

قال: (أَوْ لِعَامٍ ثَانٍ) يعني الأذان شرع في العام الأول، وقيل: في العام الثاني.
قال:

- ٢١- فَفِيهِ (فَرُضَ) الصَّوْمُ وَالزَّكَاةُ لِلْفِطْرِ، وَالْعِيدَيْنِ بِالصَّلَاةِ
٢٢- مُحْطَبَتَيْنِ بَعْدُ، وَالْأُضْحِيَّةُ كَذَا زَكَاةً مَالِهِمْ، وَالْقِبْلَةُ:
٢٣- لِلْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَالْبِنَاءُ بَعَائِشٍ، كَذَلِكَ الزَّهْرَاءُ

هنا يشير إلى أبرز أحداث السنة الثانية من الهجرة، ففي العام الثاني من الهجرة فُرض الصوم، وفُرضت زكاة الفطر، وشرعت صلاة العيدين، قال: (وَالزَّكَاةُ لِلْفِطْرِ، وَالْعِيدَيْنِ) يعني وفي هذا العام شرعت صلاة العيدين، وهنا عبر عن صلاة العيدين بقوله: (فُرض) فنقول: مذاهب الفقهاء فيها كالتالي: منهم مَنْ قال: صلاة العيدين فرض عين على كل مَنْ تجب عليه صلاة الجمعة، وهذا قول الإمام أبي حنيفة رحمه الله.

وقال الإمام أحمد: صلاة العيدين فرض كفاية، يعني كل بلد يجب أن تقام فيها صلاة العيد، لكن إذا شهدها بعض المسلمين سقط الإثم عن الباقين، لكن يأثم المسلمون جميعاً إذا لم تُقم صلاة العيد في مدينتهم أو بلدهم.

وعند الإمامين مالك والشافعي: صلاة العيدين سنة من السنن.

فالقصد: أنه كان تشريع صلاة العيد أو الأمر بصلاة العيدين (بِخُطْبَتَيْنِ بَعْدُ) أي:

والخطبتان بعد صلاة العيد، صلاة العيد تُصلى ركعتين ثم يخطب الإمام بعدها خطبتين كما يخطب للجمعة.

فهذا كان أيضًا في العام الثاني.

قال: (وَالْأُضْحِيَّةُ) يعني أيضًا أمر بالأضحية في هذا العام الثاني.

(كَذَا زَكَاةٍ مَالِهِمْ) كذلك زكاة المال فُرِضت في العام الثاني من الهجرة.

(وَالْقِبْلَةُ: لِلْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) يعني وتغيرت القبلة إلى المسجد الحرام بعد أن كانوا يستقبلون بيت المقدس منذ أن فُرِضت الصلاة يوم الإسراء والمعراج إلى ذلك الوقت، وحتى قبل أن تُفرض الصلاة كان النبي ﷺ، والمسلمون إلى بيت المقدس، وعلى رأس بضعة عشر شهرًا من هجرة الرسول ﷺ يعني في العام الثاني تحولت القبلة إلى الكعبة المشرفة.

وكما مر بنا كان النبي ﷺ وهو في مكة يستقبل بيت المقدس لكن يجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس، لكن لما انتقل النبي ﷺ إلى المدينة أصبح لا يستطيع أن يستقبل الكعبة وبيت المقدس في نفس الوقت؛ لأن مكة في اتجاه الجنوب، وبيت المقدس في اتجاه الشمال فجعل يُقَلِّب وجهه ﷺ يعني يتضرع إلى الله ﷻ في الدعاء، أن يُحوِّل الله ﷻ القبلة إلى الكعبة فأنزل الله ﷻ:

﴿ قَدْ زَرَى ثَقَلَبٌ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ [البقرة: ١٤٤] ..

قال: (وَالْبِنَاءُ بِعَائِشٍ، كَذَلِكَ الزَّهْرَاءُ) يعني كذلك في العام الثاني بنى النبي ﷺ بأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وكان النبي ﷺ قد عقد عليها وهي بنت ست سنين، وكان بناؤها بها ﷺ بعد أن بلغت تسع سنين، وصارت مهياة لدخول النبي ﷺ عليها، وكان هذا في

العام الثاني من هجرة النبي ﷺ .

وكذلك بناء علي ﷺ وبفاطمة ﷺ وأرضها، كان في العام الثاني من الهجرة، وهي أصغر بنات النبي ﷺ .

قال:

٢٤- وَبَدْرُ الْكُبْرَى. وَفِي (الثَّالِثَةِ) دُخُولُهُ بِحِفْصَةِ الْقَائِنَةِ

٢٥- وَالزَّيْنَبَيْنِ، وَبَنَى ابْنُ عَقَّانٍ بِأُمَّ كُثُومٍ، وَفِيهِ الْجُمُعَانُ:

٢٦- اتَّقِيََا بِأَحَدٍ
.....

ذكر هنا آخر أحداث السنة الثانية: غزوة بدر الكبرى.

فالمؤلف يسرد أبرز أحداث الأعوام الهجرية العشرة التي قضاها الرسول ﷺ في المدينة، النبي ﷺ مكث في المدينة عشر سنين فيذكر أبرز الأحداث التي حدثت خلال هذه الأعوام؛ لأن وفاة النبي ﷺ كانت في شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة لكن بعد ذلك -إن شاء الله- سيذكر باباً في غزوات رسول الله ﷺ، يذكر فيه بعضاً من تفاصيل أحداث كل غزوة من هذه الغزوات، لكن هنا فقط يذكر الغزوات الكبرى مؤرخاً لها وذاكراً السنة التي وقعت فيها.

فقال: السنة الثالثة من الهجرة أبرز أحداثها: دخول النبي ﷺ بحفصة بنت عمر (القائنة) يعني من القنوت: الذي هو العبادة وطول القيام لله ﷻ وذلك أنه لما حصل فيما بعد أن طلق النبي ﷺ حفصة فجاء جبريل ﷺ بوحي من الله ﷻ يقول: إن الله ﷻ يأمرك أن تراجع حفصة؛ فإنها صوامة قوامة، صوامة قوامة: كثيرة الصيام، كثيرة القيام لله ﷻ كانت عابدة ﷻ.

(وَالرَّزَيْنَيْنِ) يعني أيضًا في السنة الثالثة: كان دخول النبي ﷺ بزَيْنَب بنت خزيمة الحارثية ﷺ وأرضها أم المؤمنين، وزَيْنَب بنت جحش ﷺ وأرضها.

أما زَيْنَب بنت خزيمة الحارثية ﷺ فكانت تُكْنَى بأُمِّ الْمَسَاكِينِ؛ لكثرة صدقاتها ﷺ وإطعامها المساكين، وأما زَيْنَب بنت جحش ﷺ وأرضها، فهي التي جاء ذِكْرُهَا فِي الْقُرْآنِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي زَوْجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾ [الْأَحْزَاب: ٣٧]..

فكانت زَيْنَب بنت جحش ﷺ قبل أن يتزوجها النبي ﷺ زوجة لمولاه زيد بن حارثة، وكان النبي ﷺ كان قد تبنى زيد بن حارثة في الجاهلية قبل أن ينزل تحريم التبني، فلما نزل تحريم التبني، وقال تعالى: ﴿ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ﴾ [الْأَحْزَاب: ٥] أراد الله ﷻ أن يُبَيِّنَ عَادَاتِ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ فِي مَوْضُوعِ التَّبْنِي، كان مَنْ تبنى شخصًا صار كابنه، ولا يحل له في الجاهلية أن يتزوج بزوجة ابنه من التبني كما لا يحل أن يتزوج بزوجة ابنه من النسب، فأراد الله ﷻ أن يُبَيِّنَ هَذِهِ الْعَادَاتِ، وأمر نبيّه الكريم ﷺ بالزواج بزَيْنَب بنت جحش ﷺ.

من أحداث السنة الثالثة أيضًا أنه (بَنَى ابْنُ عَفَّانٍ بِأُمِّ كُلْثُومٍ) ﷺ، عثمان بن عفان تزوج أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ، وكان عثمان بن عفان كما مر بنا من قبل كان قد هاجر إلى الحبشة مع زوجته الأولى وهي رقية بنت محمد ﷺ وكان عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت رسول الله ﷺ من أوائل المهاجرين إلى الحبشة، ثم إن رقية ﷺ وأرضها توفيت، وكانت أم كلثوم قد حضرت من مكة فزوجه النبي ﷺ بابنته الثانية أم كلثوم بعد وفاة رقية ﷺ وأرضها.

قال: (وَفِيهِ الْجَمْعَانِ: التَّقْيَا بِأَحَدٍ) من أحداث السنة الثالثة: التقاء الجمعَيْنِ بأحد،

غزوة أحد وقعت في هذه السنة الثالثة.

فهذه أبرز أحداث السنة الثالثة.

نأتي إلى أحداث السنة الرابعة قال:

- ٢٦- التَّقِيَا بِأَحَدٍ. وَ (الرَّابِعَةُ) بِئْرُ مَعُونَةٍ يَتْلِكَ الْفَاجِعَةُ
 ٢٧- وَغَزْوُهُ بَنِي التَّضْيِيرِ وَجَلَوْا ذَاتُ الرِّقَاعِ بَعْدَهَا كَمَا حَكَّوْا
 ٢٨- وَقَائِلٌ: «فِيهَا الصَّلَاةُ قُصِرَتْ وَالْخُمْرُ حُرِّمَ»، أَوْ فِيهَا الَّتِي خَلَتْ
 ٢٩- وَقِيلَ: «فِيهَا آيَةُ التَّيْمَمِ» كَذَا صَلَاةُ الْخَوْفِ، مَعَ خُلْفِ نُبِي
 ٣٠- وَقِيلَ: «فِي الْخُمْسِ».

الآن يتكلم عن أحداث السنة الرابعة، فقال: أبرز أحداث السنة الرابعة: سرية (بئر معونة) عرفنا أن المعارك التي وقعت في زمن النبي ﷺ إذا شارك فيها الرسول ﷺ سُميت غزوة، وإذا لم يشارك فيها النبي ﷺ سُميت سرية.

فسرية (بئر معونة) سرية أرسلها النبي ﷺ بقيادة المنذر بن عمرو ﷺ، أرسله النبي ﷺ ومعه سبعون من القراء، والقراء كما مر بنا هم حفظة القرآن العالمون به، فالقراء في زمن النبي ﷺ كانت تُطلق بمعنى العلماء والفقهاء، فتقسيم العلماء إلى: قارئ، وفقهه، ومُحدث إلى آخره، ما كان موجوداً في زمن النبي ﷺ، وكانوا لا يتجاوزون عشر آيات حتى يعلموا معانيها، ويعملوا بما فيها؛ فكان القراء هم العلماء وهم الفقهاء في نفس الوقت، فهؤلاء القراء كانوا سبعين من القراء من حفظة القرآن الكريم، وكانوا من علماء الصحابة ﷺ.

وبعثهم النبي ﷺ في سرية فخرج عليهم عامر بن الطفيل بقومه فقتل القراء جميعاً إلا كعب بن زيد وعمرو بن أمية الضمري ﷺ هذان من القراء الذين شهدوا بئر معونة ونجوا، وبقيّة القراء استشهدوا ﷺ.

وكانت فاجعة عظيمة كما ذكر المؤلف؛ فقد حزن النبي ﷺ حزناً شديداً على هؤلاء القراء ﷺ، وقنت النبي ﷺ شهراً يدعو على هؤلاء الذين قتلوا القراء بنو عامر، قنت النبي ﷺ شهراً يدعو عليهم في صلاته.

وفي هذا العام أيضاً كانت (غَزْوَةُ بَنِي النَّضِيرِ) في شهر ربيع الأول من هذه السنة.

وبنو النضير: هم قبيلة من قبائل اليهود الثلاثة التي كانت تقيم في المدينة، وهم: بنو النضير، وبنو قينقاع، وبنو قريظة، ففي السنة الرابعة وقعت غزوة بني النضير، حاصرهم النبي ﷺ وخرّب بيوتهم، وحرّق نخيلهم، فسألوه الجلاء فأذن لهم النبي ﷺ في الجلاء من المدينة؛ وهذا لأنهم كانوا نقضوا عهودهم مع النبي ﷺ وأعانوا أعداء النبي ﷺ وأجلاهم النبي ﷺ وجعل لهم ما حملت الإبل إلا الحلقة - السلاح - فأذن لهم أن يُحمّلوا إبلهم، ولهم ما استطاعت إبلهم أن تحمله أن يأخذه معهم لكن يتركوا السلاح، لا يأخذون معهم شيئاً من السلاح، وأجلاهم النبي ﷺ عن المدينة.

وفيهم نزلت آيات سورة الحشر.

كذلك من أحداث السنة الرابعة: غزوة (ذَاتُ الرَّقَاعِ) وسُميت (ذَاتُ الرَّقَاعِ)؛ لأن الصحابة ﷺ كانت تقطعت نعالهم، وجعلوا يلفون الخِرْقَ على أرجلهم، الرقاع: هي الخِرْقَ التي كانوا يلفونها على أرجلهم لِقَلَّةِ ما معهم من نعال.

قال: (وَقَائِلٌ: «فِيهَا الصَّلَاةُ قُصِرَتْ») قال بعض الأئمة: إن الصلاة الرباعية قُصِرَتْ إلى ركعتين في السفر وهذا كان في العام الرابع.

وفي العام الرابع أيضًا نزل تحريم الخمر، نزل تحريم شُرْب الخمر، (وَالْخَمْرُ حُرْمًا أَوْ فَنِي الَّتِي خَلَتْ) وقال بعضهم: إنها حُرِّمَتْ في السنة التي خلت وهي الثالثة.

قال: (وَقِيلَ: «فِيهَا آيَةُ التَّيَمُّمِ») من أحداث السنة الرابعة على قول لبعض العلماء: أن تشريع التيمم لفاقد الماء أو العاجز عن استعمال الماء، عوضًا عن الوضوء والاعتسال كان في العام الرابع.

وقيل أيضًا: إنه شُرِعَ فيه صلاة الخوف، قال: (كَذَا صَلَاةُ الْخَوْفِ، مَعَ خُلْفِ نُمِي وَقِيلَ: «فِي الْخَمْسِ»).

بالنسبة لصلاة الخوف فقول: إن صلاة الخوف شُرِعت في السنة الرابعة في غزوة ذات الرقاع، وقيل: إنما شُرِعت في السنة الخامسة، وقيل: غير ذلك.
قال:

٣٠-(وَفِيهِ) نَزَلَتْ آيُ الْحِجَابِ، وَالْخُسُوفُ صُلِّيَتْ:

٣١- لِقَمَرٍ، وَفِيهِ غَزَا الْخَنْدَقِ مَعَ قُرَيْظَةٍ، مَعَ الْمُصْطَلِقِ:

٣٢- عَلَى الصَّحِيحِ، وَبِهَا جُورِيَةُ بَنَى بِهَا، وَالْأَفْكَ أَوْ فِي الْآتِيَةِ

هنا يتكلم عن أبرز أحداث السنة الخامسة من الهجرة:

قال: (وَفِيهِ) نَزَلَتْ آيُ الْحِجَابِ) نزلت آية الحجاب: فرض الحجاب كان في السنة الخامسة.

(وَالْخُسُوفُ صُلِّيَتْ: لِقَمَرٍ) يعني خُسُف القمر وشُرِعت صلاة الخسوف في هذه السنة أيضًا.

(وَفِيهِ غَزْوُ الْخَنْدَقِ مَعَ قُرَيْظَةٍ، مَعَ الْمُصْطَلِقِ عَلَى الصَّحِيحِ) يعني فيه وقعت غزوة الخندق وهي غزوة الأحزاب، وغزوة بني قريظة أي: فيه غزا النبي ﷺ يهود بني قريظة، وغزوة بني المصطلق، هذه كلها من أحداث السنة الخامسة، وتفاصيل هذه الغزوات إن شاء الله كما ذكرنا سيأتينا بإذن الله.

وبنى فيها النبي ﷺ بأم المؤمنين جويرية بنت الحارث المصطلقية ﷺ.
وحادثة الإفك أيضًا وقعت في هذه السنة لما اتهم المنافقون أم المؤمنين عائشة ﷺ بما هي بريئة منه، وردد مقالتهم بعض المؤمنين ممن زل في هذه الحادثة، ووقع في قذف أم المؤمنين عائشة ﷺ وأرضاها، وأنزل الله ﷻ براءتها في كتابه الكريم.
قال: (أَوْ فِي الْآيَةِ) يعني وقيل: إن حادثة الإفك كانت في العام السادس وليس الخامس.

قال:

٣٣- فِي (السَّتِّ) كَانَتْ عُمْرَةُ الْحُدَيْبِيَّةِ وَيَبْعَةُ الرِّضْوَانِ تِلْكَ الزَّكَايَةُ
٣٤- وَفِيهِ فَرَضُ الْحَجِّ، أَوْ مَا خَلَتْ أَوْ فِي الثَّمَانِ أَوْ فِي التَّاسِعَةِ:
٣٥- خُلِفَ، وَقِيلَ: «كَانَ قَبْلَ الْهَجْرَةِ» وَجُوبُهُ حَكَاهُ فِي النَّهَائَةِ

من أحداث السنة السادسة: (عُمْرَةُ الْحُدَيْبِيَّةِ) عمرة الحديبية أو صلح الحديبية الذي وقع بين النبي ﷺ والمشركين، وذلك: أن النبي ﷺ كان قد خرج للعمرة في هذه السنة السادسة، فصدّه المشركون عن دخول مكة وكادت الحرب أن تنشب بين النبي ﷺ والمشركين، إلا أن الأمر انتهى بصلح وهدنة عقدها النبي ﷺ بينه وبين المشركين، وكان من بنود هذا الصلح أن يُسَمَحَ للنبي ﷺ ومن معه بالقدوم للعمرة في العام الذي

بعده، وأصرَّ المشركون على منع النبي ﷺ وأصحابه من دخول مكة في هذا العام، مع أن النبي ﷺ وأصحابه كانوا قد وصلوا إلى الحديبية وهي على حدود مكة، يعني آخر مكان في الحِلِّ قبل مكة يعني من الجهة التي قدم فيها النبي ﷺ فمنعوا النبي ﷺ من دخول مكة.

وحصلت فيها بيعة الرضوان تحت الشجرة، البيعة التي قال الله فيها: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]، وذلك لما كادت الحرب أن تنشب وكاد أن يقع القتال بين مَنْ قدموا مع النبي ﷺ للعمرة، وبين مشركي قريش لما صدوا المسلمين عن البيت وأوشكت الحرب أن تقوم فبايع الصحابة النبي ﷺ تحت شجرة هناك على أن يقاتلوا مع النبي ﷺ إذا حصل قتال وأن يثبتوا، وبايعهم النبي ﷺ ومدح الله ﷻ أهل هذه البيعة: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨].

يقول: كذلك هذه السنة من أحداثها (فَرَضُ الْحَجِّ) أن الحج فُرِضَ في السنة السادسة، ثم هناك خلاف طويل بين العلماء في موضوع متى فُرِضَ الحج؟ وترتب عليه موضوع هل الحج واجب على الفور أو على التراخي؟ يعني مَنْ قدر على الحج هل يجب عليه أن يحج من سنته أو يجوز أن يؤجله إلى عام آخر؟

فالذين قالوا: إن الحج فُرِضَ في العام السادس يقولون: النبي ﷺ أخر الحج إلى العام العاشر مع كونه كان قادراً عليه، والآخرين أجابوا عن هذا: إما بأن الحج لم يكن فُرِضَ أصلاً، وإما أن الحج فُرِضَ ولكن كان النبي ﷺ لا يستطيع الحج؛ لعذر، وهو وجود الأصنام حول الكعبة، وكون المشركين يطوفون عراة بالبيت، وكانوا قد غيَّروا في المناسك والنبي ﷺ كان يريد أن يحج حجة يُعلم فيها المسلمين مناسكهم،

لا يختلط فيها المسلمون بالمشركين، ولا مناسك المسلمين بمناسك المشركين، وتكون الأصنام أزيلت، إلى غير ذلك من الأعدار.

فهنا أورد الأقوال في فرض الحج: فقل: في هذه السنة وهي السادسة.

(أَوْ مَا خَلَّتْ) يعني في السنة الخامسة.

(أَوْ فِي الثَّمَانِ) وقيل: في السنة الثامنة.

(أَوْ فِي التَّاسِعَةِ)، فعندنا الخامسة، والسادسة، والثامنة، والتاسعة، فهذه أربعة أقوال.

(خُلِفَ) يعني اختلاف بين العلماء.

(وَقِيلَ: «كَانَ قَبْلَ الْهَجْرَةِ وَجُوبُهُ» حَكَاهُ فِي النَّهْيَةِ) يعني حكاه إمام الحرمين وهو أبو المعالي الجويني في كتابه «النهاية»: أن الحج فرض قبل الهجرة، يعني يقول: حتى إن بعض العلماء وهو أبو المعالي الجويني إمام الحرمين رحمهم الله ذكر أن الحج وجب قبل الهجرة.

قال:

٣٦- وَفِيهِ قَدْ سَابَقَ بَيْنَ الْخَيْلِ وَآيَةُ الظَّهَارِ فِي ابْنِ خُوَيْ

يعني من أحداث السنة السادسة: أن النبي ﷺ سابق بين الخيل وجعل حدوداً للخيل المضمرة، والخيل غير المضمرة، سابق بين الخيل فسبق فرس أبي بكر رضي الله عنه.

وفي هذه السنة نزلت (آيَةُ الظَّهَارِ) حُكْمُ الظَّهَارِ، والظهار: هو تشبيه الرجل زوجته أو بعضها بمن تحرّم عليه أو ببعضها، يعني أن يُشَبَّه الرجل زوجته بمن يحرم عليه نكاحها كأمه وأخته، أو ببعضها كيد أمه أو ظهر أمه أو أخته، فهذا هو الظهار، وأنزل الله ﷻ

حُكْم مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ، وَأَنَّهُ إِنْ أَرَادَ مُعَاوَدَتَهَا فَعَلِيهِ كَفَّارَةٌ كَمَا بَيَّنَّهَا اللَّهُ ﷻ وَهِيَ: عِتْقُ رَقَبَةٍ، فَإِذَا لَمْ يَجِدْ يَصُومُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ، إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ يُطْعِمُ سِتِينَ مَسْكِينًا.

ف (وَأَيُّ الظَّهَارِ فِي ابْنِ خَوْلِي) آيَةُ الظَّهَارِ كَانَتْ فِي شَأْنِ خَوْلَةَ بِنْتِ ثَعْلَبَةَ، ظَاهِرُ مِنْهَا زَوْجُهَا أَوْسُ بْنُ الصَّامِتِ.

وَهُنَا اسْتَشْكَلَ قَوْلَ النَّازِمِ: «فِي ابْنِ خَوْلِي»؛ لِأَنَّ هُنَاكَ صَحَابِيًّا آخَرَ اسْمُهُ أَوْسُ بْنُ خَوْلِي، لَكِنِ الْمَعْرُوفُ أَنَّ آيَةَ الظَّهَارِ لَمْ تَنْزَلْ فِي شَأْنِ أَوْسُ بْنُ خَوْلِي، وَإِنَّمَا نَزَلَتْ فِي شَأْنِ أَوْسُ بْنُ الصَّامِتِ.

وَأَمَّا الْمَرْأَةُ الَّتِي ظَاهَرَ مِنْهَا زَوْجُهَا فَهِيَ خَوْلَةُ بِنْتِ ثَعْلَبَةَ.

قال:

٣٧- فِي (السَّبْعِ) خَيْرٌ وَعُمْرَةُ الْقَضَا وَقَدِمَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ الرِّضَا

٣٨- بَنَى بِهَا، وَبَعْدَهَا مَيْمُونَةُ كَذَاكَ فِيهَا قَبْلَهَا صَفِيَّةُ

٣٩- وَفِيهِ مَنَعَ الْحُمُرِ الْأَهْلِيَّةِ وَمُتَعَةِ النِّسَاءِ، ثُمَّ حَلَّتِ:

٤٠- يَوْمَ حُنَيْنٍ، ثُمَّ قَدْ حَرَّمَهَا مُؤَبَّدًا، لَيْسَ لِذَلِكَ انْتِهَا

هنا يشير إلى أحداث السنة السابعة، فأبرز أحداثها: غزوة خيبر بين النبي ﷺ وبين اليهود، وهم يهود خيبر.

وفي السنة السابعة أيضًا وقعت عمرة القضاء؛ لأنه لما ذكرنا في العام السادس كان النبي ﷺ ذهب للعمرة وصدّه المشركون عن البيت وكان هناك اتفاق أن يرجع النبي ﷺ للاعتمار في العام الذي بعده فرجع النبي ﷺ في العام الذي بعده، وكانت عمرة

النبي ﷺ كلها في ذي القعدة، ففي شهر ذي القعدة من العام السابع، اعتمر النبي ﷺ وأصحابه العمرة التي يقال لها: عمرة القضاء.

وفي هذه السنة قدمت أم حبيبة ﷺ من الحبشة، ففي العام السابع رجع المهاجرون الذين كانوا في الحبشة ﷺ ومعهم جعفر بن أبي طالب، فلما قدم قال النبي ﷺ: «والله ما أدري بأيهما أَسْرَ: بفتح خبير أم بقدوم جعفر؟»؛ لأنهم قدموا، وقت أن فُتحت خيبر على النبي ﷺ.

فممن قدم أم حبيبة ﷺ وأرضاهها، وكان النبي ﷺ عقد عليها وهي هناك في الحبشة، ودفع مهرها النجاشي ﷺ. فلما قدمت في العام السابع بنى بها الرسول ﷺ.

وتزوج بعدها ميمونة بنت الحارث الهلالية ﷺ، تزوجها النبي ﷺ بمكة في عمرة القضاء.

قال: (كَذَاكَ فِيهَا قَبْلَهَا صَفِيَّةٌ) صفية أم المؤمنين ﷺ كانت يهودية وأسلمت ﷺ وأرضاهها، كانت من أهل خيبر الذين غزاهم النبي ﷺ في خيبر وأسلمت ﷺ وأرضاهها، وتزوجها رسول الله ﷺ أيضًا في هذه السنة السابعة.

ومن أحداث هذه السنة: تحريم (الْحُمْرِ الْأَهْلِيَّةِ) الحمر الأهلية: هي الحمير غير الوحشية؛ لأن الحمر الوحشية -هي الحمير المخططة هذه - يحل أكلها، وأما الحمر الأهلية فحرّمها النبي ﷺ في العام السابع من الهجرة، حرم النبي ﷺ لحوم الحمر الأهلية.

وحرّم فيها (مُتَعَةَ النِّسَاءِ) حرّم النبي ﷺ نكاح المتعة وهو الزواج المؤقت، أنه يتزوج المرأة لأجلٍ يتفقان عليه، فحرّم النبي ﷺ نكاح المتعة في غزوة خيبر.

(ثُمَّ حَلَّتْ: يَوْمَ حُنَيْنٍ، ثُمَّ قَدْ حَرَّمَهَا مُؤَبَّدًا، لَيْسَ لِذَلِكَ انْتِهَاءٌ) يعني تحريمًا أبدًا ليس له انتهاء، إذا كانت مباحة، ثم حُرِّمَتْ يومَ خيبر، ثم أباحها النبي ﷺ يومَ حنين، ثم عاد فحرَّمها تحريمًا مؤَبَّدًا لا انتهاء له.

بعد ذلك يذكر أحداث السنة الثامنة، قال:

٤١- وَفِي (الثَّمَانِ) وَقَعَهُ بِمُؤْتَةِ وَالْفَتْحُ مَعَ حُنَيْنٍ فِي ذِي السَّنَةِ

٤٢- وَأَخَذَ جَزِيَّةَ مَجُوسِ هَجَرًا وَاتَّخَذَ النَّبِيُّ فِيهِ الْمُنْبَرَا

يقول هنا: أبرز أحداث السنة الثامنة من الهجرة: أنها وقعت فيها غزوة مؤتة، وهي غزوة في منطقة مؤتة قريباً من البلقاء بالشام، وفي ذلك الوقت كانت حدود الشام تبدأ من منطقة تيماء وشمالها، فمؤتة من الشام ووقعت فيها غزوة بين النبي ﷺ والنصارى في تلك الأماكن، والعرب الذين يوالون الروم في هذه الأماكن.

وفي السنة الثامنة أيضاً: وقع فتح مكة المكرمة؛ لأن مشركي قريش قد صالحوا النبي ﷺ في صلح الحديبية في العام السادس، على ترك الحرب عشر سنين هدنة، فلا تحصل حرب بين الفريقين عشر سنين، لكن بشرط ألا ينقض أحد الفريقين عهده، أنه لا ينصر عليه عدواً: يعني لا النبي ﷺ ينصر أعداء قريش، ولا هم ينصرون أعداء النبي ﷺ ولا أعداء حلفائه، وكانت خزاعة من حلفاء النبي ﷺ، وقريش حاربوا خزاعة ونصروا أعداء خزاعة عليهم، فنقضوا العهد الذي بينهم وبين الرسول ﷺ فذهب النبي ﷺ في جيش عظيم، فيه عشرة آلاف مقاتل، وفتح الله ﷻ عليه مكة المكرمة في شهر رمضان من العام الثامن.

وفي نفس السنة بعد فتح مكة كان النبي ﷺ معه عشرة آلاف مقاتل وأخذ معهم

ألفين مَمَّنْ أسلم، من مسلمة الفتح مَمَّنْ أسلموا من أهل مكة وَمَنْ حولها فصاروا اثني عشر ألفاً، وأخذهم معه النبي ﷺ وذهب لقتال أهل الطائف، قبيلة ثقيف في الطائف، وقتلهم النبي ﷺ في غزوة حنين في نفس هذه السنة الثامنة، وكانت بعد الفتح بأيام قليلة.

كذلك من أحداث هذه السنة: أخذ الجزية من مجوس هجر، وهجر: هي منطقة الأحساء في شرق الجزيرة العربية، وحسب التقسيمات السياسية التي كانت في زمن النبي ﷺ كان يقال لهذه المنطقة: البحرين، منطقة البحرين ما كانت تقتصر فقط على الجزيرة المعروفة الآن بالبحرين، ولكن كل ما بين العراق وعمان، الساحل الشرقي هذا كله كان يقال له البحرين، بما فيه منطقة هجر التي هي الأحساء.

فالنبي ﷺ أخذ الجزيرة من مجوس هجر، كانوا مجوساً مثل الفرس، وكان الفرس لهم سلطة على هذه المنطقة، والنبي ﷺ أرسل العلاء بن الحضرمي ﷺ أميراً على البحرين وكلفه بأخذ الجزية من مجوس البحرين.

(وَاتَّخَذَ النَّبِيُّ فِيهِ الْمِنْبَرَ) يعني هذه السنة الثامنة أيضاً من أحداثها: أنها أول سنة يخطب فيها النبي ﷺ على المنبر، وكانت امرأة من الأنصار ﷺ وأرضها كان عندها غلام نجار، وكان النبي ﷺ إلى هذه الوقت كان يخطب مستنداً إلى جذع نخلة، فعرضت على النبي ﷺ أن يصنع له غلامها منبراً يخطب عليه، كما في صحيح البخاري «عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ: أَنَّ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ قَالَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا أَجْعَلُ لَكَ شَيْئًا تَقْعُدُ عَلَيْهِ؟ فَإِنْ لِي غُلَامًا نَجَّارًا، قَالَ: «إِنْ شِئْتَ»، قَالَ: فَعَمِلَتْ لَهُ الْمِنْبَرَ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ قَعَدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ الَّذِي صُنِعَ، فَصَاحَتْ النَّخْلَةُ الَّتِي كَانَ يَخْطُبُ عَنْهَا، حَتَّى كَادَتْ تَنْشَقُّ، فَنَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى أَخَذَهَا، فَضَمَّهَا إِلَيْهِ،

فَجَعَلْتُ تَيْنَ أُبَيْنَ الصَّبِيِّ الَّذِي يُسَكَّتُ، حَتَّى اسْتَقَرَّتْ، قَالَ: «بَكَتْ عَلَى مَا كَانَتْ تَسْمَعُ مِنْ الذِّكْرِ»^[١]

وَكَانَ الْحَسَنُ عليه السلام إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ بَكَى ثُمَّ قَالَ: يَا عِبَادَ اللَّهِ، الْخَشَبَةُ تَحِنُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم شَوْقًا إِلَيْهِ لِمَكَانِهِ مِنْ اللَّهِ، فَأَنْتُمْ أَحَقُّ أَنْ تَشْتَاقُوا إِلَى لِقَائِهِ.
قال:

- ٤٣- فِي (التَّسْعِ) غَزْوَةُ تَبُوكَ، بَعْدَ أَنْ صَلَّى عَلَى «أَصْحَمَ» غَائِبًا فَسَنَ شَهْرًا، وَفِيهِ قِصَّةُ اللَّعَانِ لَهُ عَلَيَّا بَعْدَهُ عَلَى الْوِلَاةِ: يَطُوفُ غُرَيَّانُ كَفْعِلِ الْجُهْلَاءِ
٤٤- وَفِيهِ قَدْ آلَى مِنَ النِّسْوَانِ
٤٥- وَحَجَّةُ الصَّدِيقِ، ثُمَّ أَرْسَلَ
٤٦- «أَنْ لَا يَحْجَّ مُشْرِكٌ بَعْدُ، وَلَا
٤٧- وَسُمِّيَتْ: بِسَنَةِ الْوُفُودِ لِكَثْرَةِ الْقَادِمِ مِنْ وُفُودِ

يذكر هنا أبرز أحداث السنة التاسعة: غزوة تبوك التي تُعرف بغزوة العُسرة، وتبوك مدينة في شمال الجزيرة العربية، طبعًا في وقتنا الحاضر هي داخل المملكة العربية السعودية، وفي زمن النبي صلى الله عليه وسلم كانت تبوك تُعتبر من مدن الشام في ذلك الوقت، وكانت هذه المناطق خاضعة لسلطة الروم فخرج النبي صلى الله عليه وسلم لقتالهم في السنة التاسعة.

«أَصْحَمَ» هو أصحمة، لكن رُحِمه في البيت قال: أصحم، والترخيم: هو حذف آخر المنادى، لكن هنا حذف آخر الاسم لضرورة الوزن.

أي: وصلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الغائب على النجاشي عليه السلام واسمه (أصحمة)، كلمة

النجاشي تَطَلَّقَ على كل مَنْ ملك الحبشة، كان يقال له: النجاشي، فنجاشي الحبشة في ذلك الوقت اسمه أصحمة عليه السلام.

ولما توفي أصحمة أوحى الله ﷻ إلى نبيه ﷺ بخبره وهو في المدينة، فصلى على النجاشي صلاة الغائب، فَسَنَّ النبي ﷺ بذلك صلاة الغائب.

قال: (وَفِيهِ قَدْ آلَى مِنَ النَّسْوَانِ) يعني في هذه السنة حصلت حادثة إيلاء النبي ﷺ من أزواجه شهراً.

والإيلاء: هو الحلف، أن يحلف الزوج ألا يعاشر زوجته.

فآلى النبي ﷺ من نسائه شهراً: يعني حلف ألا يدخل بيوتهن شهراً، واعتزلهن النبي ﷺ في علية له، علية: هي حجرة فوقية يُصْعَدُ إليها بدرج، فبقي النبي ﷺ في هذه العلية ينزل إلى المسجد يصلي، ويصعد إلى علية، يعني هجر أزواجه شهراً وآلى منهن ﷺ.

أغضبه في شيء، قيل: في بسبب سؤال النفقة، يعني النبي ﷺ كان زاهداً في الدنيا ﷺ، وتأتيه الأموال الكثيرة ﷺ فيتصدق بها يميناً وشمالاً وكان يمر على بيوت النبي ﷺ الهلال، ثم الهلال، ثم الهلال، لا يوقد في بيوتهم نار، ليس لهم إلا الأسودان (التمر والماء)، وأحياناً ينفد التمر، لا يكون في بيوتهم إلا الماء، فقيل: إنهن سأله النفقة، يعني أغضبه ﷺ بسؤالهن.

وقيل: في شيء من الغيرة وقع بينهن، أو شيء من هذا القبيل.

فالنبي ﷺ حلف ألا يدخل بيوتهن شهراً ﷺ.

وفي هذه السنة أيضاً التاسعة: حدثت قصة اللعان، وذلك في شأن هلال بن أمية وامرأته.

واللعان: يكون إذا اتهم الرجل امرأته بالزنا وليس معه شهود.

«فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ هِلَالَ بْنَ أُمَيَّةَ، قَذَفَ امْرَأَتَهُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ بِشَرِيكِ ابْنِ سَحْمَاءَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْبَيِّنَةُ أَوْ حَدٌّ فِي ظَهْرِكَ»، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِذَا رَأَى أَحَدُنَا عَلَى امْرَأَتِهِ رَجُلًا يَنْطَلِقُ يَلْتَمِسُ الْبَيِّنَةَ؟ فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «الْبَيِّنَةُ وَإِلَّا حَدٌّ فِي ظَهْرِكَ» فَقَالَ هِلَالٌ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنِّي لَصَادِقٌ، فَلْيُنْزِلَنَّ اللَّهُ مَا يُبْرِئُ ظَهْرِي مِنَ الْحَدِّ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ﴾ ﴿فَقَرَأَ حَتَّى بَلَغَ: ﴿إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾﴾ فَأَنْصَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا، فَجَاءَ هِلَالٌ فَشَهِدَ، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أَنَّ أَحَدَكُمَا كَاذِبٌ، فَهَلْ مِنْكُمَا تَائِبٌ؟» ثُمَّ قَامَتْ فَشَهِدَتْ، فَلَمَّا كَانَتْ عِنْدَ الْخَامِسَةِ وَقَفَوْهَا، وَقَالُوا: إِنَّهَا مُوجِبَةٌ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَتَلَكَّأَتْ وَنَكَصَتْ، حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهَا تَرْجِعُ، ثُمَّ قَالَتْ: لَا أَفْضَحُ قَوْمِي سَائِرَ الْيَوْمِ، فَمَضَتْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَبْصُرُوهَا، فَإِنْ جَاءَتْ بِهِ أَكْحَلَ الْعَيْنَيْنِ، سَابِغِ الْأَلْيَتَيْنِ، خَدَّلَجِ السَّاقَيْنِ، فَهُوَ لِشَرِيكِ ابْنِ سَحْمَاءَ»، فَجَاءَتْ بِهِ كَذَلِكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَوْلَا مَا مَضَى مِنْ كِتَابِ اللَّهِ لَكَانَ لِي وَلَهَا شَأْنٌ» [١]

والمرأة يدرأ عنها العذاب يعني إذا لم تشهد أقيم عليها الحد، وإذا شهدت ﴿أَرْبَعٌ﴾ شَهِدَتْ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَذَّابِينَ ﴿[النور: ٨]﴾، الشهادة الخامسة: ﴿أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ﴿[النور: ٩]﴾ فيدرأ عنها العذاب، فإذا حصلت الملاعة بين الطرفين، تحرم عليه أبداً، ويتبرأ من نسبة الولد، الذي يتهمها بأنه ليس منه لا يُنسب إلى هذا الأب.. إلى آخره.

(وَحَجَّةُ الصَّادِقِ) حج أبو بكر الصديق ﷺ، طبعاً مكة فُتحت في العام الثامن، وفي العام التاسع بعث النبي ﷺ أبا بكر الصديق ﷺ أميراً على الحج ولم يحج النبي ﷺ في

العام التاسع، والسبب في ذلك:

قيل: إن المشركين كانوا في هذه السنة كانوا قد غيَّروا فيها الشهور، وهو ما يُعرف بالنسيء: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ [التوبة: ٣٧] فكانوا يجعلون الشهر الحرام حلالاً، ويجعلون الشهر الحلال حراماً، فقالوا: هذه السنة كان فيها نسيء، فكان الحج لا يصادف مواعده الصحيح.

ولذلك في حجة الوداع النبي ﷺ قال: «إن الزمان استدار كهَيْئَتِهِ يوم خلق الله السموات والأرض» يعني عادت الشهور كما خلقها الله ﷻ ﴿أَتْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ [التوبة: ٣٦].

وهناك سبب آخر، وهو: أن المشركين كانوا يطوفون عراة بالبيت - والعياذ بالله تعالى - وكانت لهم تحريفات لمناسك الحج تخالف شريعة إبراهيم ﷻ وتخالف حج المسلمين، فكان منهم مَنْ لا يقف بعرفة، ويقفون بالمزدلفة بدلاً من عرفة، ويؤخرون النفر، فأراد النبي ﷺ أن يبعث أبا بكر ﷺ في هذا العام التاسع حتى يحج بالناس، وبعث خلفه علياً (عَلَى الْوَلَا) يعني بعث علياً بعده؛ لينادي في الناس: ألا يحجّن بعد العام مشرك، ولا يطوفن بالبيت عريان.

ثم يقول: إن هذه السنة:

٤٧- وَسُمِّيَتْ: بِسَنَةِ الْوُفُودِ لِكَثْرَةِ الْقَادِمِ مِنْ وُفُودِ

طبعاً بعد أن فُتحت مكة كان العرب في أنحاء الجزيرة العربية ينتظرون نتيجة الخصومة بين النبي ﷺ وقريش، والكعبة هي المكان المعظم عند العرب، وكانوا تبعاً لمن تولى قيادة البلد الحرام.

فكانوا ينتظرون ماذا يحصل في الحروب بين النبي ﷺ ومشركي قريش، فلما فتح الله ﷻ مكة على النبي ﷺ ودخلت مكة في حوزة الإسلام دخل الناس في دين الله أفواجًا، وبدأت القبائل تَفْدُ عليه ﷺ كل قبيلة ترسل وفدًا يبايع النبي ﷺ على الإسلام ويدخلون في الإسلام ويطلبون من النبي ﷺ أن يبعث معهم مَنْ يعلمهم الدين، وَمَنْ يأخذ منهم الزكاة.

فسميت هذه السنة وهي السنة التاسعة (بِسَنَةِ الْوُفُودِ)؛ لكثرة مَنْ قدم فيها من الوفود على النبي ﷺ.

قال:

- ٤٨- فِي (الْعَشْرِ) كَانَتْ حَجَّةُ الْوُدَاعِ لَا يُحْصَرُ الْوَأْفُونَ بِاطَّلَاعِ
 ٤٩- فَقِيلَ: «كَانُوا أَرْبَعِينَ أَلْفًا أَوْ ضِعْفَهَا»، وَزِدْ عَلَيْهِ ضِعْفًا
 ٥٠- وَارْتَدَّ فِيهَا وَادَّعَى النَّبُوَّةَ: الْأَسْوَدُ الْعَنْسِيُّ، حَتَّى مَوَّةَ:
 ٥١- لِبَعْضِ قَوْمِهِ بِسَجْعِ صَنْعَهُ فَقَتَلَ الشَّقِيَّ مَعَ مَنْ تَبِعَهُ

أبرز أحداث السنة العاشرة: حجة الوداع، حج النبي ﷺ في السنة العاشرة حجة الوداع، قال: (لَا يُحْصَرُ الْوَأْفُونَ) فيها (بِاطَّلَاعِ) الذين شهدوا حجة الوداع لا يُحْصَرُونَ؛ لكثرتهم، فقد كانوا ألوفاً مؤلفةً وما كان هناك إحصاء دقيق للعدد، فكان الإحصاء تقديرًا أو تقريبًا، فقيل: كانوا أربعين ألفًا، وقيل: كانوا ثمانين ألفًا، وقيل: كانوا مائة وعشرين ألفًا، (فَقِيلَ: «كَانُوا أَرْبَعِينَ أَلْفًا أَوْ ضِعْفَهَا») يعني ثمانين ألفًا، و(وَزِدْ عَلَيْهِ ضِعْفًا) يعني: أو مائة وعشرين ألفًا شهدوا مع النبي ﷺ حجة الوداع.

في هذه السنة: ارتد الأسود العنسي، (وَادَّعَى النَّبُوَّةَ) وكان بصنعاء في اليمن، و(مَوَّةَ)

يعني: زخرف لقومه ولبس عليهم (يَسْجَعُ صَنْعَةً) أي: جعل يقول كلامًا مسجوعًا،
ويزعم أنه وحي من الله ﷻ وأنه نبي والعياذ بالله تعالى.

(فَقُتِلَ الشَّقِيُّ مَعَ مَنْ) معه من أتباعه، في ذلك الوقت كانت اليمن دخلت في الإسلام،
وكان النبي ﷺ بعث له أمراء في صنعاء، فبعث معاذًا وأبا موسى الأشعري ﷺ، كان
معاذ في جهة صنعاء، وأبو موسى الأشعري في جهة حضرموت، وكان فيها أصحاب
النبي ﷺ هناك فحصل قتال بين الأسود العنسي الذي ادعى النبوة، وبين المسلمين
وقُتِلَ الشَّقِيُّ وَمَنْ مَعَهُ من أتباعه في هذه السنة التي هي العاشرة.
قال:

٥٢- فَيَمَّا يَلِيهَا وَهِيَ (إِحْدَى عَشْرَةَ) قَضَى نَبِيُّ اللَّهِ فِيهَا عُمْرَةً
٥٣- عَاشَ ثَلَاثًا بَعْدَ سِتِّينَ عَلَى أَصْحَافِهَا، وَاخْتَلَفَ فِي هَذَا خَلَا

السنة الحادية عشرة هي السنة التي توفي فيها رسول الله ﷺ، وقد توفي ﷺ في شهر
ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة النبوية، وعاش النبي ﷺ ثلاث وستين سنة
كما ذكر المؤلف، (وفيه خلف قد خلا) يعني مضى ذكره: أنه جاء عن بعض الصحابة
أن النبي ﷺ أقام بمكة بعد البعثة عشر سنين، وبالمدينة عشر سنين، وهو ﷺ بُعِثَ
على رأس أربعين سنة، وأقام بمكة عشرًا وبالمدينة عشرًا يصبح المجموع ستين سنة،
لكن أجابوا عن هذا قالوا: إن المقصود هنا التقريب، الذين قالوا: عشرًا بمكة وعشرًا
بالمدينة قصدوا التقريب، أو أنهم لم يحتسبوا سنوات الدعوة السرية ثلاث سنوات،
توفيقًا يعني بين الأقوال.

فالصواب: أن النبي ﷺ مكث بمكة ثلاث عشرة سنة بعد البعثة، وهو بُعِثَ وهو ابن

أربعين، ومكث ثلاث عشرة سنة، ثم عشر سنوات بالمدينة؛ لأنه قدم المدينة في شهر ربيع الأول في السنة الأولى من الهجرة، وتوفي ﷺ في شهر ربيع الأول في السنة الحادية عشرة من الهجرة فمجموع مدة إقامته ﷺ بالمدينة عشر سنين.

فهذه باختصار أبرز أحداث السنوات التي قضاها النبي ﷺ بالمدينة، ذكرها المؤلف إجمالاً، ثم بعد ذلك إن شاء الله كل هذه الأحداث مر عليها بعد ذلك بتفصيل أكثر في أبواب قادمة إن شاء الله تعالى.

باب ذكر صفته ﷺ

أي: أوصافه الطاهرة ﷺ.

قد يقول قائل: ما أهمية هذا الباب مع أن النبي ﷺ قال: «إن الله لا ينظر إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»؟ والتفاضل عند الله ﷻ بالتقوى وليس بالصفات الخلقية.

فما أهمية هذا الباب؟

أهمية هذا الباب:

أولاً: أنه من علامات محبته ﷺ فمن علامات محبته ﷺ: حُب التعرف على خِلقَة رسول الله ﷺ وما حباه الله ﷻ به من الصفات؛ فإن الإنسان إذا أحبَّ النبي ﷺ تعلق قلبه بالرغبة في معرفة صفات هذا النبي الكريم ﷺ واستحضار صورة النبي ﷺ في ذهن الإنسان عند الحديث عن النبي ﷺ.

ثانياً: ما يتعلق بذلك من حُكم شرعي فيما يتعلق برؤية النبي ﷺ في المنام، فإن النبي ﷺ قال: «مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَأَى حَقًّا؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتِمَثَّلُ بِي»؛ فالشيطان لا يستطيع أن يتمثل في صورة النبي ﷺ التي كان عليها في الدنيا.

لذلك كان عبد الله بن عباس ﷺ إذا جاءه مَنْ يقول: رأيت النبي ﷺ في المنام، وقال لي: كذا وكذا، يقول له: صِفْهُ لِي، فيصف له ما رأى في المنام، فإذا وصفه كما يطابق صفته ﷺ يقول: قد رأيته.

فإذا جاءنا شخص ويزعم أنه رأى النبي ﷺ في المنام نقول له: صِفْهُ لَنَا، فإذا وصفه صفةً تطابق صفة رسول الله ﷺ التي جاءت في سيرته المشرفة، تكون هذه رؤيا حق،

والذي رآه هو النبي ﷺ حقًا؛ لأن الشيطان لا يتمثل به.

لكن إذا جاء شخص ووصف صفة أخرى تتعارض مع ما جاء في صفته ﷺ في السيرة المشرفة فنقول: هذا شيطان يتلاعب بالرائي؛ لأنه يمكن أن يأتي الشيطان في صورة أخرى من الصور غير صورة النبي ﷺ، ويزعم كذبًا أنه هو النبي ﷺ فتكون هذه حُلْمًا، وتلاعبًا من الشيطان.

فهذه من الفوائد الشرعية المتعلقة بمعرفة صفاته ﷺ.

ثالثًا: يُستفاد من معرفة صفته ﷺ أن نعرف أن الله ﷻ أكرمه بالكمال الخُلقي، والكمال الخُلقي ﷺ فقد كانت صفاته ﷻ الخُلقية والخُلقية في غاية الكمال الذي أكرمه الله ﷻ به.

قال المؤلف رحمه الله:

١- وَرَبْعَةٌ كَانَ مِنَ الرِّجَالِ لَا مِنْ قِصَارِهِمْ وَلَا الطَّوَالِ

كان النبي ﷺ ربعةً أي: معتدل الطول، الربعة: هو الإنسان معتدل الطول. (لَا مِنْ قِصَارِهِمْ وَلَا الطَّوَالِ) يعني لا كان النبي ﷺ قصيرًا ولا طويلًا، يعني لا قصيرًا قِصَرًا زائدًا، ولا طويلًا طَوِيلًا زائدًا، وإنما كان معتدل الطول ﷺ.

٢- بَعِيدَ بَيْنِ الْمُنْكِبَيْنِ، شَعْرُهُ يَبْلُغُ شَحْمَةَ الْأُذُنِ، يُوقَرُهُ:

٣- مَرَّةً أُخْرَى، فَيَكُونُ وَفَرُهُ يَضْرِبُ مَنْكِبَيْهِ يَعْلُو ظَهْرَهُ

فيقول: من صفات النبي ﷺ أنه كان بعيد ما بين المنكبين ﷻ: يعني عريض أعلى الظهر وأعلى الصدر.

والمنكب: هو مكان التقاء الكتف والعضد.

صفة شعر النبي ﷺ قال: (شَعْرُهُ يَبْلُغُ شَحْمَةَ الْأُذُنِ) شحمة الأذن: هي القطعة الطرية في طرف الأذن، فكان النبي ﷺ يطيل شعره حتى يبلغ شحمة الأذن.
قال:

يُوفَرُهُ:

٣- مَرَّةً أُخْرَى، فَيَكُونُ وَفْرَةً يَضْرِبُ مَنْكِبَيْهِ يَعْلُو ظَهْرَهُ

يعني أحياناً يكون شعره ﷺ وفرةً، والوفرة: هي الشعر الذي يصل إلى شحمة الأذن، وأحياناً يتركه حتى يضرب المنكبين يعني يصل إلى المنكبين، والشعر إذا وصل إلى المنكبين يقال له: اللمة.

فكان النبي ﷺ يترك شعره حتى يصل إلى المنكبين فيقال له: اللمة، ثم يقصه ﷺ حتى يصل إلى شحمتي الأذنين، ثم إذا طال إلى المنكبين يقصه إلى الأذنين ﷺ.
وكان من عادة النبي ﷺ أن يفرق شعره ﷺ من المنتصف، كان يفرق شعره من يافوخه إلى ما بين عينيه.

اليافوخ: هو منتصف الرأس إلى ما بين العينين.

فكان يفرق النبي ﷺ شعره قسمين، وشعره ﷺ يطول إلى المنكبين ثم يقصه حتى يصل إلى الأذنين.

قال: (يَضْرِبُ مَنْكِبَيْهِ يَعْلُو ظَهْرَهُ) يعني: ربما طال الشعر عن المنكبين حتى وصل إلى الظهر أحياناً، لكن العادة أن شعر النبي ﷺ كان دائماً ما بين الأذن إلى المنكب.

٤- يَخْلُقُ رَأْسَهُ لِأَجْلِ النَّسكِ وَرُبَّمَا قَصَرَهُ فِي نُسكِ

فيقول: إن النبي ﷺ كان يحلق شعره في النسك - يعني في الحج والعمرة -، عند التحلل من الحج والعمرة يحلق شعره، والحلق: هو إزالة الشعر كله، فما كان النبي ﷺ يحلق شعره إلا في النسك، وربما قصَّره في النسك ﷺ يعني ربما قصَّره في النسك، لكن الغالب أنه كان يحلق رأسه ﷺ في النسك.

وقد قال ﷺ: «رحم الله المحلقين، رحم الله المحلقين، رحم الله المحلقين» ثلاث مرات، في كل مرة يقولون: والمقصرين يا رسول الله؟ فيقول: «رحم الله المحلقين» ثم بعد الثالثة قال: «والمقصرين».

قال:

٥- وَقَدْ رَوَوْا: لَا تُؤْضِعُ النَّوَاصِي إِلَّا لِأَجْلِ النَّسكِ الْمَحَاصِ

(وَقَدْ رَوَوْا) يعني روى المُحدِّثون أنه (لَا تُؤْضِعُ النَّوَاصِي) يعني لا يُحَلِّقَ الشعر إلا لأجل النسك.

وهذا الأمر ورد فيه عن النبي ﷺ أنه لما ذكر الخوارج قال: «سيماهم التحليق» يعني علامتهم أنهم دائماً حلقوا الرؤوس.

فهنا قال الفقهاء: إنه يُكره أن تكون سيما الإنسان الحلق، والسيما: هي العلامة الدائمة، يعني: أنه يكون من عادته دائماً أنه حلق رأسه، كلما نبت حلقه، فقالوا: يُكره هذا؛ لما فيه من التشبه بالخوارج، ولأنه يخالف هديه ﷺ ما كان النبي ﷺ يحلق شعره إلا في النسك.

لكن قالوا هذا على الكراهة وليس على التحريم؛ لأن النبي ﷺ لما رأى طفلاً حلقوا

بعض رأسه وتركوا بعضه، قال: احلقوه كله أو ذروه كله، فمعنى هذا أنه يجوز حلق الرأس كله، أو ترك الرأس كله.

لكن كما ذكرنا: الكراهة هنا في أن تكون هذه سيما للإنسان وعلامة دائمة ملازمة له، فتكون على سبيل الكراهة لا تصل إلى التحريم.
قال: (أَبْيَضُ).

و (الْمَحَاصِرِ) الذي يُمَحَّص من الذنوب، يعني يُطَهَّر منها.
(إِلَّا لِأَجْلِ النَّسْكِ الْمَحَاصِرِ) يعني لأن النسك هو الحج والعمرة، وهما يتقيان الذنوب، وينفيان الذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد.
المحاص من التمحيص، وهو: التنقية من الذنوب.
قال:

٦- أَبْيَضُ قَدْ شَرَبَ حُمْرَةً عَلَتْ وَفِي الصَّحِيحِ: «أَزْهَرُ اللَّوْنِ» ثَبَتَ

هنا يتكلم عن لون بشرة النبي ﷺ فيقول: كان النبي ﷺ أبيض مُشرباً بياضه حُمْرَةً، قد أَشْرَبَ بياضه حُمْرَةً أي خُلِطَ بِحُمْرَةٍ.

قال: (وَفِي الصَّحِيحِ: «أَزْهَرُ اللَّوْنِ») يعني وجاء في صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: «كان النبي ﷺ أزهر اللون» والأزهر: هو الأبيض المُشْرَبُ بِحُمْرَةٍ.

يقال: فلان أزهر يعني أبيض البشرة، والبياض مُشْرَبٌ يعني مشوب بِحُمْرَةٍ أو مخلوط بِحُمْرَةٍ.

فكان هذا لون بشرة النبي ﷺ.

قال:

٧- وَفِي الصَّحِيحِ: «أَشْكَلُ الْعَيْنَيْنِ» أَي حُمْرَةً لَدَى بَيَاضِ الْعَيْنِ

يقول: (وَفِي الصَّحِيحِ) يعني جاء في صحيح مسلم: «كان النبي ﷺ أَشْكَلُ الْعَيْنَيْنِ»، («أَشْكَلُ الْعَيْنَيْنِ») له تفسيران:

فالتفسير الأول: هو الذي ذكره المؤلف: أنه يخالط بياض عينيه حُمْرة.

وجاء عن أحد رواة الحديث - وهو سماك رحمه الله - قال: أَشْكَلُ الْعَيْنَيْنِ: طويل شق العين.

لكن قال أكثر شُراح الحديث - وهذا المعروف في اللغة - : إِنْ الشَّكْلُ هُوَ اخْتِلَافُ الْبَيَاضِ بِحُمْرَةٍ، فَأَشْكَلُ الْعَيْنَيْنِ يَعْنِي: بَيَاضُ عَيْنَيْهِ يَخَالِطُهُ أَوْ يَشُوْبُهُ حُمْرَةٌ يَسِيرَةً.
قال:

٨- وَلِعَلِّي: «أَدْعَجٌ»، وَفُسِّرَ: بِشِدَّةِ السَّوَادِ فِي الْعَيْنِ يَرَى

يقول: (وَلِعَلِّي) يعني: وجاء عن علي بن أبي طالب ﷺ لما وصف النبي ﷺ قال: «أَدْعَجُ الْعَيْنَيْنِ»، وَفُسِّرَ الدَّعْجُ: بِشِدَّةِ سَوَادِ الْعَيْنِ.

وفي الحقيقة كلمة («أَدْعَجٌ») فُسِّرَتْ بِشِدَّةِ سَوَادِ الْعَيْنِ، وَهَنَافُ تَفْسِيرُ آخَرٍ لِلدَّعْجِ، وَهُوَ أَنَّهُ: شِدَّةُ السَّوَادِ مَعَ شِدَّةِ الْبَيَاضِ، لَكِنْ هَذَا التَّفْسِيرُ لَمْ يَخْتَارُوهُ؛ لِأَنَّهُ سَيَتَعَارَضُ مَعَ («أَشْكَلُ الْعَيْنَيْنِ»).

ونلاحظ هنا أن الصحابة ﷺ وصفوا النبي ﷺ وَصْفًا دَقِيقًا فِي كُلِّ مَا يَتَعَلَّقُ بِالْمُصْطَفَى ﷺ وَذَلِكَ؛ لِشِدَّةِ مَحَبَّتِهِمْ لَهُ ﷺ وَاعْتِنَائِهِمْ بِأَمْرِهِ، فَرووا لنا هذه التفاصيل الدقيقة المتعلقة بالنبي ﷺ.

قال:

٩- وَفِي الصَّحِيحِ: «أَنَّهُ جَعْدُ الشَّعَرِ لَا سَبِطٌ وَلَا بِجْعِدٍ» الْخَبَرُ

١٠- وَعَنْ عَلِيٍّ: «سَبِطٌ» لَمْ يَثْبُتْ إِسْنَادُهُ، وَكَانَ كَثَّ اللَّحْيَةِ

هنا بالنسبة لشعر النبي ﷺ الأحاديث الكثيرة التي جاءت في صفة شعر النبي ﷺ أنه كان لا هو بالشعر السبط، هو المسترسل الذي لا تكسر فيه، ولا هو بالشعر الجعد وهو الشديد الخشونة والثني، وإنما كان وسطاً بين ذلك، يعني جاء أنه رَجُلُ الشعر، وهو الشعر الذي فيه ثَنٌّ يسير أو تجعد يسير، لا هو الشديد الجعودة، ولا هو بالسبط المسترسل الذي ليس فيه أي ثَنٌّ ولا تكسر.

التوفيق بين الروايات: جاء بعض روايات جَعْدُ الشعر، وبعضها سَبِطُ الشعر، وأكثر الوصاف للنبي ﷺ قالوا: إنه كان رَجُلُ الشعر يعني ليس بجعد ولا سَبِط، فهنا قالوا الرواية التي فيها سَبِطُ الشعر قال: لم يثبت إسنادها.

والرواية التي جاء فيها جَعْدُ الشعر، قالوا: مقارنةً بالسبوطه الشديدة - الاسترسال الشديد - فقصدوا أنه ليس مسترسلاً استرسالاً شديداً.

لكن الخلاصة: أن شعر النبي ﷺ كان كما وُصِفَ لا هو بالسبط ولا هو بالجعد، وإنما كان بين ذلك.

قال: (وَكَانَ كَثَّ اللَّحْيَةِ) كان ﷺ كَثَّ اللحية يعني كثير شعر اللحية وغلظ شعر اللحية، اللحية الكثّة: يعني كثيرة الشعر مع غِلَظ الشعر، اللحية ليس شعراً ناعماً مسترسلاً؛ لأنه شعر غليظ، وكَثَّ اللحية: كثير شعر اللحية.

وكان الصحابة رضوان الله عليهم يعرفون قراءته في الصلاة من اضطراب لحيته من وراء ظهره، في

الصلاة السرية، وكانت لحيته ﷺ تملأ عارضيه، أي: تملأ جانبي الوجه، اللحية متصلة من شعر الرأس تملأ جانبي الوجه.

قال:

١١- وَأَشْعَرَ (الصَّدر) دَقِيقَ الْمَسْرِبَةِ مِنْ سُرَّةٍ حَتَّى يُحَازِي لَبَّهَ

يقول: كان النبي ﷺ (أَشْعَرَ (الصَّدر)) يعني كثير شعر الصدر.

(دَقِيقَ الْمَسْرِبَةِ) قالوا: هي خط من الشعر، يصل ما بين السرة واللِّبَّة.

واللِّبَّة: هي بداية النحر، فكان يوجد خط دقيق من الشعر من لبة النبي ﷺ حتى يصل إلى سُرَّته ﷺ؛ فكان (دَقِيقَ الْمَسْرِبَةِ) ﷺ.

قال:

١٢- وَكَانَ شَتْنًا كَفَّهُ وَالْقَدَمُ وَهُوَ الْغَلِيظُ قُوَّةً يَسْتَلْزِمُ

يقول: كان النبي ﷺ شتن الكف وشن القدم، وفَسَّر الشتن بأنه الغليظ القوي، يعني كان غليظ أصابع الكفين، القدمين مع أصابعهما، فكان غليظ الأصابع ﷺ.

وقالوا: إن شتن الكفين، وشن القدمين هذا يدل على القوة، إذا قبض يقبض بقوة ﷺ.

وقالوا: هذا لا يتعارض مع ما ورد من ليونة كف النبي ﷺ فالليونة تكون في الملمس، وملمس جلد النبي ﷺ فيه ليونة، لكن حجم الكف وحجم الأصابع فيه غِلْظ وقوة في القبض وقوة في البطش، لأن أنسأ ﷺ قال: صافحتُ رسول الله ﷺ قال: فما مسَّت يدي حريراً ولا ديباجاً ألين من كف رسول الله ﷺ؛ فليونة في الجلد لكن مع قوة وغِلْظ وكِبَر في حجم الكف واليدين والقدمين.

١٣- إِذَا مَشَى: كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ فِي صَبٍّ، مِنْ صُعْدٍ يَحُطُّ

١٤- إِذَا مَشَى: كَأَنَّمَا تَقَلَّعَا مِنْ صَخْرٍ، أَيْ قَوِيٍّ مَشِيٍّ مُسْرِعًا

هنا صفة مشي النبي ﷺ يقول: إذا مشى النبي ﷺ (كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ فِي صَبٍّ) يعني كأنما ينحدر من مكان عالٍ، ينزل إلى المكان الخفيض.

(مِنْ صُعْدٍ يَحُطُّ) يعني يحط من مكان عالٍ أو كأنه يهبط من مكان عال.

(إِذَا مَشَى: كَأَنَّمَا تَقَلَّعَا) يعني بعض الصحابة لما وصف مشي النبي ﷺ قال: يتقلع تقلعًا، قالوا: يعني كأنه يُخْرِجُ قدميه من صخر، يعني كأن القدم مغروسة في صخر وهو يُخْرِجُهَا من الصخر لقوة المشية.

وهذه الصفة في المشي فيها القوة والسرعة في مشية النبي ﷺ، كان يمشي مشية فيها قوة وفيها سرعة في المشي.

ووصف الصحابة أيضًا ﷺ أنهم كانوا يمشون مع النبي ﷺ فيجهدون أنفسهم للحاقه ﷺ وهو غير مكترث، يعني إذا مشوا مع النبي ﷺ يمشي مشيته العادية يعني هو ما يعتمد إسراعًا، لكن مشيته العادية هي في طبيعتها فيها سرعة وقوة، فالذي يريد أن يسير معه ﷺ يُجْهِدُ نَفْسَهُ حَتَّى يَلْحَقَهُ وهو غير مُكْتَرِثٍ ﷺ.

فيقول: (أَيْ قَوِيٍّ مَشِيٍّ مُسْرِعًا) يعني هذه الصفة في صفة مشية النبي ﷺ تفيد قوة مشيته وتفيد سرعة مشيته ﷺ.

١٥- يُقْبَلُ كُلُّهُ إِذَا مَا التَّفَتَا وَلَيْسَ يُلَوِي عُنُقًا تَلَفَّتَا

كان من صفات النبي ﷺ أنه إذا التفت التفت جميعًا ﷺ يعني بجميع بدنه و صدره،

لا يلتفت بعنقه، فإذا ناداه شخص من خلفه، وأراد أن يلتفت إليه يلتفت كله ﷺ لا يلوي عنقه، أو لا يلتفت برأسه أو عنقه، وإنما يلتفت جميعاً ﷺ ولا يخالف بعض جسده بعضاً.

- ١٦- كَأَنَّمَا عَرَقُهُ كَاللُّؤْلُؤِ أَي فِي الْبَيَاضِ وَالصَّفَا إِذَا رُئِيَ
 ١٧- تَجْمَعُهُ أُمُّ سُلَيْمٍ، تَجْعَلُهُ فِي طَيْبِهَا، فَهُوَ لَعْمَرِي أَفْضَلُهُ
 ١٨- يَقُولُ مَنْ يَنْعَتُهُ: «مَا قَبْلَهُ» أَوْ بَعْدَهُ رَأَيْتُ قَطُّ مِثْلَهُ»

فهنا يصف عرق النبي ﷺ فيقول: كان عرق النبي ﷺ كاللؤلؤ - أي في بياضه وصفائه -، يعني عرق النبي ﷺ إذا انحدر كأنه حبات اللؤلؤ في نقائها، وصفائها: يعني نقاء لونها، وبياضها ﷺ.

وكان عرقه ﷺ أطيب من المسك كما ورد في صحيح مسلم أن أم سليم ﷺ وأرضاها وهي أم أنس بن مالك خادم الرسول ﷺ كانت تجمع عرق النبي ﷺ وتجعله في قارورة؛ لتطيب به وورد هذا عن أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، أيضاً كن أحياناً يجمعن عرق النبي ﷺ ويجعلنه في قارورة.

وكان النبي ﷺ يعني خاصةً وقت نزول الوحي عليه يتفصد عرقاً كما جاء في «صحيح البخاري».. كان يعني من علامات نزول الوحي عليه - ﷺ - أنه إذا جاءه الوحي يتفصد جبينه عرقاً في الليلة الشديدة البرد، يتفصد عرقاً: يعني يصب العرق من جبينه ﷺ فكن يجمعن عرقه ﷺ ويجعلنه في قارورة يُتَطَيَّبُ به.

- ١٨- يَقُولُ مَنْ يَنْعَتُهُ: «مَا قَبْلَهُ» أَوْ بَعْدَهُ رَأَيْتُ قَطُّ مِثْلَهُ»

مَنْ نَعَتَ النَّبِيَّ ﷺ مِنَ الصَّحَابَةِ ﷺ، كُلُّ مَنْهُمْ يَقُولُ: مَا رَأَيْتُ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ

يعني في كمال الخلقة وكمال الخلق .

فجاء في الصحيحين عن البراء قال: «لم أر شيئاً أحسن منه» .

وكذلك جاء في الحديث عن إسحاق الهمداني قال: قلت لامرأة حجّت مع المصطفى
: شبهه لي، فقالت: كالقمر ليلة البدر، ولم أر قبله ولا بعده مثله .

وجاء هذا في أحاديث: أكثر من واحد ممّن وصف النبي يقول: ما رأيت قبله ولا
بعده مثله .

ذكر وصف أم معبد الخزاعية له ..

بعد أن ذكر عددًا من صفات النبي ﷺ التي اشترك فيها واصفون كثيرون أورد هنا حديثين من أشهر الأحاديث التي وردت في صفة النبي ﷺ: حديث أم معبد الخزاعية، وحديث هند بن أبي هالة.

وأم معبد وصفت النبي ﷺ لزوجها حين أخبرته بمروره بخيمتها:

١- تَقُولُ فِيهِ بِلِسَانٍ نَاعِتٍ: أَبْلَجُ وَجْهِ ظَاهِرُ الْوَضَاءَةِ

قالت: (أبلج الوجه): يعني مُشْرِق الوجه، نَبْر الوجه، وجهه أبلج، البلج: هو النور، والإشراق، والإضاءة، فتقول: أبلج الوجه يعني وجهه منير ومُضيء، وهذا المعنى أيضًا ورد في أحاديث أخرى، فبعض الصحابة وصف وجه النبي ﷺ قال: «كالقمر ليلة البدر»، وبعضهم قال: «إذا رأيته قلت: الشمس طالعة» ﷺ، فكان وجهه ﷺ كأنه الشمس وكأنه القمر في ليلة البدر.

وهنا أم معبد ﷺ تقول: كان أبلج الوجه يعني مُشْرِق الوجه منيرًا مضيئًا ﷺ.

(ظَاهِرُ الْوَضَاءَةِ) والوضاءة يعني الحُسن والجمال.

فتقول: كان أبلج الوجه ظاهر الوضاءة.

٢- الْخَلْقُ مِنْهُ لَمْ تَعْبُهُ مُجَلَّةٌ كَلَّا وَلَمْ تُزْرِ بِهِ مِنْ صَعْلَةٍ

فتقول: إن النبي ﷺ لم يوجد في بدنه ﷺ ما يُعاب به ﷺ، وليس فيه أي شيء من العيوب الخلقية.

فقلت: (لَمْ تَعِبْهُ تُجَلَّةٌ)، وقالوا: الثُّجَلَّةُ: هي عِظَمُ البطن مع استرخاء أسفله.
فالنبي ﷺ: (لَمْ تَعِبْهُ تُجَلَّةٌ) يعني ليس عظيم البطن، مسترخي أسفل البطن، فلم يكن كذلك ﷺ.

(وَلَمْ تُزِرْ بِهِ مِنْ صَعْلَةٍ) هذه أيضًا في وصف أم معبد، والصعلة: هي صِغَرُ حجم الرأس، فالنبي ﷺ كان عظيم الهامة، يعني كبير حجم الرأس ﷺ فالصعلة: هي صِغَرُ حجم الرأس.

فإذا هنا أم معبد تنفي عن النبي ﷺ أمرين؛ تنفي عنه الثُّجَلَّةُ التي هي عِظَمُ البطن مع استرخاء أسفله، وتنفي عنه الصعلة التي هي صِغَرُ حجم الرأس.

٣- أَدْعَجُ، وَالْأَهْدَابُ فِيهَا وَطْفٌ مِنْ طُولِهَا أَوْ غَطْفٌ أَوْ عَطْفٌ

تقول: كان النبي ﷺ (أَدْعَجُ) ومر بنا الدعج، وهو شدة سواد العينين، وقيل في تفسير آخر: شدة سواد العين مع شدة بياضه.

فتقول: كان النبي ﷺ (أَدْعَجَ) ﷺ.

(وَالْأَهْدَابُ فِيهَا وَطْفٌ) وفي رواية فيها (غَطْفٌ)، وفي رواية فيها (عَطْفٌ).

الأهداب: هي الأشفار، وهي شعر الجفن.

فتقول: (وَالْأَهْدَابُ فِيهَا وَطْفٌ مِنْ طُولِهَا) فالوطف بمعنى الطول، يعني الأهداب طويلة.

وفي رواية فيها (عَطْفٌ)، والغطف: أيضًا بمعنى الوطف، وهو أن يطول شعر الأجفان، ثم ينعطف، يعني أن الشعر طويل وفيه تقوس، شعر الجفن طويل وليس مستقيمًا هكذا، وإنما يجيء بتقوس من هنا، والشعر من أسفل أيضًا فيه تقوس وانشاء.

وَالْعَطْفُ: بمعناه، فالعطف: هو الطول مع الانعطاف.

فإذا كلها بمعنى واحد تقريباً، الوطف، أو الغطف، أو العطف؛ كلها تفيد طول شعر الأجفان أو الأهداب مع انعطافها أو ما فيها من الانحناء.

٤- وَالْجَيْدُ فِيهِ سَطَعٌ، وَسِيمٌ وَالصَّوْتُ فِيهِ صَحْلٌ، قَسِيمٌ

فتصف جيد النبي ﷺ، والجيد: وهو العنق، فتقول: في جيده سَطَعٌ، والسطع: هو طول العنق وارتفاعه، فتقول: كان النبي ﷺ في جيده سَطَعٌ يعني طول وارتفاع.

(وَسِيمٌ) يعني من صفاته الوسامة، الوسامة: وهي بمعنى الحسن، يقول: كان النبي ﷺ وسيماً وفي جيده سَطَعٌ.

قال: (وَالصَّوْتُ فِيهِ صَحْلٌ) تقول: وفي صوته صَحْلٌ، والصحل: فُسْرٌ بالبحه أو غَلَطُ الصوت، يعني الصوت الذي فيه غِلَظٌ أو فيه بحه خفيفة، تعطي الصوت حُسناً وجمالاً، فكان ﷺ أحسن الناس صوتاً، وورد حُسْنُ صوته ﷺ في أحاديث كثيرة، يصف الصحابة حُسْنَ صوت النبي ﷺ خاصةً حينما يتلو القرآن الكريم، حتى إنه ﷺ قال ﷺ: «ما أذن الله لشيء أذنه لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن» يعني نفسه ﷺ، وأذن: يعني أنصت واستمع، «ما أذن الله لشيء» يعني ما استمع الله ﷺ لشيء عَجَلَ «أذنه» كاستماعه ﷺ «لنبي حَسَنَ الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به» يعني نفسه ﷺ.

وقال جبير بن مطعم ﷺ قال: سمعتُ النبي ﷺ يقرأ سورة الطور، حتى إذا بلغ: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥] قال: كاد قلبي أن يطير من جمال صوت النبي ﷺ يعني وحُسْنِ صوته ﷺ.

فالصحل قالوا: هو قريب من الصهل، والصبهل: هو صوت الفرس، مثل صوت

صهيل الفرس يكون فيه بحة خفيفة، الصحل: بحة في الصوت مع قوة تُشبه الصهل وهو صوت الخيل.

(قَسِيمٌ) يعني كان النبي ﷺ قسيمًا، والقسامة بمعنى الحُسْن، القسيم بمعنى الحسن وتناسق تقسيم الأعضاء.

٥- كَثِيفٌ لِحْيَةٍ، أَزْجٌ، أَقْرَنُ أَخْلَاهُ مِنْ قُرْبٍ لَهُ وَأَحْسَنُ

٦- أَجْمَلُهُ مِنْ بُعْدٍ وَأَبْهَى يَعْلُوهُ إِذْ مَا يَتَكَلَّمُ الْبَهَا

يقول: (كَثِيفٌ لِحْيَةٍ، أَزْجٌ، أَقْرَنُ) كان كثيف اللحية ﷺ.

الأزج: هو مقوس الحاجبين مع طولهما، يعني طويل الحاجبين ﷺ، والحاجبان دقيقان وطويلان، ويمتدان إلى مؤخر العينين.

والأقرن: الموصول الحاجبين بعضهما ببعض، يعني الحاجبان متصلان أو ملتقيان في الوسط، وفي الحقيقة: موضوع القرن هو اقتران الحاجبين هنا، ووُصِفَ النبي ﷺ بعضهم قال: في حاجبيه قرن مثل أم معبد ﷺ، وبعضهم وصف أنه غير مقرون الحاجبين.

وهند بن أبي هالة ﷺ يستفاد من وصفه أنه مَنْ رَأَى النَّبِيَّ ﷺ مِنْ بَعِيدٍ يَحْسِبُ أَنْ حَاجِبِيهِ بَيْنَهُمَا قَرْنٌ، يعني الذي يراه من بعيد يحسب أن الحاجبين مقترنان يعني ملتقيين، لكن مَنْ دَنَا مِنْهُ ﷺ وتأمله وجد بينهما بلجًا، يعني عدم التقاء، لكن شيء يسير لَا يُرَى لِمَنْ لَمْ يَدَقِّقْ فِي النَّظَرِ إِلَيْهِ ﷺ.

فلذلك ليس هناك تعارض، ففي حاجبيه قرن يعني هذا ما يبدو لِمَنْ لَمْ يَدَقِّقْ فِي التَّأَمُّلِ، وأما مَنْ دَقَّقَ فِي التَّأَمُّلِ فَيَجِدُ بَيْنَهُمَا بَلَجًا يَسِيرًا، ليس التقاء تامًا، وإنما بينهما شيء يسير.

ثم تقول في صفة النبي ﷺ: إنه أحلى الناس من قُرب، وأجمل الناس من بُعد - ﷺ -
فحُسْن النبي ﷺ يعني سواء رُؤي من بعيد أو رُؤي من قريب ﷺ، فجماله وحُسنه
ﷺ في الحالتين؛ لأن بعض الناس ربما إذا رُؤي من بعيد مثلاً يبدو حُسنه في القُرب
ويختلف الأمر أو العكس، لكن النبي ﷺ كان حُسنه وجمال خلقته ﷺ يُدركه القريب
منه والبعيد عنه، ﷺ.

وتصف كلام النبي ﷺ فتقول: (يَعْلُوهُ إِذَا مَا يَتَكَلَّمُ الْبَهَاءُ) يعلوه البهاء إذا تكلم ﷺ،
ويعلوه الوقار إذا صمت ﷺ تقول: «كان النبي ﷺ أجمل الناس وأبهاء من بعيد،
وأحسنه وأحلاه من قريب، إن تكلم سما وعلاه البهاء، وإن صمت فعليه الوقار»،
فإذا إذا تكلم ﷺ يعلو كلامه البهاء والحُسن، وجمال الكلام الذي لا يريد سامعه أن
يسكت عنه ﷺ، وإذا صمت ﷺ فعليه الوقار، عليه الحلم والرزانة.

وقالت: (مَنْطِقُهُ كَخَرْزٍ تَحْدَرْتُ)، تقول أم معبد: «كان منطق خرزات نظم يتحدثون»
يعني: كأنه عقد وانفرط العقد والخرزات من الجواهر النفيسة والأحجار الكريمة،
كأن حبات العقد تنفرط، وتتساقط واحدة وراء الأخرى، فكلماته تخرج من فمه كأنها
حبات عقد، خرزات انفرطت من العقد وهي تتساقط واحدة تلو الأخرى، فتشبه حُسن
كلمات النبي ﷺ كأنها خرزات من العقد انفرطت.

٨- فَضْلُ الْكَلَامِ لَيْسَ فِيهِ هَذَرٌ حُلُو الْمَقَالِ مَا عَرَاهُ نَزْرٌ

كان النبي ﷺ (فَضْلُ الْكَلَامِ) يعني كلامه بَيِّن ظاهر يفصل بين الحق والباطل،
ويقطع النزاع، ويقول الكلمة التي تحسم الأمر.

(لَيْسَ فِيهِ هَذَرٌ) الهذر: هو الكلام الذي يَمِل سامعه، فكلام النبي ﷺ ليس فيه هذر
يعني ليس فيه كلام مما يمل سامعه، الكلام الذي لا فائدة فيه ويُسبب الملل للسامع.

وكان حُلُو المنطق، تقول أم معبد عليه السلام: «حلو المنطق، لا نزر ولا هذر»؛ يعني ليس كلامه بالقليل الذي لا يُفهم، ولا هو بالكثير الذي يُمل.

(مَا عَرَاهُ نَزْرُ) النزر: هو القلة، يعني لا كلامه بالنزر وهو القليل قِلَّة لا يُفهم معها مقصده وماذا يريد، فليس كلامه بالقصير قَصْرًا مُخِلًّا لا تفهم معه ماذا يريد، ولا هو بالطويل طولًا مملًا يعني زيادة عن الحاجة، وإنما كلامه عليه السلام بقدر تحصل الحاجة والفائدة.

وهذا كان من خصائص النبي عليه السلام أنه قال: «واختصر لي الكلام اختصارًا»، وقال: «أعطيت جوامع الكلم» عليه السلام.

«أعطيت جوامع الكلم» يعني الكلمات القليلة التي تجمع المعاني الكثيرة، فيتكلم النبي عليه السلام في الأمر فيجمع المعاني الكثيرة في الكلمات القليلة، واختصر له الكلام اختصارًا عليه السلام بحيث يستطيع أن يُعبر عن المعاني الكثيرة في الألفاظ المختصرة الوجيزة المُفهِمة التي يحصل بها المقصود ويتم بها النفع.

٩- لَا بَائِنَ طَوْلًا وَلَا يَقْتَحِمُ مِنْ قِصَرٍ فَهُوَ عَلَيْهِمْ يَعْظُمُ

١٠- بِنَضْرَةِ الْمَنْظَرِ وَالْمَقْدَارِ تَحْقُقه الرِّقَّةُ بِائْتِمَارِ

١١- إِنْ أَمِرُوا: تَبَادَرُوا امْتِثَالًا أَوْ قَالَ قَوْلًا: أَنْصَتُوا إِجْلَالًا

فتقول: إن النبي عليه السلام ليس بالطويل البائن ولا تقترحه عين من قِصر يعني لا هو طويل طولًا بائنًا، ولا هو قصير عليه السلام قِصرًا مفرطًا، وإنما كان عليه السلام معتدل الطول.

(فَهُوَ عَلَيْهِمْ يَعْظُمُ بِنَضْرَةِ الْمَنْظَرِ) يعني كان أنضر الناس منظرًا ومُفضلاً على جلسائه، ومن حوله بجمال منظره عليه السلام.

(تَحْفَهُ الرَّفْقَةُ) يعني تحيط به الرفقة، المرافقون للنبي ﷺ يحفون به يعني يحيطون به ﷺ .

(بِائْتِمَارٍ) يعني بأمره ﷺ .

(إِنْ أَمُرُوا: تَبَادَرُوا امْتِثَالًا) يعني إذا أمرهم بشيء تبادروا امتثالاً له ﷺ .

(أَوْ قَالَ قَوْلًا: أَنْصَتُوا إِجْلَالًا) إذا قال ﷺ قولاً أنصتوا إجلالاً لقوله، إذا تكلم أنصتوا واستمعوا إليه ﷺ مُجَلِّين له لا يقاطعونه في الكلام، ولا ينشغلون عن حديثه بشيء، وإنما ينصتون له ﷺ إذا تكلم، وإذا أمرهم بأمر بادروا إلى امتثال أمره ﷺ .

١٢- فَهُوَ لَدَى أَصْحَابِهِ مُحْفُودٌ أَي يُسْرِعُونَ طَاعَةً، مُحْشُودٌ

فتقول: في صفة النبي ﷺ تقول: محفود محشود، تصف أم معبد النبي ﷺ تقول: محفود محشود، فما معنى محفود؟

قال: يُسْرِعُونَ طَاعَةً، يعني أصحابه يُسْرِعُونَ في طاعته ﷺ .

محشود: يعني يجتمع الناس حوله، دائماً حوله حشد، الناس يجتمعون حوله ينتظرون أمره، ويتسمعون لقوله ﷺ .

١٣- لَيْسَ بِعَابِسٍ وَلَا مُفْنِدٍ بِذَلِكَ عَرَفَتْهُ «أُمُّ مَعْبَدٍ»

فمما جاء أيضاً في وصف أم معبد للنبي ﷺ (لَيْسَ بِعَابِسٍ) عبوس الوجه: هو إبداء الضجر والضيق، فالعابس هو: الذي يُظْهِرُ الكراهية والضيق من لقاء مَنْ حوله، فلم يكن ﷺ عابس الوجه، بل بالعكس من هذا - كان ﷺ - كما قال جرير ﷺ: ما رأيي النبي ﷺ قط إلا تبسم.

(وَلَا مُفْنِدٍ) المفند: هو الذي لا فائدة من كلامه، كما قال يعقوب ﷺ ﴿إِنِّي لَأَجِدُ

رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ [يوسف: ٩٤] فتفندون: أي: تقولون: إنه أصابه الخرف؛
لكِبَرِ سِنِّهِ وَضَعْفِ عَقْلِهِ، فالنبي ﷺ لم يكن بالمفند وإنما كلامه ﷺ الكلام الذي فيه
رجاحة العقل، ويشهد له برجاجة العقل ﷺ.

(بِذَاكَ عَرَّفْتَهُ «أُمُّ مَعْبِدٍ») يعني أم معبد عرّفت النبي ﷺ بهذا التعريف ووصفته بهذا
الوصف.

باب ذِكْرِ وَصْفِ هَنْدِ بْنِ أَبِي هَالَةَ لَهُ ﷺ.

وهو هند بن أبي هالة التميمي الأسدي، أمه هي أم المؤمنين خديجة ﷺ وأرضاها؛ لأن أبا هالة التميمي الأسدي هذا كان الزوج السابق لأم المؤمنين خديجة ﷺ قبل أن يتزوجها رسول الله ﷺ.

فهند بن أبي هالة ﷺ ربيب المصطفى ﷺ.

والريب: هو ابن الزوجة.

وكان وصافاً، يعني كان مشهوراً بحُسن الوصف، يعني: يتأمل الموصوف ويصفه وصفاً دقيقاً.

فيقول الناظم رحمه الله:

١- وَابْنُ أَبِي هَالَةَ زَادَ لَمَّا وَصَفَهُ: مُفَخَّمًا وَفَخَمًا

يقول: (وَابْنُ أَبِي هَالَةَ زَادَ لَمَّا) يعني زاد في صفات النبي ﷺ لما وصفه ﷺ زاد في وصفه عما وصفه الواصفون، يعني تدقيقاً في الوصف يعني وتوضيحاً وتبييناً.

فقال: كان ﷺ فخمًا مُفَخَّمًا ﷺ؛ كان فخمًا يعني عظيمًا، مفخمًا يعني مُعَظَّمًا في صدور الناس، ومُعَظَّمًا في أعينهم، فيقول: كان النبي ﷺ فخمًا مُفَخَّمًا يعني كان عظيمًا مُعَظَّمًا ﷺ.

٢- لَوَجْهِهِ تَلَأُلُوْ كَالْبَدْرِ مُعْتَدِلُ الْخَلْقِ، عَرِيضُ الصَّدْرِ

يقول: (لَوَجْهِهِ تَلَأُلُوْ كَالْبَدْرِ) يقول: كان وجهه ﷺ يتلألأ كالبدْر يعني كالقمر ليلة

البدر، كما ورد أن النبي ﷺ كان ظاهر الوضوء، كان أبلغ الوجه، كان وجهه منيرًا مشرقًا مضيئًا ﷺ، فالتلألؤ بمعنى الإضاءة، والإنارة، والإشراق ﷺ.

(مُعْتَدِلُ الْخَلْقِ) يعني كان النبي ﷺ معتدل الخلق، يعني لا هو بالطويل المفرط، ولا القصير يعني القصر المفرط، ولا هو بالسمين سمناً مفرطاً، ولا هو بال نحيف النحافة المفرطة، فكان معتدل الخلق ﷺ.

(عَرِيضُ الصَّدْرِ) كان النبي ﷺ عريض الصدر، هو كما جاء في صفته: (بعيد ما بين المنكبين)، فهذا يُفسَّرُ قوله هنا: (عَرِيضُ الصَّدْرِ) ﷺ.

٣- عَظِيمُ هَامٍ، وَاسِعُ الْجَبِينِ فَمٌ ضَلِيعٌ، أَقْنَأُ الْعَرْنَيْنِ

أي: كان النبي ﷺ (عَظِيمُ هَامٍ) يعني حجم الرأس، الهامة: هي الرأس، كان عظيم الرأس ﷺ، وهذا يؤكد وصف أم معبد، قالت: (لم تزر به صعلة) وهي صِغَرُ الرأس، فهنا هند بن أبي هالة يقول: كان عظيم الهام ﷺ.

(وَاسِعُ الْجَبِينِ) يعني جبينه ﷺ واسع يعني ممتد طويل عريض لعِظَمِ رأسه ﷺ، فالجبين واسع يعني ممتد وطويل وعريض.

(فَمٌ ضَلِيعٌ) يقول: كان ضليع الفم ﷺ ومعنى ضليع الفم: يعني واسع الفم، عظيم الفم، وهذا كان مما يُمدَحُ في صفة الرجل أن يكون عظيم الفم؛ لما يؤدي به إلى الفصاحة والبيان وحُسن إخراج الحروف من مخارجها، وتبيين الكلام.

(أَقْنَأُ الْعَرْنَيْنِ) العرنين: هو ما صُلب من عظم الأنف، وأقنأ: أقنى: مرتفع الأعلى، مُحَدُودٌ بَ الوَسط، يعني فيه انحناء في وسطه، انحناء معتدل من غير إفراط.

٤- يَعْلُوهُ نُورٌ، مَنْ رَأَاهُ إِذَا مَا لَمْ يَتَأَمَّلْ: ظَنَّهُ أَشَمًّا

يقول هند بن أبي هالة عليه السلام في صفة النبي ﷺ: له نور يعلوه، يعني الذي ينظر إليه يشعر أن وجهه منير، يُشرق، وينبعث منه النور والضياء ﷺ.

ويقول: يحسبه مَنْ لَمْ يَتَأَمَّلْهُ أَشَمًّا.

والشمم: هو ارتفاع قصبه الأنف.

فيقول: الذي لَمْ يَتَأَمَّلْهُ يحسبه أَشَمًّا.

٥- مُفَلَّجُ الْأَسْنَانِ، سَهْلُ الْخَدِّ أَشْنَبُ، بَادِنٌ، طَوِيلُ الزَّنْدِ

يقول: (مُفَلَّجُ الْأَسْنَانِ) الفلج: هو وجود فُرْجة بين الثنايا، وهي الأسنان الأمامية، بها فلج يعني فُرْجة بين الشنيتين الأماميتين، الثنايا العليا والثنايا السفلى، فيكون بين الشنيتين فرجة، فهذا يقال له: الفلج، وهو أيضًا من الصفات المستحسنة.

(سَهْلُ الْخَدِّ) ﷺ يعني غير مرتفع الوجنتين، يعني خد النبي ﷺ ليس فيه ارتفاع في الوجنتين يعني ليس فيهما بروز أو ارتفاع.

قال: (أَشْنَبُ) والشنب: هو بياض الأسنان، الشنب ليس المقصود به الشعر الذي فوق الشفة العليا، يقال: فلان أشنب يعني أبيض الأسنان، فكان ﷺ أشنب يعني أبيض الأسنان.

(بَادِنٌ): ضخم البدن، وهذه الصفة تُفْهَم في ضوء ما تقدم، أن النبي ﷺ لم يكن مسترخي البطن، ولا كان طويلًا طويلًا بائنًا، فإذا البادن هنا بمعنى: عريض الصدر، بعيد ما بين المنكبين، شثن الكفين، وكما ورد في صفته أيضًا ﷺ: أنه عظيم المشاش - المُشاش: رؤوس العظام - ﷺ.

فهذا معنى (بَادِنٌ)، هذا معنى كون النبي ﷺ بادنًا يعني عظيم البدن لكن من غير سمته ولا استرخاء في البطن.

قال: (طَوِيلُ الزَّئِدِ) والزند: هو لحم الذراع، فكان النبي ﷺ طويل الذراع ﷺ أو بعبارة أخرى: موصل طرف الذراع في الكف.

٦- عَنْقُهُ يُرَى كَجِيدِ الدُّمِيَّةِ مَعَ صَفَاءِ لَوْنِهِ كَالْفِضَّةِ

عنق النبي ﷺ يُرَى كجيد الدمية، والدمية: بمعنى الصورة المجسمة من الرخام أو العاج، فعنق النبي ﷺ يُرَى كجيد الدمية يعني كجيد التمثال المصنوع من العاج أو من الرخام في حُسْنِهِ وَصَفَاءِ لَوْنِهِ، مع صفاء لونه كالفضة، فيقول: كان عنق النبي ﷺ كالفضة الصافية.

٧- أَرْجُ فِي غَيْرِ قَرْنٍ، إِذَا غَضِبَ بَيْنَهُمَا عِرْقٌ يُدِرُّهُ الْغَضَبُ

يقول: (أَرْجُ فِي غَيْرِ قَرْنٍ) أَرَجَ الْحَاجِبِينَ ﷺ في غير قرن: يعني من غير التقاء بينهما، فإذا الذين وصفوا بأنه كان مقرون الحاجبين فهذا كما قلنا: لِمَنْ يراه من بعيد، لكن الذي يدق في حاجبي النبي ﷺ يجد أنهما كادا يقترنان لكن ليس بينهما اقتران.

يقول: بين حاجبي النبي ﷺ (عِرْقٌ يُدِرُّهُ الْغَضَبُ) يعني عند مكان التقاء الحاجبين عرق إذا غضب النبي ﷺ ظهر هذا العرق وتحرك وبدا.

وكان النبي ﷺ يظهر عليه الغضب ويظهر عليه البُشْرُ والسُرور ﷺ فكان الصحابة ﷺ يعرفون من ملامح وجهه ﷺ إذا سرَّه الشيء أو إذا أغضبه، وكان يغضب الله ﷺ لا لنفسه ﷺ فكان النبي ﷺ إذا سُرَّ تَلَأَّ وجهه أو تنوَّرَ وجهه، يقولون: فتنوَّرَ وجه رسول الله ﷺ أو فتلأَّ وجه رسول الله ﷺ.

وإذا كره الشيء أو غضب ﷺ يعرف الغضب في وجهه ﷺ.

«فَعَنِ الْمُنْذِرِ بْنِ جَرِيرٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي صَدْرِ النَّهَارِ، قَالَ: فَجَاءَهُ قَوْمٌ حُفَاةٌ عُرَاةٌ مُجْتَابِي النَّمَارِ أَوْ الْعَبَاءِ، مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ، عَامَتُهُمْ مِنْ مُضَرَ، بَلَّ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرَ فْتَمَعَرَّ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِمَا رَأَى بِهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ، فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ، فَأَمَرَ بِأَلَا فَأَذَنٍ وَأَقَامَ، فَصَلَّى ثُمَّ خَطَبَ فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ وَالْآيَةِ الَّتِي فِي الْحَشْرِ: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ «تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ، مِنْ دِرْهَمِهِ، مِنْ ثَوْبِهِ، مِنْ صَاعِ بُرٍّ، مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ - حَتَّى قَالَ - وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ» قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا، بَلَّ قَدْ عَجَزَتْ، قَالَ: ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ، حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ، حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَتَهَلَّلُ، كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ زُرُّهَا وَوزُرُّ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ» [١]

فالشاهد أن النبي ﷺ كان يبدو على وجهه ﷺ الرضا والبشر إذا سرَّ، ويبدو على وجهه الغضب إذا تأذى من شيء ﷺ.

٨- وَسَائِلُ الْأَطْرَافِ، رَحْبُ الرَّاحَةِ ضَحْمُ الْكَرَادِيْسِ، ذَرِيعُ الْمِشْيَةِ

يقول: كان النبي ﷺ سائل الأطراف، معنى سائل الأطراف: ممتد الأصابع بلا احديداب ولا تعقّد، ولا تكسّر جلد، فكان النبي ﷺ سائل الأطراف، يعني: أصابعه طويلة ممتدة، ليس فيها احديداب ولا فيها انقباض.

(رَحْبُ الرَّاحَةِ) رحب: يعني فسيح واسع، راحة الكف: هي بطن الكف، فكان النبي ﷺ رحب الراحة، واسع الكف فسيحه، وقالوا هذه الصفة المقصود بها هنا الصفة الخلقية، لكنها أيضًا يُكنى بها عن الكرم والجود، يقال: فلان رحب الراحة يعني هذه الصفة وإن كانت صفة خلقية لكن يُكنى بها عن الجود والكرم، فكان النبي ﷺ رحب الراحة حسًا ومعنى، يعني: من جهة الصفة الخلقية ومن جهة أيضًا الكرم.

كان (ضَخَمَ الْكَرَادِيسَ) ﷺ والكراديس: هي رؤوس العظام، وهي مكان التقاء العظم مع العظم الآخر.

(ذَرِيعُ الْمَشْيَةِ) يعني سريع المشية واسع الخطوة، الذريع: الذي خطوته تكون واسعة في غير تكلف، كما مر بنا أن النبي ﷺ كان إذا مشى ﷺ كأنه منحدر من صلب، يُجهد مَنْ معه نفسه حتى يُدركه وهو غير مكترث ﷺ فيكون مُسرعًا في المشية من غير تكلف أو تعمّد للإسراع.

ذِكْرُ أَخْلَاقِهِ الشَّرِيفَةِ ﷺ.

الأخلاق: جُمع خُلُق، والخُلُق: فُسِّرَ بأنه الصورة الباطنة للإنسان يعني أوصاف النفس، أوصاف الروح والنفس، فما سبق كان الكلام عن الخُلُق: وهو الصورة الظاهرة للإنسان، الأوصاف الحسية الظاهرة، والآن الحديث عن الخُلُق وهو الأوصاف الباطنة المتعلقة بهيئة القلب وهيئة النفس والروح وصورته.

يقول:

١- أَكْرَمَ بِهِ خُلُقُهُ الْقُرْآنُ فَهُوَ لَدَى غَضَبِهِ غَضَبَانُ

٢- يَرْضَى بِمَا يَرْضَاهُ، لَيْسَ يَغْضَبُ لِنَفْسِهِ، إِلَّا إِذَا تُرْتَكَبُ:

٣- حَرَامُ اللَّهِ إِذَا فَيَنْتَقِمُ فَأَحَدُ لِدَاكَ أَصْلًا لَمْ يَقُمْ

فيقول: أَكْرَمَ بالنبي ﷺ هذه صيغة تعجب: يعني أَكْرَمَ بخلقه يعني ما أَكْرَمَ خلق النبي ﷺ، كان خلقه أَكْرَمَ الأخلاق ﷺ.

(خُلُقُهُ الْقُرْآنُ) خلقه القرآن ﷺ كما وصفته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «كان خلقه القرآن».

وهنا فُسِّرَ المؤلف معنى (خُلُقُهُ الْقُرْآنُ) فقال: فهو يغضب لما يُغْضِبُ الله ﷻ مُنْزَلُ القرآن، فهو يغضب لما يُغْضِبُ الله ﷻ مما ذكر الله في القرآن أنه يُغْضِبُ الله تعالى.

و(يَرْضَى بِمَا يَرْضَاهُ) يرضى بما أخبرنا الله ﷻ أنه يرضاه في القرآن الكريم.

فمعنى (خُلُقُهُ الْقُرْآنُ) يعني أن كل ما أمر الله ﷻ به وبين لنا أنه يحبه ويرضاه ﷻ من

الأخلاق في كتابه الكريم فكان النبي ﷺ أعظم الناس اتصافاً به، أكمل الناس اتصافاً به. وكل خلق نهانا الله ﷻ عنه في القرآن الكريم وبين ﷻ أنه مما يُغضبه فكان النبي ﷺ أبعد الناس عن هذه الأمور التي أخبرنا الله ﷻ في كتابه أنها مما يُغضب الله تعالى ولا يُرضيه.

ثم ذكر من صفة النبي ﷺ أنه كان لا يغضب لنفسه ﷻ (لَيْسَ يَغْضَبُ لِنَفْسِهِ) فكثيراً ما أودى النبي ﷺ وكان يعفو عمن آذاه ﷻ يعني في نفسه. في مواقف كثيرة: لما جاء ملك الجبال وقال: لو شئت أطبقت عليه الأخشين، وكان أهل مكة قد آذوا النبي ﷺ وأهل الطائف رجموه بالحجارة ﷻ حتى جرحوا قدميه ﷻ، ومع ذلك قال: «أرجو أن يُخرج الله من أصلاهم مَنْ يُعبد الله» وعفا عنهم ﷻ.

ثم لما فتح مكة - كما سيأتينا إن شاء الله - قال لقريش: «ما تظنون أني فاعل بكم؟» قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم، قال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء» مع أنهم آذوه ﷻ، وآذوا أصحابه ﷻ، ومع ذلك عفا عنهم النبي ﷺ وهو قادر عليهم.

فكان لا يغضب لنفسه ﷻ، وهذا من كمال خلقه ﷻ، ولكن إذا انتهكت محارم الله ﷻ لم يقم لغضبه أحد، يقول: (فَأَحَدُ لِدَاكَ أَصْلًا لَمْ يَقُمْ) يعني فينتقم الله ﷻ ولا يقوم أحد لغضب النبي ﷻ.

فجاء: أنه إذا انتهكت حُرمة الله كان أشد الناس غضباً لله ﷻ وهذا من تعظيمه لله ﷻ ولأمره ﷻ.

٤- بَعَثَهُ الرَّحْمَنُ بِالْإِرْفَاقِ كَيْمَا يُتِمَّ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ

(بَعَثَهُ الرَّحْمَنُ بِالْإِرْفَاقِ) يعني بعثه الله ﷻ بالرفق فكان النبي ﷺ يحث على الرفق،

وقال ﷺ: «ما كان الرفق في شيء إلا زانه، ولا نُزِع الرفق من شيء إلا شانه» وقال ﷺ: «إن الله رفيق يحب الرفق»، وقال ﷺ: «إذا أراد الله بأهل بيت خيراً أدخل عليهم الرفق» تصبح المعاملات بين أهل البيت برفق، ليس فيها شجار ولا نزاع ولا شقاق، وإنما الأمور تتم برفق يعني بيسر وسهولة وتسامح من الناس، فكان النبي ﷺ يحب الرفق ويوصي به، والله ﷻ بعثه بالرفق.

(كَيْمَا يَتِمَّ صَالِحِ الْأَخْلَاقِ) يقول ﷺ: «إنما بُعثْتُ لأتمم صالح الأخلاق»، وفي رواية: «لأتمم مكارم الأخلاق»؛ قالوا: معنى هذا أنه كانت توجد بعض الأخلاق الحسنة عند العرب في الجاهلية فما كان عندهم من أخلاق حسنة أقرهم النبي ﷺ عليها، وجاء ليُتممها ويكملها ﷺ وما كان عندهم من أخلاق ذميمة جاء لتحذيرهم منها ونهيهم عنها ﷺ.

٥- أَشْجَعَهُمْ فِي مَوْطِنٍ وَأَنْجَدَا وَأَجُودَ النَّاسِ بَنَانًا وَيَدَا

٦- مَا سَيْلَ قَطٍّ حَاجَةً فَقَالَ: «لَا» وَلَيْسَ يَأْوِي مَنْزِلًا إِنْ فَضَلَا

٧- مِمَّا أَتَى دِرْهَمٌ أَوْ دِينَارٌ حَتَّى تُرِيحَ مِنْهُمَا الْأَقْدَارُ

يقول: (أَشْجَعَهُمْ فِي مَوْطِنٍ) كان النبي ﷺ أشجع الناس، وأنجد الناس من النجدة: وهي إغاثة الملهوف ونصرة المظلوم، فكان أشجع الناس وأنجد الناس، أنجد الناس: يعني أكثر الناس نجدةً، ومساعدةً لِمَنْ استنجد به يطلب مساعدته في دفع ظلم عنه وفي نصرته، فحتى قبل بعثة النبي ﷺ كان النبي ﷺ كان مَمَّنْ شهد حلفاً في الجاهلية في دار ابن جدعان، يسمى حلف الفضول، «وَكَانَ حِلْفُ الْفُضُولِ أَكْرَمَ حِلْفٍ سُمِعَ بِهِ وَأَشْرَفُهُ فِي الْعَرَبِ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ تَكَلَّمَ بِهِ وَدَعَا إِلَيْهِ: الرَّبِيزُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ.

وَكَانَ سَبَبُهُ أَنَّ رَجُلًا مِنْ زُبَيْدٍ قَدِمَ مَكَّةَ بِبِضَاعَةٍ فَاشْتَرَاهَا مِنْهُ الْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ فَحَبَسَ عَنْهُ حَقَّهُ، فَاسْتَعْدَى عَلَيْهِ الزُّبَيْدِيُّ الْأَخْلَافَ: عَبْدَ الدَّارِ، وَمَخْزُومًا، وَجَمَحًا وَسَهْمًا وَعَدِيَّ بْنَ كَعْبٍ، فَأَبَوْا أَنْ يُعِينُوا عَلَى الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ وَزَبْرُوهُ - أَيِ انْتَهَرُوهُ - فَلَمَّا رَأَى الزُّبَيْدِيُّ الشَّرَّ أَوْفَى عَلَى أَبِي قُبَيْسٍ عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَقَرِئْتُ فِي أُنْدِيَّتِهِمْ حَوْلَ الْكَعْبَةِ، فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ:

يَا آلَ فَهْرٍ لِمَ ظَلُمَ بِضَاعَتُهُ بِيْطْنِ مَكَّةَ نَائِي الدَّارِ وَالنَّفَرِ
وَمُحْرِمٍ أَشْعَثَ لَمْ يَقْضِ عُمَرَتُهُ يَا لِلرَّجَالِ وَبَيْنَ الْحَجْرِ وَالْحَجَرِ
إِنَّ الْحَرَامَ لِمَنْ تَمَّتْ كَرَامَتُهُ وَلَا حَرَامَ لِثَوْبِ الْفَاجِرِ الْغَدْرِ
فَقَامَ فِي ذَلِكَ الزُّبَيْرُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَقَالَ: مَا لِهَذَا مَتْرُكٌ.

فَاجْتَمَعَتْ هَاشِمٌ وَزُهْرَةُ وَتَيْمٌ بْنُ مُرَّةٍ فِي دَارِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُدْعَانَ، فَصَنَعَ لَهُمْ طَعَامًا، وَتَحَالَفُوا فِي ذِي الْقَعْدَةِ فِي شَهْرِ حَرَامٍ، فَتَعَاهَدُوا بِاللَّهِ لَيْكُونَنَّ يَدًا وَاحِدَةً مَعَ الْمُظْلُومِ عَلَى الظَّالِمِ حَتَّى يُؤَدِّيَ إِلَيْهِ حَقُّهُ مَا بَلَّ بِحَرِّ صُوفَةٍ، وَمَا رَسَا نَبِيرٌ وَحِرَاءٌ مَكَانَهُمَا، وَعَلَى النَّاسِي فِي الْمَعَاشِ.

فَسَمَّتْ قُرَيْشٌ ذَلِكَ الْحَلْفَ حَلْفَ الْفُضُولِ، وَقَالُوا: لَقَدْ دَخَلَ هَؤُلَاءِ فِي فَضْلِ مِنَ الْأَمْرِ.

ثُمَّ مَشَوْا إِلَى الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ فَانْتَزَعُوا مِنْهُ سَامَةَ الزُّبَيْدِيِّ فَدَفَعُوهَا إِلَيْهِ. [١٨]
فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْجَدَ النَّاسَ وَأَشْجَعَ النَّاسِ.

ومن شجاعة النبي ﷺ: أنهم كانوا إذا حمي الوطيس يحتمون بالنبي ﷺ في المعارك والغزوات، وكان يشهد النبي ﷺ الغزوات بنفسه ﷺ وخرج بنفسه الشريفة في سبع وعشرين غزوة، يقاتل في سبيل الله، خروجه للغزوة هذا من الشجاعة.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَشْجَعَ النَّاسِ».

وَلَقَدْ فَرَعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَانْطَلَقَ نَاسٌ قَبْلَ الصَّوْتِ، فَتَلَقَّاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَاجِعًا، وَقَدْ سَبَقَهُمْ إِلَى الصَّوْتِ، وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرِّي، فِي عُنُقِهِ السَّيْفُ وَهُوَ يَقُولُ: «لَمْ تُرَاعُوا، لَمْ تُرَاعُوا» قَالَ: «وَجَدْنَاهُ بَحْرًا، أَوْ إِنَّهُ لَبَحْرٌ» قَالَ: وَكَانَ فَرَسًا يُبْطَأُ. [١]

فهنا النبي ﷺ عرض نفسه ﷺ لمخاطرة.. لكن لشجاعته ﷺ وإقدامه كان أول مَنْ ذهب يستطلع هذا الخبر بنفسه ﷺ.

يقول: (وَأَجْوَدَ النَّاسِ بَنَانًا وَيَدًا) (أَجْوَدَ النَّاسِ بَنَانًا) البنان هو الإصبع، وأجود الناس يدًا: يعني أكرمهم، فيُكنى باليد عن الكرم والسخاء؛ لأن اليد هي آلة الإنفاق.

قال: (مَا سِئَلَ قَطُّ حَاجَةً فَقَالَ: «لَا») ما سئل: ما سُئِلَ، قال: (مَا سِئَلَ قَطُّ حَاجَةً فَقَالَ: «لَا»)، يعني من كرم النبي ﷺ أنه ما سُئِلَ قط حاجة فقال: لا، ﷺ كان لا يقول: (لا) قط ﷺ لسائل.

وإذا سئل شيئًا، ولم يكن عنده وعد السائل خيرًا.

وقد توفي النبي ﷺ وبقيت بعض الوعود التي وعدها النبي ﷺ لبعض الناس، وتوفي

قبل إنجازها ﷺ، فلما ولي أبو بكر الخلافة ﷺ نادى في الناس وقال: مَنْ كانت له عِدَّة عند رسول الله ﷺ فليأتني، أي شخص وعده النبي ﷺ أن يعطيه شيئاً فليأتني.

فلم يأت أحد يزعم أن رسول الله ﷺ وعده بشيء إلا أعطاه إياه، وكان ممن جاء إلى أبي بكر ﷺ جابر ﷺ فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَوْ قَدْ جَاءَ مَالُ الْبَحْرَيْنِ قَدْ أُعْطِيَكَ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا»، فَلَمْ يَجِئْ مَالُ الْبَحْرَيْنِ حَتَّى قُبِضَ النَّبِيُّ ﷺ فَلَمَّا جَاءَ مَالُ الْبَحْرَيْنِ أَمَرَ أَبُو بَكْرٍ فَتَادَى: مَنْ كَانَ لَهُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ عِدَّةٌ أَوْ دَيْنٌ، فُلْيَاتِنَا، فَاتَيْنَهُ فَقُلْتُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِي: كَذَا وَكَذَا، فَحَثَا لِي حَشِيَّةً، فَعَدَدْتُهَا، فَإِذَا هِيَ خَمْسُ مِائَةٍ، وَقَالَ: خُذْ مِثْلَيْهَا. [١]

وَعَنْ سَهْلٍ ﷺ: «أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ النَّبِيَّ ﷺ بِبُرْدَةٍ مَنْسُوجَةٍ، فِيهَا حَاشِيَتُهَا»، أَتَدْرُونَ مَا الْبُرْدَةُ؟ قَالُوا: الشَّمْلَةُ، قَالَ: نَعَمْ، قَالَتْ: نَسَجْتُهَا بِيَدِي فَحِثْتُ لِأَكْسُو كَهَا، «فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ ﷺ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، فَخَرَجَ إِلَيْنَا وَإِنَّهَا إِزَارُهُ»، فَحَسَنَهَا فُلَانٌ، فَقَالَ: اكْسِينَهَا، مَا أَحْسَنَهَا! قَالَ الْقَوْمُ: مَا أَحْسَنَتْ، لَبِسَهَا النَّبِيُّ ﷺ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، ثُمَّ سَأَلْتُهُ، وَعَلِمْتُ أَنَّهُ لَا يَرُدُّ، قَالَ: إِنِّي وَاللَّهِ، مَا سَأَلْتُهُ لِأَلْبَسَهُ، إِنَّمَا سَأَلْتُهُ لِتَكُونَ كَفَنِي، قَالَ سَهْلٌ: فَكَانَتْ كَفَنُهُ. [٢]

٦- وَلَيْسَ يَأْوِي مَنْزِلًا إِنْ فَضَلَا

٧- مِمَّا أَتَى دِرْهَمٌ أَوْ دِينَارٌ حَتَّى تُرِيحَ مِنْهُمَا الْأَقْدَارُ

يقول: إذا جاءت أموال الصدقات، والغنائم إلى النبي ﷺ، لا يستريح، ولا يأوي إلى منزل حتى يُفَرَّقَ هذه الأموال، (حَتَّى تُرِيحَ مِنْهُمَا الْأَقْدَارُ) يعني حتى يستريح النبي

[١] صحيح البخاري ٢٢٩٧.

[٢] صحيح البخاري ١٢٧٧.

بقدر الله ﷺ من هذه الدراهم والدنانير فكانت تورقه ﷺ، لا يستريح حتى يُفَرِّقها ولا يبقى عنده شيء منها.

وجاء هذا في صحيح البخاري «عَنْ عُقْبَةَ، قَالَ: صَلَّيْتُ وَرَاءَ النَّبِيِّ ﷺ بِالْمَدِينَةِ الْعَصْرِ، فَسَلَّمْتُ، ثُمَّ قَامَ مُسْرِعًا، فَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ إِلَى بَعْضِ حُجَرِ نِسَائِهِ، فَفَزَعَ النَّاسُ مِنْ سُرْعَتِهِ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ، فَرَأَى أَنَّهُمْ عَجِبُوا مِنْ سُرْعَتِهِ، فَقَالَ: «ذَكَرْتُ شَيْئًا مِنْ تَبَرُّ عِنْدَنَا، فَكَرِهْتُ أَنْ يَحْبِسَنِي، فَأَمَرْتُ بِقِسْمَتِهِ» [١]

فقالوا: هذا لا يُخِلُّ بالخشوع في الصلاة؛ لأنه تفكَّر في الخير، الذي يُخِلُّ بالخشوع هو التفكير في أمور الدنيا، لكن النبي ﷺ فكَّر في أمر تفريق الصدقات، وكان مشغول البال في الصلاة بصدقات يريد أن يُفَرِّقها فقالوا: هذا لا يُخِلُّ بالخشوع في الصلاة.

فقال: «ذَكَرْتُ شَيْئًا مِنْ تَبَرُّ فِي الصَّلَاةِ فَكَرِهْتُ أَنْ يَحْبِسَنِي» فذهب النبي ﷺ فَاتَى بِهِ وَفَرَّقَهُ ﷺ.

٨- أَصْدَقُ لَهْجَةٍ، وَأَوْفَى ذِمَّةً أَلْيَهُمْ عَرِيكَهً فِي الْأَمَّةِ

يقول: كان ﷺ أصدق الناس لهجة، يعني كان أصدق الناس كلامًا ﷺ، صدق اللهجة يأتي بمعنى صدق الكلام، ويأتي أيضًا بمعنى صفاء السريرة، وعدم الغش المخادعة، فالنبي ﷺ لا يخادع الناس، ولا يخالف ظاهره باطنه؛ فهو صادق اللهجة ﷺ - ما يتكلم به يتكلم بالصدق ﷺ حتى كان أهل مكة يلقبونه قبل بعثته بالصادق الأمين.

(أَصْدَقُ لَهْجَةٍ، وَأَوْفَى ذِمَّةً) الذمة: هي العهد والأمان، يعني إذا عاهد أحدًا عهدًا أو

أعطاه أماناً، فهو أوفى الناس بدمته وعهده ﷺ لا يغدر - ﷺ - ولا يخون عهداً.

و(الْيَنْهَمُ عَرِيكَةً) ﷺ.. يعني أحسنهم معاشرة، وتواضعاً يقال: فلان لَيِّن العريكة بمعنى: متواضع، قليل النفور والخلاف، يعني لا يحب أن ينافر جلسيه، ويخالفه في الكلام، ويتواضع لجلسائه ﷺ.

٩- أَكْرَمُهُمْ فِي عِشْرَةٍ، لَا يَحْسِبُ جَلِيسُهُ أَنَّ سِوَاهُ أَقْرَبُ

كان النبي ﷺ أكرم الناس عِشْرَةً، العِشْرَةُ بمعنى: المعاشرة والمصاحبة فكان كريم العِشْرَةِ ﷺ حسن العِشْرَةِ لأصحابه ﷺ يُحَسِّنُ إِلَيْهِمْ ويعاملهم بالوفاء، يعني: مَنْ صنع معروفًا، أو فعل شيئًا جميلًا يذكره له النبي ﷺ.

قال: (لَا يَحْسِبُ جَلِيسُهُ أَنَّ سِوَاهُ أَقْرَبُ) يعني كل واحد من جلساء النبي ﷺ يحسب أنه أقرب الناس إلى النبي ﷺ؛ لما يخص به النبي ﷺ كل واحد من جلسائه من العناية والاهتمام والتقريب، فكل واحد من الجلساء يشعر أنه له اختصاص بالنبي ﷺ، وله منزلة خاصة عنده ﷺ.

١٠- (حَيَاؤُهُ) يَرْبُوعَى الْعُذْرَاءَ فِي خِدْرِهَا، لِشِدَّةِ الْحَيَاءِ

من أخلاقه ﷺ الكريمة: خُلِقَ الحياءُ؛ فكان أشد حياءً من العذراء في خدرها، والعذراء: هي الفتاة التي لم تتزوج، في خدرها: يعني في بيتها، التي لا تكثر الخروج من البيت، ومخالطة الناس، فهذه تكون من صفاتها الحياء، فالنبي ﷺ كان أشد حياءً من العذراء في خدرها ﷺ.

ومما يُذكر في هذا: «حَدِيثَ عَائِشَةَ قَالَتْ: سَأَلَتِ امْرَأَةً النَّبِيِّ ﷺ كَيْفَ تَغْتَسِلُ مِنْ حَيْضَتِهَا؟ قَالَ: فَذَكَرْتُ أَنَّهُ عَلَّمَهَا كَيْفَ تَغْتَسِلُ، ثُمَّ تَأْخُذُ فِرْصَةً مِنْ مِسْكِ فَتَطَهِّرُ بِهَا.

قَالَتْ: كَيْفَ أَتَطَهَّرُ بِهَا؟ قَالَ: «تَطَهَّرِي بِهَا سُبْحَانَ اللَّهِ!» وَاسْتَرَّ - وَأَشَارَ لَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ بِيَدِهِ عَلَى وَجْهِهِ - قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ: وَاجْتَذِبْتُهَا إِلَيَّ وَعَرَفْتُ مَا أَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ فَقُلْتُ: تَتَّبَعِي بِهَا أَثَرَ الدَّمِّ. ^[١] قَالَ:

١١- نَظَرُهُ لِلْأَرْضِ مِنْهُ أَكْثَرُ إِلَى السَّمَاءِ، خَافِضٌ إِذْ يَنْظُرُ

يقول: كان النبي ﷺ نظره إلى الأرض أكثر من نظره إلى السماء، وربما جاء ذكر وحدانية الله ﷻ فيشير بأصبعه السبابة إلى السماء، ويرفع بصره إلى السماء أحياناً في الحديث، لكن في مشيه وجلسه كان نظره إلى الأرض ﷻ أكثر منه إلى السماء.

يقول: (خَافِضٌ إِذْ يَنْظُرُ) يعني لا يثبت بصره في وجه أحد؛ لحيائه ﷻ قالوا: كان من حيائه ﷻ إذا حَدَّثَ أَحَدًا أَنَّهُ لَا يُثَبِّتُ بَصَرَهُ فِي وَجْهِ مُحَدِّثِهِ ﷻ وهذا من كمال الحياء، أما في الغرب فعندهم: من آداب الحديث الحملقة في وجه المُحَدِّثِ سواء كان رجلاً أم امرأة، وهذا من قِلَّةِ حيائهم، لكن من حياء النبي : ﷻ أنه لا يُدَقِّقُ النَّظَرَ فِي وَجْهِ المُحَدِّثِ وإنما يلتفت إلى مُحَدِّثِهِ، لكن يكون خافِضًا بصره إلى الأرض في أكثر الوقت.

١٢- أَكْثَرُهُمْ تَوَاضَعًا، يُحِبُّ دَاعِيَهُ: بَعِيدٌ أَوْ قَرِيبٌ

١٣- مِنْ عَبْدٍ أَوْ حُرٍّ، فَقِيرٍ أَوْ غَنِيٍّ وَأَرْحَمُ النَّاسِ بِكُلِّ مُؤْمِنٍ

كان النبي ﷺ أكثر الناس تواضعًا ﷻ، وقد حَيَّرَ النَّبِيُّ ﷻ أن يكون ملكًا نبيًّا أو عبدًا رسولًا، فاختر أن يكون عبدًا رسولًا ﷻ.

وكان عظيم التواضع ﷻ فَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ، قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷻ رَجُلٌ، فَكَلَّمَهُ،

[١] متفق عليه: البخاري ٣١٤ ومسلم ٣٣٢.

فَجَعَلَ تُرْعَدُ فَرَائِضُهُ، فَقَالَ لَهُ: «هُوَ عَلَىكَ، فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ، إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ» [١] القديد: هو اللحم المجفف، المملح؛ لأن الأغنياء كانوا يذبحون ويأكلون اللحم الطازج يومياً، ولكن يقول النبي ﷺ: «إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ كَانَتْ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ بِمَكَّةَ».

وكان يقول ﷺ: «إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ أَكَلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ، وَأَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ». ويقول: «لَا تَطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ».

وكان ﷺ أيضاً كما جاء في صفته: كان لَا يُنْفَرُ النَّاسُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَلَا يُقَالُ: إِلَيْكَ، إِلَيْكَ؛ لَا يُنْفَرُ النَّاسُ: حَتَّى فِي حِجَّةِ الْوُدَاعِ، وَمَعَهُ أَكْثَرُ مِنْ مِائَةِ أَلْفٍ مِنَ الْحِجَاجِ، لَا يُنْفَرُ النَّاسُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَلَا يُقَالُ: إِلَيْكَ إِلَيْكَ.. يَعْنِي مَا كَانَ أَحَدٌ يَمْشِي يُفْسِحُ الطَّرِيقَ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَيُوسِّعُ النَّاسَ بَيْنَ يَدَيْهِ.

وكما مر بنا في أحداث الهجرة لما قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ كَانَ لَا يُعْرِفُ مِنْ أَبِي بَكْرٍ، يَعْنِي لَيْسَ عَلَيْهِ ثِيَابٌ مُمِيزَةٌ، وَلَا لَهُ طَقُوسٌ مَعِينَةٌ، وَلَا كُرْسِيٌّ مُمِيزٌ، وَشَكْلٌ مُمِيزٌ، وَمَلَابِسٌ مُمِيزَةٌ، وَإِنَّمَا يَجْلِسُ إِذَا جَلَسَ مَعَ النَّاسِ ﷺ مُتَوَاضِعًا. فَكَانَ أَكْثَرُ النَّاسِ تَوَاضِعًا ﷺ.

(يُجِيبُ دَاعِيَةً) يَعْنِي يَجِيبُ مَنْ دَعَاهُ إِلَى طَعَامٍ وَنَحْوِهِ، فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَا يَتَكَبَّرُ عَنْ إِجَابَةِ دَعْوَةِ مَنْ دَعَاهُ، فَلَا يَرُدُّ دَعْوَةَ شَخْصٍ؛ لِأَنَّهُ فَقِيرٌ مَثَلًا، فَكَانَ ﷺ يَجِيبُ مَنْ دَعَاهُ مِنْ عَبْدٍ أَوْ حُرٍّ، فَقِيرٍ أَوْ غَنِيٍّ، وَكَانَ يَقُولُ ﷺ: «لَوْ دُعِيتُ إِلَى ذِرَاعٍ لَأَجَبْتُ، وَلَوْ دُعِيتُ إِلَى كُرَاعٍ لَأَجَبْتُ» وَالذِّرَاعُ كَانَ أَحَبَّ الشَّاةِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَالْكُرَاعُ هُوَ أَرْدَأُ لَحْمِ الشَّاةِ،

فقال: «لو دُعيت إلى ذراع لأجبت، ولو دُعيت إلى كراع لأجبت».

ودعاه مرة رجل يهودي إلى خبز وإهالة سَنَخَة، وإهالة سَنَخَة أي: دهن سنخ وهو متغير الرائحة من طول مُكثته، فالرجل كان يهوديًا فقيرًا ودعا النبي ﷺ إلى خبز ودهن متزنخ متغير الرائحة، فأجاب دعوته، لبّى دعوته ﷺ وأكل من طعامه ﷺ.

(وَأَرْحَمُ النَّاسِ بِكُلِّ مُؤْمِنٍ) كان النبي ﷺ أرحم الناس بكل مؤمن ﷺ ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] كما وصفه ربه ﷺ فكان رحيماً بالمؤمنين ﷺ.

وَأَرْحَمُ النَّاسِ بِكُلِّ مُؤْمِنٍ

.....

١٤- وَطَائِفٌ يَعْرِوُهُ حَتَّى «الْهَرَّةُ» يُصْغِي لَهَا الْإِنَاءَ غَيْرَ مَرَّةٍ

يقول: كان أرحم الناس بالمؤمنين، وأرحم الناس بكل طائف (يَعْرِوُهُ) يعني يقصده، فكان أرحم الناس بمن طاف به يقصده يلمس حاجة منه.

يقول: (حَتَّى «الْهَرَّةُ») كان رحيماً حتى بالهرة إذا قصدت النبي ﷺ تريد طعاماً، فإذا جاءت الهرة (يُصْغِي لَهَا الْإِنَاءَ) يكون النبي ﷺ معه إناء من لبن يشرب فتأتي الهرة فيُقَرَّب لها الإناء ويدنيه لها حتى تشرب الهرة ويشرب من أثرها ﷺ، وكان يقول: «إنها من الطوافين عليكم والطوافات».

فقوله: (غَيْرَ مَرَّةٍ) يعني في مرات كثيرة، كل مرة تأتي هرة إلى النبي ﷺ تلمس طعاماً كان يصغي لها الإناء؛ حتى تشرب لرحمته ﷺ.

وكان يقول: «في كل ذات كبد رطبة أجر» أي: حيوان له كبد يعني أي كائن حي إذا أطعمه الإنسان وسقاه له أجر بإطعامه وسقياه.

١٥- كَانَ أَعْفَ النَّاسِ، لَيْسَ يُمَسِّكُ أَيْدِي مَنْ لَيْسَ لَهُنَّ يَمْلِكُ

١٦- يُبَايِعُ النِّسَاءَ لَا يُصَافِحُ أَيْدِيَهُنَّ، بَلْ كَلَامٌ صَالِحٌ

من أخلاق النبي ﷺ خلق العفة؛ (كَانَ أَعْفَ النَّاسِ) ﷺ يتعفف عما حرم الله ﷻ ويقول هنا: (لَيْسَ يُمَسِّكُ أَيْدِي مَنْ لَيْسَ لَهُنَّ يَمْلِكُ) يعني لا تمس يده امرأة لا تحل له، يعني ليست ملك يمينه ولا زوجته، فكان ﷺ لا تمس يده امرأة لا تحل له ﷻ.

وعندما كان يبائع النساء كان لا يصافحهن، يعني كان يبائع الرجال بالمصافحة، لكن في مبايعة النساء كان لا يبائعهن بالمصافحة وإنما بالكلام، من غير مصافحة؛ وهذا من عفته ﷻ.

١٧- أَشَدُّهُمْ لِصَحْبِهِ إِكْرَامًا لَيْسَ يَمُدُّ رِجْلَهُ اخْتِرَامًا:

١٨- بَيْنَهُمْ، وَلَمْ يَكُنْ يُقَدِّمُ رُكْبَتَهُ عَلَى الْجَلِيسِ يُكْرِمُ

يقول: كان النبي ﷺ أشد الناس (لِصَحْبِهِ إِكْرَامًا) ومن ذلك أنه كان لا (يَمُدُّ رِجْلَهُ) كان من كرم أخلاقه ﷺ أنه لا يمد رجله بين جلسائه ﷻ.

(وَلَمْ يَكُنْ يُقَدِّمُ رُكْبَتَهُ عَلَى الْجَلِيسِ) لا يتقدم عن جلسائه وإنما يجلس معهم في الصف الذي يجلسون فيه ﷻ.

فجاء في الحديث أنه كان ﷺ أوقر الناس في مجلسه، لا يكاد يُخرج شيئاً من أطرافه إكراماً واحتراماً لهم ﷻ.

١٩- فَمَنْ بَدِيهَةً رَأَاهُ هَابَةً طَبَعًا، وَمَنْ خَالَطَهُ أَحَبَّهُ

كان من صفة النبي ﷺ أنه مَنْ رَأَاهُ بَدِيهَةً هَابَةً، وَمَنْ خَالَطَهُ عِشْرَةً أَحَبَّهُ ﷻ، الذي

يرى النبي ﷺ لأول مرة يهاب النبي ﷺ يعني يقع في صدره هيبة للنبي ﷺ، مثل هذا الرجل الذي أصابته رعدة لما رأى النبي ﷺ لأول وهلة.

لكن مَنْ خالط النبي ﷺ عشرة: الذي يعاشر النبي ﷺ ويخالطه يحبه ﷺ، فهذا الخوف الذي حصل من رؤيته لأول مرة يذهب بمخالطة النبي ﷺ، عندما يرى من تواضعه ومن كرم أخلاقه ﷺ.

٢٠- (يَمْشِي) مَعَ الْمَسْكِينِ وَالْأَرْمَلَةِ فِي حَاجَةٍ، مِنْ غَيْرِ مَا أَنْفَةٍ

فكان من أخلاقه ﷺ: أنه (يَمْشِي مَعَ الْمَسْكِينِ وَالْأَرْمَلَةِ) في حوائجهم، إذا جاءه مسكين يريد من النبي ﷺ أن يمشي معه في حاجة فربما أخذ بيده ومشى معه في سبيل المدينة لمصلحة لمسكين، ويمشي مع الأرملة التي تُوفي زوجها وبحاجة إلى مساعدة يمشي معها النبي ﷺ ومع الأمة. يعني لا يحمله كبر على السير مع هؤلاء كحال الملوك والجبارين، وإنما من تواضعه ﷺ أنه يسعى في حاجة الفقراء من عبيد وإماء ومساكين وأرامل، ولا يستنكف ﷺ أن يمشي معهم ويقضي لهم مصالحهم ﷺ.

٢١- يَخْصِفُ نَعْلَهُ، يَخِيطُ ثَوْبَهُ يَحْلُبُ شَاتَهُ، وَلَنْ يَعْيبَهُ

٢٢- يَخْدُمُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ، كَمَا يَقْطَعُ بِالسَّكِّينِ لَحْمًا قَدَمًا

فيقول: كان النبي ﷺ (يَخْصِفُ نَعْلَهُ) يعني يخرزها أو يُصْلِحُهَا، إذا انقطعت نعله ﷺ وكانت بحاجة إلى إصلاح، كان لا يتكبر ﷺ عن إصلاح نعله بنفسه ﷺ.

و(يَخِيطُ ثَوْبَهُ) يعني يرقع ثوبه، إذا انشق ثوبه ﷺ واحتاج إلى إصلاح، أو ترقيق، أو خياطة، فكان يخيطة ﷺ. (يَحْلُبُ شَاتَهُ) من الأمور التي كان يعملها بنفسه ﷺ حلب الشاة، فكان يحلب شاته بنفسه ﷺ.

(وَلَنْ يَعْيبَهُ) يعني لا يعيبه ذلك ﷺ بل هو من تواضعه وكرم أخلاقه ﷺ.

٢٢- يَخْدُمُ فِي مَهْنَةِ أَهْلِهِ، كَمَا يَقْطَعُ بِالسَّكِينِ لَحْمًا قُدَمًا

(يَخْدُمُ فِي مَهْنَةِ أَهْلِهِ) أو مَهْنَةِ أَهْلِهِ، في مَهْنَةِ أَهْلِهِ يعني في خدمة أهله، فقالوا: مثل تقطيع اللحم بالسكين، يعني كان يتولى ﷺ بعض الأعمال في المنزل يساعد بها أهله ﷺ مثل: تقطيع اللحم بالسكين ﷺ فكان يساعدهم في هذا الأمر.

٢٣- يُرْدِفُ خَلْفَهُ عَلَى الْحِمَارِ عَلَى إِكَاْفٍ، غَيْرِ ذِي اسْتِكْبَارٍ

فكان النبي ﷺ يُرْدِفُ خلفه يعني يُرْكَبُ خلفه أصحابه، أو خادمه، أو أقاربه، يُرْكَبُهُمْ خلفه ﷺ على الحمار - ﷺ -.

فهناك عدة أحاديث عن الصحابة يذكر أحدهم أنه كان رديف النبي ﷺ، أو رِدْفُ النبي ﷺ مثل معاذ وعبد الله بن عباس، عبد الله بن عباس ﷺ في حديث «احفظ الله يحفظك» قال: «كنت رديف النبي ﷺ يوماً على دابة فقال: يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك».

ومعاذ أيضاً كان مرة رديف النبي ﷺ على حمار فقال له النبي ﷺ: «يا معاذ، ما حق الله على العباد؟ وما حق العباد على الله؟»..

فكان النبي ﷺ ربما أُرْدِفُ خلفه ﷺ، وهذا من التواضع، أنه لا يتكبر النبي ﷺ أن يُرْكَبَ معه غيره ﷺ على نفس الدابة، لا يتكبر عن هذا ﷺ.

وكذلك لما مرَّ النبي ﷺ بأسماء بنت أبي بكر، وكانت على بُعْدٍ ميل أو أكثر من المدينة، وتحمل النوى معها، حمولة من النوى كانت تجلبها من أرض زوجها الزبير، كانت تعلف الفرس، فكان معها حِمْلٌ والمسافة بعيدة بينها وبين المدينة، ورآها النبي

ﷺ ومعه أصحابه، كان النبي ﷺ ومعه أصحابه على دوابهم ورأوا أسماء تمشي على رجلها، فأناخ النبي ﷺ ناقته وأشار إليها أن تركب على الدابة، قالت: فذكرتُ غيرة الزبير فاستحييت، ذكرت أن الزبير يغار وربما لو علم أنها ركبت مع النبي ﷺ على الدابة، فاعتذرت للنبي ﷺ وواصلت الطريق مشياً.

فالشاهد: أن النبي ﷺ إذا ركب الدابة ومعه متسع في الدابة لركوب شخص خلفه، ومرّ في الطريق بمن يحتاج إلى ركوب أركبه معه ﷺ.

يقول: (عَلَى إِكَافٍ، غَيْرَ ذِي اسْتِكْبَارٍ) الإكاف: هي البرذعة، وهي ما يوضع على الحمار أو البغل؛ لِيُرَكَّبَ عليه، فكان يُرَدَفُ معه أحياناً على نفس الإكاف إذا كان كبيراً يتسع لشخصين فيركب النبي ﷺ ويُردف شخصاً خلفه.

٢٤- يَمْشِي بِلَا نَعْلِ وَلَا خُفٍّ إِلَى عِيَادَةِ الْمَرِيضِ حَوْلَهُ الْمَلَأَ

كان النبي ﷺ يمشي حافياً أحياناً ﷺ وهذا من تواضعه ﷺ.

وربما مشى حافياً إلى المريض؛ ليعوده، و(حَوْلَهُ الْمَلَأَ) كان النبي ﷺ محشوداً، يعني دائماً إذا توجه إلى مكان يكون معه رفقة، الصحابة ﷺ ينتظرون خروج النبي ﷺ من بيته لذهابه إلى أي مكان، ويغتزمون الفرصة ويصحبونه ﷺ في الطريق، فكان يذهب لعيادة المريض ﷺ وحوله الملاء من أصحابه الكرام.

٧- يُجَالِسُ الْفَقِيرَ وَالْمُسْكِينَا وَيُكْرِمُ الْكِرَامَ إِذْ يَأْتُونَا

كان من خلقه ﷺ أنه (يُجَالِسُ الْفَقِيرَ وَالْمُسْكِينَا) يجالس الفقراء والمساكين ويُحَسِّنُ إليهم ﷺ ولا يتكبر عن مجالستهم، وفي نفس الوقت كان يُكْرِمُ الكريم، يُكْرِمُ وجهاء القبائل ورؤساء العشائر من ملوك العرب، فكان النبي ﷺ يُكْرِمُهُمْ أيضاً ويخصهم

بإكرام، فكان يقول ﷺ: «إذا أتاكم كريم قوم فأكرموا».

وكان من صفاته ﷺ أنه يُكرِّم كبير كل قوم ويوليه عليهم، ويُهْدِي إليه الهدايا العظيمة.

ففي غزوة حنين أعطى النبي ﷺ الأقرع بن حابس مائة من الإبل، الأقرع بن حابس هذا كان سيد بني تميم، فأعطاه النبي ﷺ مائة من الإبل.

وعيينة بن حصن الفزاري كان زعيم قبيلة فزارة، أعطاه النبي ﷺ مائة من الإبل.

فكان معه في غزوة حنين أربعة من شيوخ القبائل، فأعطى النبي ﷺ هؤلاء الأربعة كل واحد منهم مائة من الإبل، فأكرمهم، وعاملهم بما لا يعامل به آحاد الناس؛ لعلمه ﷺ أن إكرام هؤلاء إكرام لقبائهم، وهؤلاء إذا أسلموا وحسُن إسلامهم تبعتهم قبائلهم، فكان يخصهم بالإكرام؛ لأن غرضه ﷺ نشر الدين، وليس غرضه أن يحوز أموالهم، ولا أن يتسلط عليهم، وإنما غرضه ﷺ أن يدخلوا في الدين، ولا يهم من الذي يكون رئيسهم، المهم أن يدخلوا في الإسلام، وهذه السياسة الحكيمة من النبي ﷺ شجعت رؤساء القبائل وملوك العرب على الدخول في الإسلام لعلم أحدهم أنه إذا أسلم سيظل ملكاً على قومه، وستظل له مكانته، فهذا من حُسْن سياسة النبي ﷺ، وحُسْن إدارته.

فلو أن ملكاً من الملوك يعلم أنه إذا أسلم عُزِلَ من الملك، وأُخِذَت منه أمواله، وصار مثل آحاد الناس، وليس له خصوصية ولا احترام، لَنَفَرَهُ ذلك عن الدين، فكان النبي ﷺ يُكرِّم هؤلاء الكبراء، ويُحسِن إليهم ويخصهم بعطايا كبيرة ويوليههم على أقوامهم ﷺ.

حتى في المخاطبات، النبي ﷺ لما بعث الرسائل إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام كان يكتب: من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم، فقوله: (عظيم الروم) مع أنه

كافر ومشارك بالله ﷺ لكن مع ذلك النبي ﷺ سماه (عظيم الروم)، فهو عظيم عند قومه، وهذا ليس فيه شيء يخالف الحق، فهو عظيم الروم، يعني: هو كبيرهم وعظيمهم، هم يُعظمونه، فيلقبه بألقاب فيها إكرام له ويدعوه إلى الإسلام.

٢٦- لَيْسَ مُوَاكِفًا بِشَيْءٍ يَكْرَهُهُ جَلِيسُهُ، بَلْ بِالرَّضَا يُوَاكِفُهُ

يعني الشيء الذي يكرهه جليسه لا يواجهه به ﷺ فكان إذا أساء شخص، وأراد أن ينصحه النبي ﷺ يُعرض بالنصيحة، فيقول: «ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا»، فإذا بلغه عن أحد ما يكره، وكان حاضرًا في وسط القوم جعل الموعظة عامة، ولم يخص بها أحدًا، ويقول: «ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا» وينصح نصيحة عامة يسمعها المقصود بالنصيحة من ضمن الجلوس، لا يشعر أنه هو الذي وُوجه بالخطاب بشيء يكرهه.

(بَلْ بِالرَّضَا يُوَاكِفُهُ) يعني بل يواجه الناس بالرضا بالكلمة الطيبة.

٢٧- يَمْزُحُ لَا يَقُولُ إِلَّا حَقًّا يَجْلِسُ فِي الْأَكْلِ مَعَ الْأَرْفَا

كان النبي ﷺ يمزح ولا يقول إلا حقًا ﷺ ومن المشهور من مزاحه ﷺ: أنه لما جاءته امرأة عجوز تسأله عن شيء، فقال لها النبي ﷺ: «أما علمت أنه لا يدخل الجنة عجوز؟» فبكت المرأة، فضحك النبي ﷺ وقرأ: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنِشَاءً﴾ (٣٥) ﴿فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا﴾ (٣٦) عُرُبًا أَتْرَابًا (٣٧) لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ (٣٨) [الواقعة: ٣٥-٣٨].

يعني سوف يعيد الله ﷻ إنشائها، وتصبح شابة بكرًا، يعني لا تدخلها عجوز على حالها، ولكن سيعيد الله ﷻ إنشائها.

كذلك قال النبي ﷺ لامرأة يومًا قال: «أليس زوجك الذي في عينه بياض؟» يسألها: مَنْ زوجها، فقال: «أليس زوجك الذي في عينه بياض؟» قالت: ليس في عينه بياض،

فقال النبي ﷺ: «بلى، في عينه بياض»..

فرجعت المرأة إلى زوجها تنظر في عينه وتقول: النبي ﷺ يقول: في عينك بياض، فقال: كل إنسان في عينه بياض، يعني هي حسبت البياض إن سواد العين أبيض، لكن هو النبي ﷺ يقصد بياض العين. فكان هذا من ملاطفته ﷺ.

وكان رجل من الصحابة رضي الله عنه اسمه زاهر، رآه النبي ﷺ في السوق فأمسك به من الخلف وقال: «مَنْ يشتري هذا العبد؟» فقال: «إِذَا تجدني والله يا رسول الله كاسداً، قال: «لكنك عند الله لست بكاسد».

كان النبي ﷺ ربما نادى بعض أصحابه يا ذا الأذنين كل واحد عنده أذنين، فكان من مزاحه ﷺ.

إلى غير ذلك يعني من مزاح المصطفى ﷺ، وكرم عشرته، وحُسن خلقه ﷺ. المزاح بالكذب هذا طبعاً مُحَرَّم، المزاح بالكذب هذا من الأمور المحرمة سواء قل أو كثر يعني؛ فالنبي ﷺ قال: «ويل للذي يكذب الكذبة ليُضحك الناس».

لكن المزاح الذي بالحق فهذا يُشرع على ألا يُكثّر منه بحيث يغلب على الإنسان ويصبح حياته كلها عبث ولهو، لكن هو مثل الملح للطعام؛ إذا كثر أضّر وآذى.

قال: (يَجْلِسُ فِي الْأَكْلِ مَعَ الْأَرْقَا) كان النبي ﷺ يجلس في الأكل مع الأرقاء يعني مع العبيد، ولا يستنكف ﷺ كحال المتكبرين الذين لا يحبون أن يجلس معهم في الأكل الفقراء، ويتميزون في الجلوس عنهم، لكن النبي ﷺ كان يجلس مع الفقير ومع العبد ومع غيره، ويأكل معهم ﷺ.

بل كان يقول ﷺ: «شَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الْوَلِيمَةِ، يُدْعَى لَهَا الْأَغْنِيَاءُ وَيُتْرَكُ الْفُقَرَاءُ، وَمَنْ تَرَكَ الدَّعْوَةَ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ» [١].

وفي رواية: «يُمنَعُهَا مَنْ يَأْتِيهَا، وَيُدْعَى إِلَيْهَا مَنْ يَأْبَاهَا، وَمَنْ لَمْ يُحِبِ الدَّعْوَةَ، فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ» [٢].

فكان يصف هذا الطعام بأنه شر الطعام: أن الإنسان يعمل دعوة ويخص الأغنياء ويمنع الفقراء من الأكل من طعامه.

وكان يقول: «يُدْعَى إِلَيْهَا مَنْ يَأْبَاهَا» بعض الناس يعتمد دعوة الأغنياء الكبراء الذين هم مشغولون، وما عندهم وقت ولا رغبة في حضورها، فيريد المفاخرة مثلاً بأنه حضر له الوجبه الفلاني والرئيس الفلاني، فيُدْعَى إِلَيْهَا مَنْ يَأْبَاهَا، وَيُمنَعُ مِنْهَا مَنْ يَأْتِيهَا. والفقراء الذين هم بحاجة إلى طعام مثلاً، ويسمعون أن فلاناً عنده طعام فيأتون للأكل، يُمنعون من الحضور والأكل.

طبعاً لا مانع أن الإنسان يدعو أصدقاءه إلى طعام، لكن لا يكون قصده أنه يخصص الأغنياء فقط، وإنما يدعو أصدقاءه، وحتى إذا كانوا أغنياء، فهذا لا يضره في شيء إذا كانت الدعوة؛ لكونهم من صداقته أو من قرابته، لكن لا يعتمد الإنسان أن يخصص الأغنياء ويتعد عن الفقراء وعن مجالستهم، بل مجالسة المساكين والفقراء مما يُرقق قلب المسلم، ويُقلل من تعلقه بالدنيا، ويزيده رحمة ورأفة.

[١] صحيح البخاري ٥١٧٧.

[٢] صحيح مسلم ١٤٣٢.

٢٨- يَأْتِي إِلَى بَسَاتِينَ الْإِخْوَانِ يُكْرِمُهُمْ بِذَلِكَ الْإِتْيَانِ

كان النبي ﷺ يذهب إلى بساتين إخوانه، أي: بساتين أصحابه من أصحاب البساتين، فكان النبي ﷺ ربما زار بعض أصحاب البساتين من أصحابه.

(يُكْرِمُهُمْ بِذَلِكَ الْإِتْيَانِ) فكان النبي ﷺ، يكرمهم بزيارته إياهم، وأكله من طعامهم ﷺ وكان أسعد يوم عندهم عندما يأتيهم النبي ﷺ زائراً.

من ذلك قصة زيارته لأبي الهيثم بن التيهان ﷺ، وهو رجل من الكرماء من الأنصار كان عنده بستان كبير، «فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ - أَوْ لَيْلَةٍ - فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ، فَقَالَ: «مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ؟» قَالَا: الْجُوعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «وَأَنَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَأَخْرِجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا، قُومُوا»، فَقَامُوا مَعَهُ، فَأَتَى رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ فَإِذَا هُوَ لَيْسَ فِي بَيْتِهِ، فَلَمَّا رَأَتْهُ الْمَرْأَةُ، قَالَتْ: مَرْحَبًا وَأَهْلًا، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيْنَ فُلَانٌ؟» قَالَتْ: ذَهَبَ يَسْتَعِذُّبُ لَنَا مِنَ الْمَاءِ، إِذْ جَاءَ الْأَنْصَارِيُّ، فَنَظَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَصَاحِبِيهِ، ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ مَا أَحَدُ الْيَوْمِ أَكْرَمَ أَضْيَافًا مِنِّي، قَالَ: فَاَنْطَلَقَ، فَجَاءَهُمْ بِعِذْقٍ فِيهِ بُسْرٌ وَتَمْرٌ وَرُطْبٌ، فَقَالَ: كُلُوا مِنْ هَذِهِ، وَأَخَذَ الْمُدِيَّةَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِيَّاكَ، وَالْحُلُوبَ»، فَذَبَحَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ وَمِنْ ذَلِكَ الْعِذْقِ وَشَرِبُوا، فَلَمَّا أَنْ شَبِعُوا وَرَوُوا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتُسْأَلَنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَخْرَجَكُمُ مِنْ بُيُوتِكُمُ الْجُوعُ، ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصَابَكُمْ هَذَا النَّعِيمُ» [١]

٢٩- قِيلَ لَهُ: يَدْعُو عَلَى الْكُفَّارِ دَوِيسٌ وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْفُجَّارِ

٣٠- فَقَالَ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً وَلَيْسَ لَعَنًا نَبِيُّ الرَّحْمَةِ»

٣١- بَلْ سَأَلَ: «اللَّهُمَّ فَاهِدِ دَوْسًا وَأُتِ بِهِمْ»، فَأَصْبَحُوا رُؤُوسًا

فيقول: (قِيلَ لَهُ: يَدْعُو عَلَى الْكُفَّارِ) يعني طُلب من النبي ﷺ أن يدعو على الكفار، وفي مرة طُلب منه ﷺ أن يدعو على قبيلة دوس وكانوا مشركين، فقال النبي ﷺ: «اللهم اهد دوسًا وأُتِ بهم مسلمين».

وقصة الحديث: أن الطفيل الدوسي ﷺ جاء إلى النبي ﷺ فقال: إن دوسًا قد هلك، عصت وأبت، فادع الله عليهم، وكان الطفيل أسلم وذهب يدعو قومه دوسًا إلى الإسلام، ودوس قبيلة في جنوب الجزيرة العربية، ومنهم أبو هريرة ﷺ، فالطفيل ذهب يدعو قومه إلى الإسلام فأبوا أن يستجيبوا لدعوته، ولم يُسلم أحد، فجاء إلى النبي ﷺ وقال: إن دوسًا هلك وأبت الدخول في الإسلام، فادع الله عليهم، فقال: «اللهم اهد دوسًا وأُتِ بهم».

فذهب إليهم الطفيل في المرة الثانية فإذا بهم قد أسلموا، وقدم بهم بعد ذلك مسلمين على النبي ﷺ.

«وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اذْعُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ قَالَ: «إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَنًا، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً»^[١].

يعني ما بُعثت للعن الناس، والدعاء عليهم بالطرد من رحمة الله، وإنما بُعثت رحمة ﷺ.

وهذا الأصل في هديه ﷺ، لكن في بعض المواقف دعا على بعض المشركين؛ لشدة

جُرمهم وعظيم إجرامهم، مثل هؤلاء الذين غدروا بالقراء، جاؤوا للنبي ﷺ وزعموا أنهم يريدون الدخول في الإسلام، وطلبوا من النبي ﷺ أن يُرسل معهم بعض القراء يُعلمونهم الإسلام، ويُقرؤونهم القرآن، وبعث معهم النبي ﷺ خيرة قراء الصحابة، فأخذوهم وغدروا بهم في الطريق وقتلوهم ﷺ، فدعا النبي ﷺ عليهم وقت يدعو عليهم ﷺ.

ففي مواقف معينة دعا النبي ﷺ على بعض مَنْ اشتد إجرامهم وأذاهم من المشركين، لكن الأصل أن النبي ﷺ يدعو لهم بالهداية، وما كان لعانًا. واللعان: صيغة مبالغة، يعني الكثير اللعن.

يعني ما كان اللعن من طبعه ﷺ لكن ربما دعا على بعض المشركين ﷺ في بعض المواقف.

٣٢- لَمْ يَكُ فَحَّاشًا وَلَا لَعَانًا وَلَا بَخِيلًا وَلَا جَبَانًا

لم يكن النبي ﷺ (فَحَّاشًا) من الفُحش وهو الكلام البذيء، الذي يُستحيا من ذكره، الكلام الذي فيه ذُكر العورات، والكلام الذي فيه السب، فلم يكن النبي ﷺ فحَّاشًا، وما كان يتكلم بالكلام الذي يُستحيا من ذكره، ولا كان لعانًا ﷺ.

(وَلَا بَخِيلًا وَلَا جَبَانًا) وهذا قاله النبي ﷺ لما فتح حنين وغنم النبي ﷺ أموالًا كثيرة في غزوة حنين «فَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، أَنَّ أَبَاهُ، أَخْبَرَهُ بَيْنَا هُوَ يَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ النَّاسُ مَقْفَلَةً مِنْ حُنَيْنٍ عِلْقَهُ الْأَعْرَابُ يَسْأَلُونَهُ، فَاضْطَرُّوهُ إِلَى سَمُرَةٍ، فَخَطَفَتْ رِدَاءَهُ وَهُوَ عَلَى رَاحِلَتِهِ، فَوَقَفَ، فَقَالَ: «رُدُّوْا عَلَيَّ رِدَائِي، أَتَخْشَوْنَ عَلَيَّ الْبُخْلَ؟ فَلَوْ كَانَ عَدَدُ هَذِهِ الْعِضَاهِ نَعْمًا لَقَسَمْتُه بَيْنَكُمْ، ثُمَّ لَا تَحْدُونِي بِخِيَلٍ وَلَا

جَبَانًا وَلَا كَذَّابًا» [١] يقول: لو كان عندي مثل هذا الشجر من الأنعام لقسمته بينكم وفرقته جميعاً بينكم، ثم لا تجدوني بخيلاً ولا جباناً ﷺ.

٣٣- (يُخْتَارُ) أَيْسَرُ الْأُمُورِ إِذَا مَا خَيْرٌ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ إِثْمًا

كان النبي ﷺ يختار أيسر الأمور ما لم يكن إثماً كما في الصحيحين من حديث «عَائِشَةُ، قَالَتْ: «مَا خَيْرٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ، أَحَدُهُمَا أَيْسَرُ مِنَ الْآخَرِ، إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا، كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ» [٢]

٣٤- لَمْ يُرَ ضَاحِكًا بِمِلءِ فِيهِ ضَحِكُهُ تَبَسُّمٌ يُبْدِيهِ

النبي ﷺ (لَمْ يُرَ ضَاحِكًا بِمِلءِ فِيهِ) ما كان يضحك النبي ﷺ ضحكاً بملء فيه ﷺ الضحك: هنا هو القهقهة بملء الفم، وإنما كان ضحكته تبسماً ﷺ.

قالوا: لكن ورد في بعض المواقف ضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه، النواجذ: هي الأضراس الخلفية. في مواقف قليلة نادرة ضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه ﷺ. لكن طبعه العام ﷺ، وهذيه الغالب أنه كان ضحكته تبسماً ﷺ.

٣٥- يَعْجَبُ مِمَّا يَعْجَبُ الْجَلِيسُ مِنْهُ، فَمَا يَوَجِّهُهُ عُيُوسٌ

٣٦- أَصْحَابُهُ إِذِ يَتَنَاشَدُونَا بَيْنَهُمُ الْأَشْعَارَ، يَضْحَكُونَا

٣٧- وَيَذْكُرُونَ جَاهِلِيَّةً: فَمَا يَزِيدُ أَنْ يَشْرَكَهُمْ تَبَسُّمًا

تكلم هنا عن بعض مكارم أخلاق النبي ﷺ وهذيه الشريف ﷺ.

[١] مسند أحمد ١٦٥٧٧.

[٢] البخاري ٦٧٨٦ ومسلم ٢٣٢٧.

فيقول: كان من هديه ﷺ أنه (يَعْجَبُ مِمَّا يَعْجَبُ الْجَلِيسُ مِنْهُ) وجاء ذلك في حديث علي ﷺ في سنن الترمذي يَصِفُ النبي ﷺ قال: «كان يعجب مما يعجبون، ويضحك مما يضحكون» ﷺ، يعني كان يشاركهم حديثهم ﷺ، ويكون مُنصِتًا لما يتكلمون به إذا ذكروا شيئًا عجيبيًا، يُبدي تعجبه إذا ذكروا شيئًا مُضحكًا، يشاركهم النبي ﷺ.

(فَمَا بَوَاجِهِ عُبُوسٌ) العبوس: هو تقطيب الوجه، كهيئة المكتتب أو الغاضب، فما كان العبوس من هدي النبي ﷺ، ولكن كان من هديه ﷺ طلاقة الوجه، وأن يبدو عليه البشر ﷺ.

٣٦- أَصْحَابُهُ إِذِ يَتَنَاشَدُونَا بَيْنَهُمُ الْأَشْعَارَ يَضْحَكُونَا

كان الصحابة ﷺ كانوا يجلسون فيتناشدون الأشعار، ويتحدثون بأمر الجاهلية، يُخبرون عن الوقائع التي حصلت في الجاهلية قبل الإسلام، فكانوا يذكرون هذه الأمور ويضحكون منها، ويتبسم النبي ﷺ، فكان يشاركهم بالتبسم ﷺ، ويستمع إلى ما يُنشدونه من الأشعار، وهذا من حُسْنِ خُلُقِهِ ﷺ، وطِيبِ عِشْرَتِهِ ﷺ.

فإذا هدي النبي ﷺ هو أكمل الهدي، فليس هناك أحد أحرص على وقته، ولا أكثر حرصًا على الخير من رسول الله ﷺ، ولكنه كان يحتسب الأجر في مؤانسة أصحابه وجُلُساته، هذا نفسه باب من أبواب الأجر، وهذه المجالس يُستعان بها على طاعة الله تعالى، فكان هذا من هدي الرسول ﷺ.

٣٨- قَدْ وَسِعَ النَّاسَ بَسِطَ الْخُلُقِ فَهُمْ سَوَاءٌ عِنْدَهُ فِي الْحَقِّ

٣٩- مَا أَنْتَهَرَ الْخَادِمَ قَطُّ فِيمَا

٤٠- فِي صُنْعِهِ لِلشَّيْءِ: «لَمْ صَنَعْتَهُ؟» وَتَرْكِهِ لِلشَّيْءِ: «لَمْ تَرَكَتْهُ؟»

٤١- يَقُولُ: «لَوْ قُدِّرَ شَيْءٌ كَانَا» سُبْحَانَ مَنْ كَمَلَهُ سُبْحَانَا

يقول: إن النبي ﷺ (قَدْ وَسَّعَ النَّاسَ بِسَطِّ الْخُلُقِ) يعني بحُسن خلقه ﷺ قد وسَّع الناس جميعًا، وقد رُوي عنه ﷺ أنه قال: «إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فليسعهم منكم حُسن الخلق وبسَطِ الوجه» يعني لا يستطيع أحد مهما كان ماله كثيرًا أن يسع الناس كلهم بهذا المال، ويُحسِن إلى الناس جميعًا بماله، ولكن يستطيع الإنسان أن يسع الناس جميعًا بحُسن خلقه، وطلاقة وجهه، بشاشة وجهه، وحُسن خلقه يستطيع أن يسع الناس جميعًا.

فكان النبي ﷺ يسع الناس جميعًا ببسَطِ وجهه ﷺ.

(فَهُمْ سَوَاءٌ عِنْدَهُ فِي الْحَقِّ) كان النبي ﷺ يعطي كل ذي حق حقه، والناس جميعًا سواء في إعطائهم حقوقهم التي جعلها الله ﷺ لهم.

لكن طبعًا هناك تفاوت في حقوق الناس، فهناك حق الزوجة والأولاد، وحق الجيران، وحق المسلم، وحق غير المسلم، فكان النبي ﷺ يعطي الناس جميعًا حقوقهم ﷺ، كل بما كفل له الشرع.

يقول الناظم: إن النبي ﷺ (مَا انْتَهَرَ الْخَادِمَ قُطُّ) ﷺ، وذلك كما جاء في حديث أنس ﷺ قال: «خدمتُ النبي ﷺ عشر سنين، فما قال لي قط لشيء فعلته: لم فعلته، ولا شيء تركته: لم تركته»، فأنس خدم النبي ﷺ عشر سنين، خلال هذه السنين العشرة ما قال له قط لشيء فعله: لم فعلته، ولا لشيء تركه لم تركته، وهذا من حُسن خلق النبي ﷺ وتعامله مع خادمه.

(يَقُولُ: «لَوْ قُدِّرَ شَيْءٌ كَانَا») كان من كلامه ﷺ (يَقُولُ: «لَوْ قُدِّرَ شَيْءٌ كَانَا») يعني

ما قدره الله ﷻ سيكون، وكان النبي ﷺ يُرشد أمته إلى أن يقولوا: قدر الله وما شاء فعل، وينهاهم عن (لو)، ويقول: «لو تفتح عمل الشيطان»، ويقول: «وإن أصابك شيء، فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان» [١] كان النبي ﷺ يُرشد أمته إلى هذا، وكان ﷻ عاملاً بهذا الخلق الكريم، وهذا الهدي العظيم أنه إذا حصل شيء تكرهه أو فاتك شيء كنت تحب أن تحصل عليه، فلا تقعد تتحسر على ما مضى وتقول: لو أني فعلت كذا لكان كذا، ف (لو) تفتح عمل الشيطان، تؤدي بالإنسان إلى الاعتراض على قدر الله ﷻ ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، وفي رواية: «قدر الله وما شاء فعل».

وكان يقول ﷺ: «لو قدر شيء كان».

قال: (سُبْحَانَ مَنْ كَمَلَهُ سُبْحَانًا)، (سُبْحَانَ مَنْ كَمَلَهُ) كلمة (سبحان) تنزيه لله ﷻ يُنزه الله ﷻ الذي كمل النبي ﷺ، وحلاه بكمال الأخلاق ﷻ.

٤٢- وَفِي (الْجُلُوسِ) يَحْتَبِي تَوَاضِعًا وَمَرَّةً كَالْقُرْفَصَاءِ خَاضِعًا

في صفة جلوسه ﷻ أنه يجلس جلسة الاحتباء. والاحتباء أحياناً يكون باليد، وأحياناً يكون بالثوب، قال: حبة اليد، وحبة الثوب، حبة الثوب: أن يجلس الشخص على إتيته، وينصب قدميه ثم يأتي بثوب من ظهره ويجعله يضم رجله.

وهناك حبة اليد: أن يضم رجله ويُقرب فخذه إلى بطنه عن طريق إمساكهما باليد.

فكان النبي ﷺ يَحْتَبِي تَوَاضِعًا ﷻ.

قال: (وَمَرَّةً كَالْقُرْفَصَاءِ خَاضِعًا) وأحياناً كان يجلس ﷻ جلسة القرفصاء،

وبعض أهل اللغة يقول: القرفصاء هي الاحتباء، وهذا ورد حتى في بعض الأحاديث: كان يحتبي وهو القرفصاء، وبعض أهل اللغة فرّق بينهما قال: يقال لجلسة الاحتباء: قرفصاء إذا كان الإنسان لا يلبس ثياباً داخلية تحت الإزار الذي يلبسه، أما إذا كان تحته ثوب آخر فيقال لها: الاحتباء، بعض أهل اللغة يفرق بينهما بهذا التفريق.

وبعضهم يقول: الاحتباء هو ما يكون بالثوب، والقرفصاء هي الحبوّة التي تكون باليد.

فهذه جلسة الاحتباء أو جلسة القرفصاء، وربما خالف بين الرجلين أو يضع القدمين متلاصقتين.

هذه الجلسة كان النبي ﷺ يجلسها، ولكنه نهى عنها إذا أدّت إلى انكشاف عورة الإنسان، إذا كان لا يتنبه لثيابه مثلاً، كبعض مَنْ يلبس إزاراً أو نحوه، وليس تحته ثياب داخلية، فإذا كان جلسة الاحتباء تؤدي إلى انكشاف العورة فيكون منهياً عنها، وكذلك إذا كان في حضور ناس، كذلك أيضاً يُنهى عنها في الصلاة.

ولكن الأحاديث التي وردت بالنهي عن الاحتباء في الصلاة هي بلفظ الإقعاء، يعني نهى النبي ﷺ عن الإقعاء في الصلاة كإقعاء القرد، أو كإقعاء الكلب أو إقعاء السبع.

وفُسر الإقعاء هنا بأنه مثل الاحتباء، لكن مع إرسال اليدين، يعني نفس جلسة الاحتباء لكن مع إرسال اليدين، وعدم ضم القدمين باليد، فهذا نهى عنه النبي ﷺ في الصلاة.

وينهى أيضاً عن الحبوّة يوم الجمعة والإمام يخطب، ووردت أحاديث تنهى عن الاحتباء يوم الجمعة والإمام يخطب، بالنسبة للمؤمنين، لكن في الحقيقة هذا الحديث في سنده كلام، ومَنْ حسّن هذا الحديث واحتج به فقالوا: النهي يفيد الكراهة؛ لأن هذه

الجلسة- جلسة الاحتباء- ربما تفضي إلى النوم والنعاس.

فكان النبي ﷺ يجلس هذه الجلسة ﷺ، وهي جلسة فيها تواضع، كان أهل الكبر يتكبرون عن الجلوس هذه الجلسة، ويخصصون لهم مجالس كراسي مذهبة. كالمملوك الذين كانوا يجلسون على عروش ومجالس مُذهبة ومرصعة بالجواهر، لكن النبي ﷺ كان يجلس على الأرض مع أصحابه ﷺ جلسة الاحتباء أو جلسة القرفصاء ﷺ.

٤٣- مَجْلِسُهُ: حِلْمٌ وَصَبْرٌ وَحَيَا يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ مَنْ قَدْ لَقِيََا

مجلسه ﷺ مجلس حلم، ومجلس صبر، ومجلس حياء، يصف مجالس النبي ﷺ، بأنها مجالس حلم يعني ليس فيها غضب، وإنما مجلس فيه حلم، يحتمل النبي ﷺ جلساءه، ليس كجلوس مَنْ يغضب جلسيه، وإنما يجلس ﷺ في حلم.

ومجلس صبر: يصبر فيها النبي ﷺ لا يتململ، ولا يتأفف من مجالسة أصحابه، ولا يبادر بعقاب مَنْ أساء في مجلسه، وإنما يحتمل ﷺ جلساءه ﷺ.

ومجلس حياء: مجلسه ﷺ مجلس حياء يعني لا يُذكر في مجلسه ﷺ الكلام الفاحش أو البذيء أو الذي يُستحيا منه، ونحو هذا.

(يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ مَنْ قَدْ لَقِيََا) كان النبي ﷺ يبدأ مَنْ لقيه بالسَّلام؛ لأنَّ البادئ بالسَّلام أفضل من الذي ينتظر حتى يُبدأ بالسَّلام ثم يرد؛ فهذا من التنافس في الخير، فكان النبي ﷺ يبدأ بالسَّلام مَنْ لقيه ﷺ.

٤٤- وَيُؤْثِرُ الدَّاخِلَ بِالْوَسَادَةِ أَوْ يَبْسُطُ الثَّوْبَ لَهُ زِيَادَةً

الوسادة: هي ما يُجلس عليه، أو يُتكأ عليه، فكان النبي ﷺ يجلس على الوسادة، وإذا جاءه ضيف يريد أن يُجالسه فكان يُكرمه ﷺ بالوسادة، ربما قام عن وسادته ﷺ وأعطاه

لجليله يكرمه بها ويؤثره بها ﷺ .

(أَوْ يَسْطُ الثَّوبَ لَهُ زِيَادَةً) إذا كان تحته ثوب يجلس عليه، ثم جاء مَنْ يُجَالِسُ النبي ﷺ كان يسط الفراش إذا كان مثنيًا، يُوسِّعه؛ لِيُفْسِحَ لجليله حتى يجلس معه على الفراش بدلًا من الجلوس على التراب.

٤٥- لَيْسَ يَقُولُ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ قَطْعًا: سِوَى الْحَقِّ، فَخُذْهُ وَاكْتُبِ

يقول: إن النبي ﷺ كان لا يقول في الغضب والرضا إلا حقًّا؛ فعَنْ «عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: كُنْتُ أَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ أَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أُرِيدُ حِفْظَهُ، فَهَثَنِي قُرَيْشٌ عَنْ ذَلِكَ، وَقَالُوا: تَكْتُبُ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا؟ فَأَمْسَكْتُ، حَتَّى ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «اَكْتُبْ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا خَرَجَ مِنْهُ إِلَّا حَقٌّ» [١] في جميع أحيانه كان لا يقول إلا حقًّا ﷺ سواء في وقت رضى أو في وقت غضب، وأذن لأصحابه أن يكتبوا عنه ﷺ كل ما يقول، سواء في وقت رضاه أو في وقت غضبه؛ فإنه لا يخرج منه إلا الحق ﷺ، ولا يقول إلا الحق.

٤٦- يَعِظُ بِالْجِدِّ إِذَا مَا ذَكَرًا كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ حَدَرًا

من هذي المصطفى ﷺ: أنه يعظ بالجد والاجتهاد، (إِذَا مَا ذَكَرًا) يعني إذا ما قام خطيبًا ﷺ في أصحابه ﷺ فكان يُحَدِّثُهُمْ بجد، يأخذ أمر الدين بجد وبقوة وبيقين فيما يُحَدِّثُهُمْ عنه ويخوفهم منه من عذاب الله ﷻ وما يحثهم عليه من الخير، فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ، وَعَلَا صَوْتُهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ يَقُولُ: «صَبَّحَكُمْ وَمَسَاكُمْ»، وَيَقُولُ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ»،

وَيَقْرُنُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ، وَالْوُسْطَى، وَيَقُولُ: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»^[١] قال:

٤٧- وَيَسْتَنِيرُ وَجْهَهُ إِنْ سَرَّ تَحَالَهُ مِنَ السُّرُورِ بَدْرًا

كان ﷺ إذا جاءه ما يسره، يبدو على وجهه السرور، فكان إذا سرَّ ﷺ تخال وجهه بدرًا، وجاء في الصحيحين: «كان ﷺ إذا سرَّ استنار وجهه كأنه قطعة قمر»^[٢].

وكذلك إذا غضب ﷺ يتمعر وجهه ويبدو عليه الضيق والغضب كما ورد هذا في أحاديث منها: ما في صحيح مسلم «عَنِ الْمُنْذِرِ بْنِ جَرِيرٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي صَدْرِ النَّهَارِ، قَالَ: فَجَاءَهُ قَوْمٌ حُفَاةٌ عُرَاةٌ مُجْتَابِي النَّمَارِ أَوْ الْعَبَاءِ، مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ، عَامَّتُهُمْ مِنْ مُضَرٍّ، بَلَّ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرٍّ فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِمَا رَأَى بِهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ، فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ، فَأَمَرَ بِلَا لَا فَادَّزَنَ وَأَقَامَ، فَصَلَّى ثُمَّ خَطَبَ فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ وَالْآيَةِ الَّتِي فِي الْحَشْرِ: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ «تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ، مِنْ دِرْهَمِهِ، مِنْ ثَوْبِهِ، مِنْ صَاعِ بُرِّهِ، مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ - حَتَّى قَالَ - وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ» قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا، بَلَّ قَدْ عَجَزَتْ، قَالَ: ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ، حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ، حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَتَهَلَّلُ، كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ»^[٢]

[١] صحيح مسلم ٨٦٧.

[٢] صحيح مسلم ١٠١٧.

٤٨- يَمْنَعُ أَنْ يَمْشِيَ خَلْفَهُ أَحَدٌ بَلْ خَلْفَهُ مَلَائِكُ اللَّهِ الْأَحَدُ

كان النبي ﷺ يمنع أن يمشي خلفه أحد من أصحابه؛ لأن خلفه الملائكة، فكان النبي ﷺ يقول: «امشوا أمامي وخلّوا ظهري للملائكة»، فكان الصحابة يمشون عن يمينه وعن شماله ويمشون أمامه ﷺ وظهره للملائكة، يمشي خلفه ملائكة الله ﷺ.

٤٩- وَلَيْسَ يَجْزِي سَيِّئًا بِمِثْلِهِ لَكِنْ بَعْفُو وَبِصَفْحِ فَضْلِهِ

فكان النبي ﷺ لا (يَجْزِي سَيِّئًا بِمِثْلِهِ) ولكن يجازي على السيئة بالعفو والصفح ﷺ، والإحسان إلى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْهِ.

ويذكر العلماء أن مجازاة السيئة لها مراتب ودرجات:

المرتبة الأولى: جزاء السيئة بأسوأ منها: فهذه مرتبة مُحَرِّمة منهي عنها، أن الإنسان يجازي السيئة بأسوأ منها؛ يكون بهذا قد ظلم، تحوّل من مظلوم إلى ظالم.

المرتبة الثانية: وهناك مجازاة السيئة بمثلها: وهذه مرتبة مباحة، من الأمور التي أباحها الله تعالى: ﴿وَجَزَّوْا سَيِّئَةً سَيِّئَةً مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠] فإذا مَنْ جازى سيئة بسيئة مثلها فهذا مما أباحه الله ﷺ للإنسان.

فَمَنْ سَبَّكَ فَسَبَبْتَهُ، أو ضربك فضربته، أو آذاك بشيء فجازيته بمثل إساءته فهذا مما عفا الله ﷺ عنه، مما أبيض، سواء بمثله أو بأقل.

المرتبة الثالثة: هي العفو عن المسيء، أنك تعفو عنه، ولا تجازيه على سيئته، فهذه مرتبة مندوب إليها، وحسّنا الله ﷺ عليها في قوله ﷺ: ﴿وَجَزَّوْا سَيِّئَةً سَيِّئَةً مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠] فلو أن شخصاً أساء إليك فعفوت عنه، ولم تعاقبه فأجرك على الله ﷺ.

وقال النبي ﷺ: «ما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً»، إذا عفوت زادك الله عزّاً بهذا العفو.

المرتبة الرابعة: وهي مجازاة السيئة بالحسنة: أن يُسيء إليك شخص فلا تكتفي بأن تعفو عنه؛ بل تُحسِّن إليه، فهذه أكمل المراتب، وقالوا: لاسيما إذا اجتمع معها أيضاً ألا يجد الإنسان في قلبه تجاه هذا الذي أساء إليه، فهناك عفو عن المسيء بمعنى أنك لا تعاقبه لكنك تجد في صدرك، لا يزال صدرك مشحوناً تجاه هذا الشخص الذي أساء إليك لكنك لم تعاقبه فهذه مرتبة، هناك المرتبة الأعلى إنك تُحسِّن إلى مَنْ أساء إليك وفي نفس الوقت لا تجد في صدرك تجاه هذا الشخص الذي أساء إليك، يعني العفو عنه ظاهراً وباطناً، أنك لا تعاقبه ولا تؤاخذه ظاهراً وتعفو عنه باطناً وتُحسِّن إليه، فهذا من أكمل ما يكون وهذه كانت مرتبة النبي ﷺ، وخيرة أصحابه.

كالصديق ﷺ كان يُحسِّن إلى مسطح بن أثاثه ﷺ، وهو قريب لأبي بكر وكان فقيراً وكان من المهاجرين، وممَّنْ شهد بدرًا، ولكنه ﷺ ممَّنْ وقع في خاض في عرض عائشة ﷺ في حادثة الإفك، المنافقون اتهموا أم المؤمنين عائشة ﷺ بما برأها الله منه، وبعض المؤمنين الصالحين تكلموا في هذا الأمر منهم مسطح ﷺ، فكان أبو بكر ﷺ يُحسِّن إليه، وينفق عليه، فلما تكلم في عرض ابنته عائشة، حلف أبو بكر ﷺ ألا ينفق على مسطح بعد الآن، يعني أن يقطع عنه النفقة التي كان ينفقها عليه، فما أراد أن يُسيء إليه، ولكن فقط أن يقطع عنه الإحسان،

فأنزل الله تعالى الآية الكريمة: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ﴾ [النور: ٢٢]؛ ولا يأتل: لا يحلف. أولو الفضل منكم والسعة: وهو أبو بكر الصديق ﷺ ﴿أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [النور: ٢٢] أي لا يحلفوا أن يقطعوا الإحسان

أو الإيتاء لِمَنْ اتصف بهذه الصفات: ﴿أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢] فلما نزلت هذه الآية الكريمة قال أبو بكر رضي الله عنه: بلى. أحب أن يغفر الله لي، فعاد إلى الإنفاق على مسطح وكفر عن يمينه.

فإذا هنا المجازاة بالإحسان، وكان هذا هدي المصطفى صلى الله عليه وسلم، وجاء في صحيح البخاري من حديث «عطاء بن يسار، قال: لَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه قُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي التَّوْرَةِ؟ قَالَ: « أَجَلُ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ وَحِرْزًا لِلأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ الْمَتَوَكَّلَ لَيْسَ بِفُظٍّ وَلَا غَلِيظٍ، وَلَا سَخَابٍ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ، بَأَنْ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمَيَّا، وَأَذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا. » [١]

وكذلك أيضًا لما جاءه ملك الجبال، وقال: لو شئت أطبقت عليهم الأخشبين، كان قادرًا صلى الله عليه وسلم أن يأمر ملك الجبال الذي كلّفه الله صلى الله عليه وسلم أن يستجيب لأمر النبي صلى الله عليه وسلم، وأن يطبق الأخشبين - جبلين عظيمين - إما على أهل مكة أو على أهل الطائف، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إني أرجو أن يخرج الله من أصلابهم مَنْ يعبد الله عز وجل» وعفا عنهم النبي صلى الله عليه وسلم مع قدرته على الانتقام منهم.

ومن عفو النبي صلى الله عليه وسلم: عفوه صلى الله عليه وسلم عن المرأة اليهودية التي وضعت السم في الطعام، أرادت أن تقتل النبي صلى الله عليه وسلم، وضعت السم في الذراع فعفا عنها النبي صلى الله عليه وسلم، عفا عن حقه، ولكن لما مات الصحابي الذي أكل من الطعام، وهو بشر صلى الله عليه وسلم، قتلها قصاصًا به.

وعفا النبي صلى الله عليه وسلم عن رجل يهودي تقاضاه بينه فأغلظ عليه، رجل من اليهود وكان من

أخبار اليهود ومن علمائهم، وكان يجد صفة النبي ﷺ في التوراة لا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلمًا، كان هذا اليهودي يجد في صفة النبي ﷺ في التوراة لا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلمًا.

فهذا الرجل اليهودي قال: إنه رأى جميع صفة النبي ﷺ التي ذكرت في التوراة إلا هذه الصفة، يعني حتى العفو عن المسيء رآها، لكن يريد أن يرى هذه الصفة أنه كلما زيد الجهل عليه كلما ازداد حلمًا، فاحتال حيلة ليزداد فيها جهلاً على النبي ﷺ، وينظر كيف يعامله النبي ﷺ، فكان له دين عند النبي ﷺ، يعني أقرض النبي ﷺ أو باعه بضاعة إلى أجل، وأصبح له دين عند النبي ﷺ وضرب له النبي ﷺ أجلاً، النبي ﷺ قال: في الوقت الفلاني سأعطيك الثمن، فجاء هذا اليهودي قبل حلول الأجل، وتظاهر بالغضب ورفع صوته في حضور النبي ﷺ وأصحابه، وقال: أنتم يا بنو عبد المطلب قوم مُطْل، تماطلون الناس حقوقهم، وتؤخرون عليهم حقوقهم، وأين ديني، ولماذا تأخرت في سداد الدين؟ وأخذ يرفع صوته في حضور النبي ﷺ.

فهمّ الصحابة به أن يفتكوا بهذا الرجل، فقال النبي ﷺ: دعه فإن لصاحب الحق مقالاً، وأمر النبي ﷺ أن يُقضى دينه، وأن يُزاد له، وأعطاه حقه وزيادة، طبعاً الزيادة إذا كانت غير مُشرطة فتكون من حُسن القضاء الذي أوصى به النبي ﷺ، فأخبر الرجل حينئذ أنه أراد يختبر هذه العلامة في النبي ﷺ، أنه لا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلمًا.

فالنبي ﷺ ما آذاه، وكان قادرًا ﷺ معه أصحابه لو أمرهم أن يضربوا عنقه لفعلوا، ولكنه ﷺ عفا عنه وأكرمه، وتجاوز له عن رفع صوته، وأمر أصحابه أن يكرموا ويعطوه حقه وزيادة.

كذلك عفو ﷺ عن مَنْ جذب به بردائه حتى أثرت حاشية البرد في عنق رسول الله

ﷺ، لما جاء أعرابي وجعل يطلب العطاء وجذب النبي ﷺ من بُرده، وكان عليه بُرد نجراني غليظ الحاشية، الحاشية هي البطانة المحيطة بالعنق من النوع الخشن الذي يجرح الجلد إذا احتكَّ به، فالأعرابي جاء وأمسك ببرد النبي ﷺ وجذبه حتى أثرت حاشية البرد في عنق رسول الله ﷺ، ويقول: أعطني فإنك لا تُعطيني من مالك ولا من مال أبيك، وفي رواية: لا تعطيني من مال أمك ولا من مال أبيك، ويطلب من النبي ﷺ الصدقة بهذا الأسلوب الغليظ.. فتبسم النبي ﷺ وأمر بإعطائه ما أراد، وعفا عنه النبي ﷺ، وهذا من مكارم خلقه ﷺ.

٤٩- وَلَيْسَ يَجْزِي سَيِّئًا بِمِثْلِهِ لَكِنْ بَعْفُو وَبَصْفُ فَضْلِهِ

٥٠- كَانَ يُحِبُّ الْفَالَ مِمَّنْ ذَكَرَهُ وَكَانَ يَكْرَهُ اتِّبَاعَ الطَّيْرَةِ

من هذي النبي ﷺ أنه كان يحب الفأل ﷺ فكان يعجبه أن يسمع مَنْ يُنادي باسم حسن، فيتفاءل فكان ﷺ إذا قصد حاجة وسمع مَنْ ينادي باسم حسن تفاءل النبي ﷺ بهذا.

وسمع النبي ﷺ رجلاً يقول: يا خضرة وهو خارج لخير، فقال: «اخرجوا بنا إلى خضرة، أخذنا فألك من فيك» يعني تفاءل النبي ﷺ بهذه الكلمة.

و(يَكْرَهُ اتِّبَاعَ الطَّيْرَةِ) لكن في العكس وهي مسألة التشاؤم كان ينهى عن التطير ﷺ، ينهى عن التشاؤم والتطير، فكان يتفاءل لكن لا يتطير.

فكان أحياناً كان النبي ﷺ إذا سمع مَنْ يقول: يا نجيح، يكون قاصداً حاجة ويسمع شخصاً يُنادي اسمه نجيح أو اسمه أفلح، فيقول: أفلحت حاجتنا إن شاء الله، أو نجحت حاجتنا إن شاء الله.

لكن إذا سمع ما يُكره لا يتشاءم ﷺ، وينهى عن الطيرة، وقال ﷺ: «الطيرة شرك»
التطير هذا من الشرك، ويُعتبر الطيرة من الشرك الأصغر، ومما حذر منه النبي ﷺ.
فالمسلم لا يتطير ولكن يتفأل إذا سمع كلمة حسنة.

وكان يقول ﷺ: «إذا بعثتم إليّ بريدًا» كان يقول لأمرائه، النبي ﷺ كان له أمراء
وعَمَّال على البلاد المختلفة.. لما فتح الله عليه كان له أمراء في اليمن وفي البحرين
وفي غيرها، وفي أنحاء الجزيرة العربية، فكان يقول: «إذا بعثتم إليّ بريدًا فابعثوه حسن
الوجه حسن الاسم».

باب ذِكْرُ خُلُقِهِ ﷺ فِي الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ

الباب السابق كان يتكلم عن أخلاق النبي ﷺ بصفة عامة، و هنا يتكلم عن أخلاقه في الطعام والشراب خاصة، أي: آداب النبي ﷺ في الأكل والشرب.

قال:

١- وَلَمْ يَعْبَ قَطُّ طَعَامًا يَحْضُرُهُ يَأْكُلُهُ إِنْ يَشْتَهِي أَوْ يَذَرُهُ

٢- وَلَمْ يَكُنْ جُلُوسُهُ مُتَّكِيًا فِي حَالَةِ الْأَكْلِ، وَلَكِنْ مُقْعِيًا

يقول: كان المصطفى ﷺ لا يعيب طعامًا يحضره ﷺ قط، إن اشتهاه أكل منه، وإن لم يشتهه تركه، لكن كان ﷺ من أدبه وكمال خلقه ﷺ لا يعيب الطعام، إذا لم يشتهه فيتركه ﷺ.

كما جاء في الصحيحين: «ما عاب ﷺ طعامًا قط، إن اشتهاه أكله، وإن كرهه تركه». ولذلك لما أكل الضبُّ على مائدة رسول الله ﷺ، لم يأكل النبي ﷺ، فسأله الصحابة ﷺ، قالوا: يا رسول الله أحرام هو؟، قال: «إنه ليس بحرام، ولكنه لم يكن بأرض قومي فلذا تجدني أعافه» أو كما قال ﷺ.

يعني: لا أشتهي أن أكله، لكن ما عادى النبي ﷺ الطعام ولا منع الحاضرين من أكله ﷺ.

٢- وَلَمْ يَكُنْ جُلُوسُهُ مُتَّكِيًا فِي حَالَةِ الْأَكْلِ، وَلَكِنْ مُقْعِيًا

كان النبي ﷺ لا يأكل متكئًا، وكلمة الاتكاء تأتي بمعنى أن يجلس الإنسان متربعا وتحتة وسادة هذا نوع من الاتكاء: أن يجلس متربعا وتحتة وسادة.

والنوع الثاني من الاتكاء هو أن يجلس معتمداً على إحدى يديه مائلاً إلى أحد الشقين، فكان النبي ﷺ وقت الأكل لا يأكل متكئاً ﷺ، يعني لا يجلس متربعا على وسادة أو وطاء تحته، ولا مائلاً إلى أحد الجانبين ﷺ.

لكن كان يأكل مقعياً، الإقعاء يُشبه الاحتباء، وهناك نوع آخر من الإقعاء هو أن يجلس مثل الجلسة التي هي بين السجدين: أن يجلس على أطراف قدميه، ويجعل المقعدة على العقبين، يجعل مقعدته على العقبين، وينصب القدمين، ويجعل أطراف الأصابع إلى الأمام، فهذه جلسة الإقعاء أيضاً.

فكان النبي ﷺ في أكله يجلس مُقعياً إما على صورة الاحتباء، أو على صورة الإقعاء الذي يكون بين السجدين، فكان يجلس هكذا ﷺ.

وقالوا: الحكمة في هذا أن هذه الجلسة تجعل الإنسان يتقلل من الطعام، وكان النبي ﷺ يحب التقلل من الطعام، ولا يستكثر منه ﷺ.

لكن إذا جلس الإنسان متكئاً أو متربعاً أو معتمداً على إحدى يديه فهو جائز، لكن الأكمل والأحسن إن أراد الاقتداء أن يجلس مُقعياً اقتداءً بالنبي ﷺ.

٣- يُعْجِبُهُ الذَّرَاعُ وَالذُّبَابُ وَالْعَسَلُ الْمَحْبُوبُ وَالْخُلُوءُ

يذكر هنا بعض الأطعمة التي كان المصطفى ﷺ يحبها، فكان يعجبه ذراع الشاة جاء في الصحيحين: «كان أحب الشاة إليه الذراع» ﷺ.

لذلك المرأة اليهودية التي وضعت السم للنبي ﷺ سألت وعلمت أن النبي ﷺ أحب الشاة إليه الذراع، فكثرت السم في ذراع الشاة لعلمها أن النبي ﷺ يحب الأكل من الذراع، فكان يحب ﷺ الذراع.

وكان يعجبه الدباء، الدباء هو القرع أو اليقطين، أنواع القرع كلها تُعتبر من الدباء. فكان يتبعه ﷺ في الإناء لذلك يقول أنس كان النبي ﷺ يتبع الدباء في القصعة، يعني يحبه ﷺ ويأكله ﷺ، فقال أنس: فما زلت أحبه لما رأيته، كان يرى النبي ﷺ يحبه فأحبه؛ لحب النبي ﷺ للدباء ﷺ.

وكان يحب العسل والحلواء، يحب العسل ﷺ يعجبه العسل والحلواء، الحلواء: قالوا هي: كل ما عولج من الطعام بسكر أو عسل، مثل (الحلويات) المعروفة، أصناف الطعام التي تُحلّى بالسكر، أو تُحلّى بالعسل، وتُعالج بها يعني تُصنع منها، يدخل في صنعها العسل أو السكر، فكان النبي ﷺ يحب الحلواء ويحب العسل ﷺ.

٤- وَيَأْكُلُ الْبَطِيخَ وَالْقِثَاءَ بِرُطْبٍ، يَبْغِي بِهِ الدَّوَاءَ
٥- يَقُولُ: «يُطْفِي بَرْدُ ذَيْنِ حَرِّ ذَا» وَكُلُّ إِرْشَادٍ فَعَنْهُ أَخِذَا

يقول: كان النبي ﷺ (يَأْكُلُ الْبَطِيخَ وَالْقِثَاءَ) يأكل البطيخ بالرطب، ويأكل القثاء بالرطب أيضًا، يأكل البطيخ بالرطب يعني يأكل البطيخ ومعه رطب، والقثاء يأكلها أيضًا مع الرطب، فكان يأكل البطيخ مع الرطب ويأكل القثاء مع الرطب أيضًا.

وكان يقول ﷺ: (يُطْفِي بَرْدُ ذَيْنِ حَرِّ ذَا) برد ذين: هما البطيخ والقثاء، بردهما يُطفئ حر الرطب، الرطب حارّ، يعني فيها لسعة من ما فيها من الحلاوة، فيُطفئ برد البطيخ والقثاء حر الرطب.

فقال: (وَكُلُّ إِرْشَادٍ فَعَنْهُ أَخِذَا) يعني: ما يُذكر عن أطباء زمانهم، طبعًا لا أعلم الوصايا الطبية الحالية، لكن كل إرشاد هو من النبي ﷺ فالأطباء كانوا يوصون بالجمع بين الحار والبارد في الطعام، يكون أحسن في الهضم وأنفع للأكل، أنه ما يأكل طعامًا

حارًّا فقط أو باردًا فقط وإنما يجمع بينهما يعني.

والحرارة ليس المقصود بها: ارتفاع درجة حرارة والبرودة: انخفاضها، بل المقصود: بالحرارة شدة الحلاوة، والبرد: قلة الحلاوة مثل البطيخ، أو انخفاضها مثل: القثاء يعني فيه عذوبة، فالبارد يُطفئ حر الطعام الحار.

فطبعًا إرشاد النبي ﷺ مُقدِّم على إرشاد كل مُرشد ﷺ.

٦- يَأْكُلُ بِالْأَصَابِعِ الثَّلَاثَةِ يَلْعَقُهَا لِقَصْدِ ذِي الْبَرَكَةِ

كان النبي ﷺ يأكل بثلاثة أصابع، وهي: الإبهام، والسبابة، والوسطى.

وطبعًا لا مانع أن الإنسان يأكل بالملعقة، لكن مع اعتقاده أن هدي النبي ﷺ هو الأكمل والأفضل.

وكان النبي ﷺ إذا انتهى من الأكل يلعق أصابعه ﷺ، يعني يعلق ما تبقى على الأصابع من الأكل ﷺ.

وكان لا يرفع القصعة حتى يلعقها؛ فإن في آخر الطعام البركة، و كان يقول: «لا تدرّون في أي طعامكم البركة»، فكان النبي ﷺ يلعق أصابعه؛ لأنه ربما كانت البقايا التي في الأصابع من الطعام هي التي يكون فيها بركة الطعام وخيره، فيلعقها قبل أن يغسل يده.

٧- يَبْدَأُ «بِاسْمِ اللَّهِ»، ثُمَّ يَخْتِمُ «بِالْحَمْدِ»، فِي شُرْبٍ وَأَكْلٍ يَطْعَمُ

كان النبي ﷺ يبدأ باسم الله، ويختتم بحمد الله ﷺ في الأكل والشرب، إذا أراد أن يأكل أو يشرب يفتتح بالبسملة يقول: (بسم الله)، وإذا فرغ يقول: (الحمد لله) ﷺ.

٨- (يَشْرَبُ) فِي ثَلَاثَةِ أَنْفَاسَا يَمُصُّ، فَهُوَ اخْتِلَاسَا

كان النبي ﷺ يشرب في ثلاثة أنفاس يعني يشرب جزءاً من الإناء ثم يتنفس ﷻ ثم يشرب جزءاً ثم يتنفس، ثم يشرب جزءاً يتنفس، وكان هذا من هديه ﷺ.

قال: (يَمُصُّ) المص: هو الشرب بتدرج، فكان يمص مصاً، لا يعب عباً كما ورد في الحديث، العب هو إفراغ الإناء بسرعة داخل الفم، فكان النبي ﷺ يشربه بشيء من التدرج يعني شيئاً فشيئاً، وهذا الذي يقال له: المص.

(فَهُوَ اخْتِلَاسَا) الاختلاس هو السرعة، فالمص أهناً من العب الذي هو الإسراع الشديد، وعدم التدرج في الشرب أو جعله شيئاً فشيئاً.

٩- لَمْ يَتَنَفَّسْ فِي الْإِنَاءِ إِذْ يَشْرَبُ يُبَيِّنُهُ عَنْ فِيهِ، فَهُوَ أَطْيَبُ

أثناء شرب النبي ﷺ كان لا يتنفس في الإناء، فوق التنفس يُبعد الإناء عن فمه ﷻ؛ ليتنفس خارج الإناء، ثم يديه فيشرب، ثم يبعده عن فيه، فيكون التنفس خارج الإناء، وهذه أيضاً من الوصايا الطبية؛ لما في النفس الخارج من الكربون الذي ربما تضرر شاربه، فكان إذا أراد أن يتنفس يُبعد الإناء عن فيه، ويتنفس خارج الإناء ثم يديه ويشرب ﷻ.

١٠- يَشْرَبُ قَاعِدًا، وَمِنْ قِيَامٍ لِعَارِضٍ كَزَمْزَمَ الْحَرَامِ

١١- وَشَرْبُهُ مِنْ قُرْبَةٍ مُعَلَّقَةٍ دَلَّ بِهِ لِلرُّخْصَةِ الْمُحَقَّقَةِ

يقول: من هدي النبي ﷺ أنه كان (يَشْرَبُ قَاعِدًا) يعني في أكثر أحواله ﷻ يشرب قاعدًا ﷻ لكنه شرب قائماً في مرات قليلة؛ ليبين جواز ذلك، منها: أنه ﷻ شرب من زمزم قائماً ﷻ ومرة شرب من قربة معلقة في السقف، فلا يُستطاع الشرب منها إلا إذا

قام الإنسان وأدناها إليه حتى يستطيع الشرب، فشرب النبي ﷺ من زمزم قائماً، وشرب من قربة معلقة قائماً ﷺ .

(دَلَّ بِهِ لِلرُّخْصَةِ) يعني دلَّت هذه الأحاديث على أن النهي عن الشرب قائماً أنه للكرهية وليس للتحريم، وأن هناك رخصة في الشرب قائماً.

لكن كان شربه قائماً لعارض، يعني لشيء عارض، وما كان هو العادة الدائمة، بل عادته ﷺ هي الشرب قاعداً.

١٢- يُنَاوِلُ الْأَيْمَنَ قَبْلَ الْأَيْسَرِ إِلَّا بِإِذْنِهِ لِحَقِّ الْأَكْبَرِ

يقول: كان النبي ﷺ يُؤْتَى بالشراب، وهو جالسٌ مع أصحابه، فيشرب ﷺ، ثم يعطي مَنْ على يمينه، والذي على يمينه يشرب ويعطي مَنْ على يمينه حتى يدور الشراب عن يمين النبي ﷺ .

وقالوا: هذا فيه أن الذي يسقي الجالسين يبدأ بكبير القوم، كما كان الذي يأتي بالشراب يبدأ أولاً بالنبوي ﷺ، فيشرب كبير القوم، ثم يعطي بعد ذلك مَنْ على يمينه، ويدور الشراب ابتداءً من يمين كبير القوم على الجلساء.

لكن جاء في صحيح مسلم أن النبي ﷺ أُتِيَ بشراب فشرب منه ﷺ، وعن يمينه غلام، وعن يساره الأشياخ: أبو بكر، وعمر، وغيرهم، وكبار الصحابة كانوا جالسين على يساره، والذي كان جالساً عن يمين النبي ﷺ غلام صغير.

فقال النبي ﷺ للغلام: أتأذن لي أن أعطي هؤلاء القوم؟ فهنا صاحب الحق هو الأيمن وهو الغلام، فاستأذن منه النبي ﷺ فقال الغلام: لا أؤثر بنصيبك منك أحداً؛ لأنه يريد أن يتبرك بالشرب من أثر رسول الله ﷺ، فقال: لا أؤثر بنصيبك منك أحداً، فأصرَّ

الغلام على حقه، فإذا هذه السُّنة في التقديم.

وفي الدخول، يعني: في التقديم مثلاً لدخول مكان، فالأكبر يُقدّم قبل الأيمن، الأكبر أولى من الأيمن، هكذا كان يُفتي الشيخ ابن باز -رحمه الله وغيره- عند التقديم في الدخول فالأكبر يُقدّم على الأيمن.

١٣- وَالْبَارِدُ الْحُلُوُّ يُحِبُّ شُرْبُهُ وَاللَّبَنَ اسْتَرَادَ إِذَا أَحَبَّهُ

١٤- يَقُولُ: «زِدْنَا مِنْهُ فَهُوَ يُجْزِي عَنِ الشَّرَابِ وَالطَّعَامِ الْمُجْزِي»

كان النبي ﷺ يحب الشراب البارد الحلو ﷺ كما جاء في الحديث في سنن الترمذي من حديث عائشة ﷺ، قالت: «كان أحبّ الشراب إليه الحلو البارد».

وكان ﷺ يحب اللبن، ويشربه، ويستزید منه، يعني: كان إذا شرب اللبن يقول: اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه، فكان يستزید من اللبن، ويقول: «ليس شيء يُجزئ مكان الطعام والشراب إلا اللبن» يعني اللبن له مزية على غيره أنه يُجزئ عن الطعام والشراب.

الطفل الصغير يتغذى على اللبن سنتين، ويُجزئه اللبن عن الطعام والشراب، فكان ﷺ يستزید من اللبن، ويقول: «إنه يُجزئ عن الطعام والشراب».

باب ذكر خلقه ﷺ في اللباس.

١- يَلْبَسُ مَا مِنَ الثِّيَابِ وَجَدًا مِنْ الْإِزَارِ وَالْقَمِيصِ وَالرِّدَا

كان النبي ﷺ يلبس ما وجدته من الثياب، وكان من هدي النبي ﷺ دائماً: أنه كان لا يتكلف مفقوداً، ولا يرد موجوداً، فالشيء الموجود يقنع به ﷺ ويرضى به، والشيء المفقود لا يسعى لتطلبه والبحث عنه. فما توفر من أنواع الثياب يلبسه ﷺ قانعاً به ﷺ.

والثياب التي كان العرب يلبسونها بصفة عامة، كانوا يقسمونها إلى: مقطّعات وغير مقطّعات، الثياب المقطّعات: هي المِفْصَلَة على قدر أعضاء البدن، وهي التي تُحَاك وتُقَصّ وتُفَصّل على قدر الأعضاء، يعني عولجت بالخياطة والتفصيل، كالقميص ونحوه.

والثياب غير المقطّعات: تكون عبارة عن قطعة قماش كبيرة توضع على بدن الإنسان، عبارة عن شيء لم يُعالج بتفصيل وتقطيع وقصّ وخياطة.

ومن الثياب غير المقطّعات: الإزار والرداء.

فالإزار عبارة عن قطعة قماش تلفّ على النصف الأسفل من البدن، والرداء عبارة عن قطعة قماش تلفّ على النصف الأعلى من البدن، مثل لباس الحجيج، يلبسون الإزار والرداء.

وأما القميص فهو الذي يقال له: الثوب، ويقال له: القفطان، في بعض البلاد القفطان، أو الثوب، أو يقال له: (الجلابية) في بعض البلاد، له أسماء طبعاً باختلاف البلاد، فهذا هو القميص.

فكان القميص أحب الثياب إلى النبي ﷺ، فكان النبي ﷺ أحياناً يلبس الإزار

والرداء ، لكن كان القميص أحب إليه من الإزار والرداء.

والقميص من لباس الأنبياء من قديم، من أيام نبي الله يوسف  قال يوسف: ﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَالْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَيْ يَأْتِ بَصِيرًا﴾ [يوسف: ٩٣] قال: ﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ﴾ [يوسف: ٢٥].

٢- وَبُرْدَةٌ وَشَمْلَةٌ وَحَبْرَةٌ وَجَبَّةٌ أَوْ فَقْبَاءٌ حَضَرَهُ

لبس النبي  البردة، والبردة: كساء أسود مربع فيه صور تلبسه الأعراب، كان من ثياب الأعراب، كلمة كساء، يعني: قماش غير مخيط بمعنى غير مُفَصَّل ومُقَطَّع، هو عبارة عن كساء أسود مربع الشكل، وفيه صور، فكانوا دائماً يجعلون فيه نقوشاً.

فلبس النبي  البردة. وهي من الثياب التي تلبس فوق الثياب، فيكون لابساً تحتها قميصاً أو إزاراً ورداءً، ثم توضع البردة فوق الثياب، يعني عادة البردة يكون تحتها ثياب أخرى.

فلبس النبي  البردة ولبس أيضاً الشملة، والشملة: كساء من صوف أو شعر يُتَغَطَّى به، يعني: الشملة في العادة تغطي جميع البدن، مثل الرداء الذي يوضع على النصف الأعلى من البدن، لكنه طويل، فالشملة من الثياب غير المُفَصَّلَة فهي عبارة عن قطعة قماش، توضع على البدن، فيُلْتَحَف بها، تُلَفَّ على البدن، وتغطي البدن كله، ونسجها عادة يكون من الصوف أو الشعر.

قال: (وَبُرْدَةٌ وَشَمْلَةٌ وَحَبْرَةٌ) الحبرة: - بوزن عنبه- ثوب أخضر مُخَطَّط أو كساء أخضر مُخَطَّط من برود اليمن، فالحبرة نوع من البرود، قال الداودي: لونها أخضر، وقال ابن بطال: تُصَنَع من قطن، وقال القرطبي: سُميت حبرة؛ لأنها تُحَبَّر أي تُزَيَّن، والتحبير: هو التزيين والتحسين.

فكان النبي ﷺ يلبس الحبرة .

٢- وَبُرْدَةٌ وَشَمْلَةٌ وَحِبْرَةٌ وَجُبَّةٌ، أَوْ فَقَبَاءٌ حَضَرَهُ

(الجبة والقباء): الجبة هي أشبه ما يكون حالياً بـ (البشت) أو العباءة الرجالية، التي تكون مفتوحة من الأمام.

والقباء-بفتح القاف-: مثل الجبة ولكن يكون مشقوقاً من الخلف، القباء مثل: ثياب المستشفيات تكون مفتوحة من الخلف، فالجهة الأمامية مغلقة والفتحة من الجهة الخلفية.

وكل من الجبة والقباء من الثياب التي تلبس فوق الثياب، يكون الإنسان لابساً قميصاً وفوقه جبة أو فوقه قباء.

والقباء في العادة كانوا إذا لبسوه تمنطقوا حوله، يعني: وضعوا حزاماً يُربط على البطن؛ لأن فتحته من الخلف، وتلبس فوق الثياب، ويكون مربوطاً فوقه السلاح، يربطون أحزمة السلاح فتُمسك القباء.

فلبس النبي ﷺ الجبة ولبس القباء .

وفي الحديث: «لبس النبي ﷺ جُبة رومية ضيقة الكمين» كان النبي ﷺ مرة لابساً جُبة رومية ضيقة الكمين، فأراد أن يتوضأ فلم يستطع، من ضيق الكم ما استطاع أن يُخرج ذراعه منه ﷺ فنزع الكم وأخرج يده لغسلها.

فلبس النبي ﷺ الجُبة ولبس القباء ﷺ أيضاً.

٣- لَبَسَ أَيْضًا حُلَّةً حُمْرَاءَ فَرَاذَهَا بِحُسْنِهِ سَنَاءَ

النبي ﷺ لبس أيضاً حُلَّة حُمْرَاءَ (فَرَاذَهَا بِحُسْنِهِ سَنَاءَ) يعني بهاء وسناء .

والحُلة: هي كل ثوب مكون من قطعتين متشابهتين، من قماشٍ واحد، ولون واحد يعني أي ثوب مكون من قطعتين: قطعة للنصف الأعلى، وقطعة للنصف الأسفل من البدن يقال له حُلة، فإذا لبس الإنسان إزارًا ورداءً من نفس نوعية القماش، ونفس اللون والشكل، فيقال لها: حُلة، مثل: البدل الإفرنجية يقال لها: حُلة؛ لأنها جاكيت وبنطلون من نفس نوعية القماش ونفس اللون فيقال لها: حُلة.

فالنبي ﷺ لبس حُلة حمراء ﷺ فزادها بحُسْنِه بهاءً كما جاء في حديث البراء بن عازب ﷺ قال: رأيت رسول الله ﷺ في حُلة حمراء له شعر يضرب منكبيه ﷺ، فلبس النبي ﷺ.. كان عنده حُلة حمراء لبسها أحياناً ﷺ.

وموضوع لبس الأحمر هذا فيه كلام طويل للفقهاء على أساس أن النبي ﷺ نهى عن المياثر الحُمْر، ونهى عن المزعفر - هو المصبوغ بالزعفران -، والزعفران صُبغ لونه أحمر، ونهى عن المياثر الحُمْر وهي نوع من الثياب الحمراء.

وشراح الحديث لهم كلام في كيفية التوفيق بين هذه الأحاديث:

فبعضهم يقول: هذا النهي للكرهة، على أساس إذا نهى النبي ﷺ عن شيء ثم فعله يكون النهي للكرهة، وقالوا: بجواز لبس الأحمر أيًا كانت مادة صُنعه.

والرأي الآخر: قالوا: إن المياثر الحُمْر هذه كانت مصنوعة من الحرير، فالنهي عنها؛ لأنها نوع معين من الثياب، وكانت من حرير فنهى عنها لأجل ذلك.

وكذلك المُزَعَفَر؛ لأنه كان من ثياب الكفار، يعني كان المشركون يصبغون به، وكان هذا النوع من الثياب ليس من عادة المسلمين لبسه، وكان المشركون يلبسونه فنهى عنه؛ لأجل هذه العلة، وليس لأجل لونه الأحمر بدليل أنه لبس الحُلة الحمراء.

ورأي آخر قالوا: الحُلة الحمراء التي لبسها النبي ﷺ كانت من حمرة مشوبة أو معها لون آخر وليست حمرة خالصة، وأخذوا هذا من حديث آخر، فيه أن النبي ﷺ لبس جُبة فيها خطوط حُمر وخطوط سود، فقالوا: لعلها هي المقصودة بالحُلة الحمراء. وليس المقصود حمرة خالصة فهذا أخذ به بعض العلماء وقالوا: يُنْهَى عن لبس الأحمر الخالص.

فهذه الآراء التي وردت في هذا الموضوع.

فعلى كل حال؛ النبي ﷺ ثبت عنه أنه لبس حُلة حمراء، وثبت عنه أنه لبس جُبة فيها خطوط حُمر وخطوط سود ﷺ.

في الحقيقة أيضًا مما تكلم فيه العلماء موضوع شراء الملابس الغالية أو النفيسة، أو لبس الثياب الرخيصة؛ فأكمل شيء هو الاعتدال، فخير الأمور الوسط، والاعتدال؛ لأن النبي ﷺ نهى عن ثياب الشهرة، وقالوا: ثوب الشهرة هذا إما لنفاسته وإما لحقارته، يعني الثوب الذي يشتهر به الإنسان إما لنفاسته؛ لكونه من الثياب التي لا يلبسها إلا واحد أو الأفراد المعدودون، بحيث إذا رُؤي صاحبها اشتهر بلبسه إياها؛ لكون عامة الناس يعجزون عن لبسها، فهذا مما يدخل في ثياب الشهرة.

كذلك من ثياب الشهرة: الثوب الخلق البالي، المرقع الممزق، أو الذي إذا لبسه الإنسان أُشير إليه على أنه فقير، طبعًا إلا أن يكون معذورًا يعني ليس عنده غيره يلبسه طبعًا لا حرج، لكن إذا كان الإنسان يستطيع أن يلبس ثوبًا أحسن منه فيكون منهياً عن تعمّد لبس الثوب البالي أو الخلق.

وفي نفس الوقت أيضًا نجد حديث النبي ﷺ قال: «مَنْ تَرَكَ اللباس تواضعًا لله ﷻ خيّرهُ الله يوم القيامة من أي حُلّ الإيمان شاء يلبسها» الذي يترك اللباس تواضعًا لله،

طبعًا هذا الحديث لا يفيد تحريم لبس اللباس النفيس أو الغالي، لكن يفيد أنه مَنْ ترك اللباس تواضعًا لله ﷺ يعني كان قادرًا على أن يشتري أفخر أنواع الثياب، التي يشتهر بها بين الناس، أو الثياب التي يعجز عامة الناس عن لبسها، فإذا كان قادرًا عليها ومع ذلك تركها، ليس بالضرورة تركها أنه يلبس رديئة أو ممزقة، ولكن تركها إلى ما هو أدنى منها، وأقل منها وهو قادر على ما هو أعلى، لكن تركها تواضعًا لله ﷺ فإن الله ﷻ يُلْبِسُه يوم القيامة من حُلل الإيمان، وهو من نعيم الآخرة الذي لا نعلم كيفيته.

والله ﷻ في القرآن سَمِيَ التقوى لباسًا؛ لأن التقوى تستر الإنسان، فقال الله تعالى: ﴿وَلْيَاسُ الثَّقَوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦].

فالخلاصة: أن خير الأمور الوسط، والنبى ﷺ كان يلبس ما وجد وكان لباسه من اللباس المعتاد المتعارف عليه الذي يلبسه الناس في زمنه ﷺ لكن كان عنده بعض الثياب النفيسة التي ربما أهدها إليه الملوك، وكان يلبسها ﷺ في العيدين وفي صلاة الجمعة، فكان ﷺ عنده بُرد حبرة يلبسه في العيدين، ويلبسه في الجمعة، ويلبسها للوفود.

لكن عامة لباسه ﷺ من جنس ما يلبسه الناس من القطن والكتان والصوف، والأزر والأردية والقمصان من الألبسة المعتادة.

٤- وَرَبَّمَا ارْتَدَى الْكِسَاءَ وَحْدَهُ لَيْسَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ، لَمْ يَعْدُهُ

ربما ارتدى النبى ﷺ الكساء وحده، والكساء: قطعة قماش غير مخيطة، غير مُفَصَّلة يقال لها: كساء، فربما ارتدى النبى ﷺ (الْكِسَاءَ وَحْدَهُ لَيْسَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ) ﷺ يعني ربما لبس كساءً ولم يلبس غيره، ويكون هذا الكساء طويلًا يغطي البدن، ويلبسه ﷺ.

٥- وَرُبَّمَا كَانَ الْإِزَارُ وَحْدَهُ لَيْسَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ يَعْقِدُهُ
في نسخة (يعقده) وفي نسخة (بعقده).

فالقصد: أن النبي ﷺ كان أحياناً أيضاً ربما لبس الإزار فقط، الإزار هو الذي يستر النصف الأسفل أحياناً ربما لم يضع الرداء ﷺ، ولبس الإزار وحده على نصفه الأسفل ﷺ.

٦- وَرُبَّمَا كَانَ عَلَيْهِ مِرْطٌ مُرَحَّلٌ، يَقْنَعُ لَا يَشْتِطُّ
(رُبَّمَا كَانَ عَلَيْهِ مِرْطٌ) ربما لبس النبي ﷺ مرطاً، والمرط: كساء من الخز أو الصوف، الخز: هو قماش منسوج من حرير وصوف، أو من صوف. فالمرط: إما يكون خزاً وإما أن يكون صوفاً.

فكان النبي ﷺ يلبس مرطاً إما من الخز وإما من الصوف الخالص.
والمرط كما ذكرنا يُؤْتَزَرُ به، فيلبس مثل الإزار؛ لأن المرط أيضاً من الثياب غير المخيطة أو غير المفصلة، عبارة عن قطعة قماش، فكان النبي ﷺ يلبس المرط أحياناً.
و(مُرَحَّلٌ) يعني منقوش عليه تصاوير، فكان يلبس المرط المُرَحَّلُ يعني المنقوش عليه التصاوير.

وطبعاً التصاوير التي كانت توجد في ثياب يلبسها النبي ﷺ من صور غير ذوات الأرواح كشجر ونحوه، وبعض العلماء يرى أنه حتى صور ذوات الأرواح يُعْفَى عنها في الثياب؛ لما جاء في حديث زيد بن أرقم قال: «إلا رقماً في ثوب» إن النبي ﷺ نهى عن الصور إلا رقماً في ثوب، يعني إلا الصور المنقوشة في الثياب التي تلبس، على أساس أنه يُعْتَبَرُ من الممتن، فيُعْفَى عنه.

لكن لم يرد صراحةً أن ثياب النبي ﷺ كان فيها صور من ذوات الأرواح، يعني لم يرد صراحةً، لكن نوعية المرط المرحل هو يكون فيه نقوش وتصاوير.

قال: (يَقْنَعُ لَا يَشْتَطُّ) يعني يقنع النبي ﷺ بهذا، (لَا يَشْتَطُّ) يعني لا يُجاوِزُ ﷺ فكان يرضى ﷺ بما يجد من الثياب ﷺ.

وهذا المرط كان الرجال يأتزرون به، والمرأة ربما لبسته خمارًا تلف به رأسها.

والمرط غالبًا يكون أسود اللون.

٧- وَرُبَّمَا صَلَّى بِثَوْبٍ وَاحِدٍ مُلْتَحِفًا بِهِ بِغَيْرِ زَائِدٍ

ربما صلى النبي ﷺ في ثوب واحد ملتحفًا به، يعني يلفه عليه، ربما صلى النبي ﷺ في ثوب واحد يلتحف به: يعني يلفه عليه - ﷺ -.

ووردت بعض الأحاديث التي تنهى عن الصلاة في الثوب الواحد، لكن قالوا: هذا إذا كان يُخشى ظهور العورة، يعني إذا كان الثوب الواحد تنكشف منه عورة الإنسان إذا صلى فهنا يُنهى عنه، لكن إذا كان ثوبًا واحدًا سابعًا يغطي البدن، فلا حرج في الصلاة فيه.

٨- لَا يُسْبَلُ الْقَمِيصُ وَالْإِزَارُ بَلْ فَوْقَ كَعْبَيْهِ هُمَا اقْتِصَارًا

٩- بَلْ رُبَّمَا كَانَا لِنِصْفِ السَّاقِ تَوَاضُعًا لِرَبِّهِ الْخَلْقِ

كان النبي ﷺ لا يُسْبَلُ القميص ولا الإزار، القميص: هو الثوب أو القفطان، وكذلك الإزار، فكان ثوب النبي ﷺ وإزاره لا يصلان إلى الكعبين، والكعبان: هما العظمان الناتئان في جانبي كل قدم، فكان النبي ﷺ لا يُجاوِزُ الكعبين في القميص وكذلك في الإزار.

(بَلْ رُبَّمَا كَانَا لِنِصْفِ السَّاقِ) ربما رفع النبي ﷺ قميصه حتى يكون إلى نصف الساق، وورد حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «أزرة المسلم إلى نصف الساق، فإن أبي فألى الكعبين».

١٠- يَلْبَسُ ثَوْبَهُ مِنَ الْمَيَامِنِ وَنَزْعُهُ بِالْعَكْسِ لِلتِّيَامِنِ

(يَلْبَسُ ثَوْبَهُ مِنَ الْمَيَامِنِ) يعني كان يحب التيامن ﷺ يعني: يُدْخِلُ الكم اليمنى قبل الكم اليسرى، أو يلبس الجهة اليمنى من الثوب قبل الجهة اليسرى، وأما عند النزع فبالعكس؛ ينزع اليسرى قبل اليمنى.

كذلك في لبس النعال والخفاف أيضًا كان النبي ﷺ يلبس اليمنى قبل اليسرى، وفي النزع ينزع اليسرى قبل اليمنى، ويقول: «لتكن اليمنى أولاهاما تُنْعَل، وأخراهما تُخْلَع»؛ يعني لأنه من باب الإكرام، فكون الرجل مثلاً متعلقة أكمل من كونها حافية، فتكون اليمنى يطول وقت انتعالها، فهي تلبس أولاً وتُخْلَع آخراً، فتكون هي التي يطول وقتها.

كذلك في الأكمام يلبس الكم الأيمن أولاً ثم الأيسر، وعند النزع ينزع الأيسر أولاً ثم الأيمن.

١١- كَانَتْ لَهُ (مِلْحَفَةٌ) مَصْبُوعَةٌ بِزَعْفَرَانٍ أَوْ بِوَرَسٍ يُنْبَتُ

النبي ﷺ كانت له ملحفة، والملحفة: قطعة قماش طويلة يُتَغَطَّى بها عند النوم، وتُلفّ على البدن في البرد وغيره وعند الحاجة إليها فوق الثياب.

فالنبي ﷺ كانت له ملحفة، وهذه الملحفة كانت مصبوغة بالزعفران والورس.

والورس: نوع من النبات الذي يُصَبَّغُ به.

والزعفران: معروف أيضًا نبت يُصَبَّغُ به، وصبغته لونه أحمر، صبغة الزعفران والورس كذلك تعطي لونًا أحمر.

فكان عند النبي ﷺ ملحفة مصبوغة بالزعفران والورس، فكان ربما التحف بها أو تغطي بها ﷺ.

١٢- يَقُولُ عِنْدَ اللَّبِيسِ بِاللِّسَانِ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَسَانِي»

١٣- مَا يَسْتُرُ الْعَوْرَةَ مِنْ لِبَاسٍ مَعَ التَّجَمُّلِ بِهِ فِي النَّاسِ

هنا يشير إلى معنى الدعاء النبوي الذي كان يدعو به النبي ﷺ إذا لبس الثوب ويوصي به، فكان ﷺ إذا لبس ثوبًا يقول: «مَنْ لبس ثوبًا جديدًا، فقال: الحمد لله الذي كساني ما أوارني به عورتي، وأتجمل به في حياتي، ثم عمد إلى الثوب الذي أخلق» أي: القديم الذي بلي. «فتصدق به، كان في كنف الله، وفي حفظ الله، وفي ستر الله حيًّا وميتًا» هذا الحديث رواه الترمذي وابن ماجه من حديث عمر ﷺ، وفي سنده ضعف، لكنه من فضائل الأعمال.

فيدعو بهذا الدعاء يقول: الحمد لله الذي كساني ما أوارني به عورتي، وأتجمل به في حياتي، ويعمد إلى الثوب القديم إذا كان صالحًا للبس ويوجد مَنْ يحتاج إليه، ويمكنه أن يلبسه، فيتصدق به فله الأجر على هذا.

وكان ﷺ إذا لبس ثوبًا يقول: «الحمد لله الذي كساني ما يستر عورتي».

ومن دعائه أيضًا ﷺ يقول: «الحمد لله الذي كساني هذا الثوب بحوله وقوته من غير حول مني ولا قوة» ويُسمى الثوب باسمه، يقول: كساني هذا القميص، أو هذا الرداء، أو هذا الإزار، بحوله وقوته من غير حول مني ولا قوة.

فكان النبي ﷺ يحمد الله ﷻ عند لبس الثياب.

١٤- وَيَصْعَدُ الْمِنْبَرَ إِذْ يَشَاءُ بِرَأْسِهِ عِصَابَةً دَسْمَاءُ

كان النبي ﷺ يلبس العصابة، العصابة: يعني العمامة، فكان من هديه ﷺ لبس العمامة، وهي لفافة تُلفُّ حول الرأس، وبعض العلماء يقول: ثلاث لفات فوق الرأس، وطرف يكون من تحت الحنك، وذؤابة تكون من الخلف.

فكان النبي ﷺ يلبس العمامة، ويشير هنا إلى الحديث الذي فيه أن النبي ﷺ «خطب على المنبر، وعليه عمامة دسماء» ما معنى دسماء؟

قليل: عمامة دسماء يعني سوداء؛ لأن النبي ﷺ في أحاديث أخرى ورد أنه كان يلبس عمامة سوداء، وكان له عمامة بيضاء أيضًا. كان ربما لبس عمامة سوداء ﷺ، وأحيانًا يلبس عمامة بيضاء ﷺ.

فقليل: لبس عمامة دسماء، فُتُسِّرَتْ بأنها سوداء.

والتفسير الآخر: قالوا: دسماء يعني لونها لون الدسم، الدسم: وهو الدهن، قالوا: من كثرة ما كان يضع النبي ﷺ من الدهن (الطَّيِّب) على رأسه الشريف كان بريق الطيب يظهر في مفرق رأس رسول الله ﷺ، فربما تسرَّب إليها الدهن الذي كان يتطيب به ﷺ حتى صار لونها لون الدسم، كأنها عليها سمن أو دهن فقالوا: دسماء.

١٥- وَنَعْلُهُ الْكَرِيمَةُ الْمَصُونَةُ طُوبَى لِمَنْ مَسَّ بِهَا جَبِينَهُ

١٦- لَهَا قَبَالَانِ بَسِيرٌ، وَهُمَا سَبْتَتَانِ سَبَتُوا شَعْرَهُمَا

(وَنَعْلُهُ الْكَرِيمَةُ الْمَصُونَةُ) يصف نعل النبي ﷺ بأنها كريمة، وبأنها مصونة؛ لأنها مسَّت قدم رسول الله ﷺ، والنبي ﷺ مبارك، وكل ما مسّه ﷺ فإنه يُتَبَرَكُ بمسّه ﷺ.

يقول: (طُوبَى لِمَنْ مَسَّ بِهَا جَبِينَهُ) طوبى: يعني هنيئاً لِمَنْ استطاع أن يلمس نعل النبي ﷺ، ولو وضعها على جبينه لكان هذا شرفاً له؛ لبركة رسول الله ﷺ، وبركة ما لبسه ومسّه ﷺ.

ثم يذكر صفة نعل النبي ﷺ فيقول: (لَهَا قَبَالَانِ بِسِيرٍ) لها قبالان، والقبال: هو السير الذي يكون بين الإصبعين، فكان لها قبالان، قبال بين الأصبع الكبير والسبابة، والآخر بين السبابة والوسطى، ومجمع القباليين إلى سير على ظهر القدم.

ونعل النبي ﷺ كانتا سبتيتين، والسبتية: هي التي صُنعت من جلد البقر المدبوغ الذي أزيل عنه شعره، فكانت نعل النبي ﷺ من جلد البقر.

ثم ذكر طول نعل النبي ﷺ وعرضها وطولها:

١٧- وَطُولُهَا شِبْرٌ وَإِصْبَعَانِ وَعَرْضُهَا مِمَّا يَلِي الْكَعْبَانِ

طول نعل النبي ﷺ شبر، وإصبعان: أي إذا وضعت فبعد نهاية الشبر تقيس عرض أصبعين، فالشبر يصل إلى قُرب نهاية القدم.

وعرض النعل من جهة الكعبين أي الجزء الأخير منها، فقال: من جهة الكعبين سبع أصابع.

١٨- سَبْعُ أَصَابِعَ وَبَطْنُ الْقَدَمِ خَمْسٌ، وَفَوْقَ ذَا فَسَتْ فَأَعْلَمُ

(وَبَطْنُ الْقَدَمِ خَمْسٌ) يعني العرض عند بطن القدم يضيق، ويصبح خمسة أصابع. (وَفَوْقَ ذَا فَسَتْ) الجزء الأعلى ستة، فالترتيب هكذا: فوق ستة أصابع، وفي المنتصف خمسة، وتحت عند الكعب سبعة.

وبعض نعال النبي ﷺ كانت حُفِظَتْ في بعض الأماكن، وقاسها العلماء، ورسموها

في كتب السيرة والسُّنة. طبعًا هذا من باب العلم بالشيء، يعني ليس بالضرورة أن الإنسان يصنع نعله بهذه المقاييس، كل إنسان حسب مقاس قدمه، لكن هذا للتعريف بصفة النعل التي لبسها الرسول ﷺ.

١٩- **وَرَأْسُهَا مُحَدَّدٌ، وَعَرَضُ مَا بَيْنَ الْقِبَالَيْنِ أَصْبَعَانِ، أَضْبِطْهُمَا (وَرَأْسُهَا مُحَدَّدٌ) رَأْسُهَا مُحَدَّدٌ: يَعْنِي مُدَبَّبٌ.**

عرض ما بين القبالتين: إصبعان.

٢٠- **وَهَذِهِ تِمَثَالُ تِلْكَ النَّعْلِ وَدُورُهَا، أَكْرَمُ بِهَا مِنْ نَعْلِ (وَهَذِهِ تِمَثَالُ) يَعْنِي صُورَةٌ أَوْ رَسْمٌ، التَّمَثَالُ: هُوَ الصُّورَةُ أَوْ الرِّسْمُ، وَرَسَمَهَا النَّازِمُ الْحَافِظُ الْعِرَاقِيُّ ﷺ يَعْنِي رَسْمُ صُورَةِ النَّعْلِ.**

(وَدُورُهَا) يَعْنِي تَدْوِيرُ النَّعْلِ، كَيْفَ كَانَ تَدْوِيرُهَا وَشَكْلُهَا.

(أَكْرَمُ بِهَا مِنْ نَعْلِ).

فهذه صفة نعل رسول الله ﷺ.

وكان النبي ﷺ يحث المسافرين على الاستكثار من النعال «فَعَنْ جَابِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ فِي غَزْوَةِ غَزُونَاهَا: «اسْتَكْثِرُوا مِنَ النَّعَالِ، فَإِنَّ الرَّجُلَ لَا يَزَالُ رَاكِبًا مَا انْتَعَلَ»^[١].

المسافر لا يزال راكبًا ما انتعل، يعني: طالما معك نعل فأنت كالراكب، إذا انقطع السير، واضطرت إلى المشي حافيًا فكأنك أصبحت بلا دابة تركبها.

باب ذِكْرِ صِفَةِ خَاتَمِهِ ﷺ.

١- خَاتَمُهُ مِنْ فِضَّةٍ وَفَصُّهُ مِنْهُ وَنَقَشَ عَلَيْهِ، نَصُّهُ:

٢- «مُحَمَّدٌ» سَطْرٌ «رَسُولٌ» سَطْرٌ «اللَّهِ» سَطْرٌ، لَيْسَ فِيهِ كُبْرٌ

اتخذ النبي ﷺ خاتماً من فضة.

(وَفَصُّهُ مِنْهُ) وفصه من الفضة أيضاً، من نفس مادة صُنِعَ الخاتم.

(وَنَقَشَ عَلَيْهِ، نَصُّهُ) منقوش على فصّ خاتم النبي ﷺ: (محمد رسول الله)، وكانت

منقوشة ثلاثة أسطر: كلمة محمد في السطر الأسفل، ورسول في السطر الأوسط، والله

في السطر الأعلى، يعني تُقرأ من الأسفل إلى الأعلى: محمد رسول الله، فهذا خاتم النبي

ﷺ، وكان النبي ﷺ يستعمله للبس للترزين، فالنبي ﷺ كان يلبسه للترزين به، وفي نفس

الوقت لاستعماله في ختم الكتب والرسائل، فكان النبي ﷺ يختم كتبه بهذا الخاتم.

وقوله: (لَيْسَ فِيهِ كُبْرٌ) وفي نسخة: (ليس فيه كسرٌ) وفُسِّرَت بأن كل كلمة في سطر

مستقل، الكلمة كاملة في سطر

فقوله: (ليس فيه كسر) بمعنى أن الكلمات كاملة في سطورها.

٣- وَفَصُّهُ لِبَاطِنٍ يَخْتَمُ بِهِ وَقَالَ: «لَا يُنْقَشُ عَلَيْهِ يَشْتَبَهُ»

يقول: إن النبي ﷺ كان يجعل فص الخاتم لباطن الكف، وليس من الجهة الظاهرة.

وقال ﷺ: (لَا يُنْقَشُ عَلَيْهِ يَشْتَبَهُ) يعني نهى النبي ﷺ أن يُنْقَشَ على نقش خاتمه ﷺ

حتى لا يشتبه خاتمه بخاتم غيره، يعني خشي النبي ﷺ إذا اتخذ خاتماً منقوشاً عليه:

«محمد رسول الله» أن كل الصحابة يجعلون خواتمهم منقوشاً عليها: «محمد رسول الله» فيشتبه خاتمه بخاتم غيره، فنهى أن يُنقش على نقش خاتمه.

طبعاً هذا في حياته ﷺ حتى لا تشبه الكتب التي ختمها النبي ﷺ بالتي ختمها غيره، لكن بعد وفاته ﷺ لا حرج لو أن شخصاً صنع خاتماً بهذا النقش؛ لزوال المانع الذي لأجله منع النبي ﷺ.

٤- يَلْبُسُهُ كَمَا رَوَى الْبُخَارِيُّ: «فِي خَنْصِرٍ يَمِينٍ أَوْ يَسَارٍ»

٥- كِلَاهُمَا فِي مُسْلِمٍ، وَيُجْمَعُ: بِأَنَّ ذَا فِي حَالَتَيْنِ يَقَعُ

٦- أَوْ خَاتَمَيْنِ كُلُّ وَاحِدٍ بِيَدٍ: كَمَا بَفَصَّ حَبَشِيٌّ قَدْ وَرَدَ

فهنا يقول إن النبي ﷺ كان يلبس خاتمه في خنصر اليد اليمنى أو خنصر اليد اليسرى، الخنصر: هو الإصبع الصغير، في اليد اليمنى أو في اليد اليسرى.

قال: (كِلاهُمَا فِي مُسْلِمٍ) يعني جاء التختم في اليمين واليسار كليهما في صحيح مسلم، وكلاهما جاء في صحيح البخاري، يعني في البخاري ومسلم أن النبي ﷺ تختّم في اليمين، وفيهما أنه تختّم في اليسار ﷺ.

بعض أحاديث خاتم النبي ﷺ فيها أن النبي ﷺ اتخذ أول ما اتخذ خاتماً من ذهب قبل تحريم الذهب، ورد في بعض الأحاديث أن النبي ﷺ أول ما اتخذ: اتخذ خاتماً من ذهب ولبسه في خنصر اليمنى، ثم نُهي عن الذهب للرجال، لما نُهي النبي ﷺ عن لبس الذهب، ونُهي الرجال عن الذهب فنزعه النبي ﷺ واتخذ خاتماً من فضة، ولبسه في خنصر يده اليسرى، فعلى هذه الأحاديث هذا يفيد أن التختم في خنصر اليسرى كان آخر الأمرين منه ﷺ.

وبعض العلماء يقول: إنه حتى بعد النهي عن لبس خاتم الذهب، كان النبي ﷺ يلبس خاتم الفضة أحياناً في اليمين، وأحياناً في اليسار، و الصحابة بعد النبي ﷺ منهم مَنْ كان يتختم في اليمين، ومنهم مَنْ كان يتختم في اليسار.

ويذكر شراح الحديث أن الصحابة منهم من كان يتختم في خنصر اليمنى، ومنهم من كان يتختم في خنصر اليسرى، فكأن الصحابة رأوا كلا الأمرين جائزاً لا حرج فيه. وورد أيضاً أن النبي ﷺ لبس خاتماً له فص حبشي، يعني له فص من الأحجار الكريمة من أحجار الحبشة.

فهذه الأحاديث التي وردت قالوا: إما أن تُحمَل على حالتين: أن النبي ﷺ في بعض الأحيان لبس خاتماً له فص حبشي، وفي أحيان أخرى لبس الخاتم الذي نقشه محمد رسول الله.

أو يُحمَل هذا على أنه ربما كان له خاتمان، وربما تختم بهما في وقت واحد: هذا في اليمين وهذا في اليسار، لكن في الحقيقة الأظهر: أنه يحمل على اختلاف الأوقات، وأنه لم يُنْقَل أنه ﷺ تختم بخاتمين في وقت واحد، وإنما بعض العلماء حاول الجمع بين الأحاديث بهذا، لكن الأحسن: أن يقال: إنه مع اختلاف الأوقات، يعني: أنه تختم أحياناً بخاتم من فضة له فص حبشي، لبسه أحياناً، وأحياناً كان يلبس الخاتم الذي نقشه محمد رسول الله.

وهنا سؤال: هل يجب نزع الخاتم عند الوضوء؟ قالوا: إذا كان الخاتم ضيقاً لا يصل الماء إلى ما تحته فهنا يُحرَّك عند الوضوء، ليس بالضرورة أن ينزعه بالمرة، لكن يكفي تحرّكه، أما إذا كان واسعاً والماء ينفذ من خلاله فلا يحتاج إلى نزع عند الوضوء.

وورد في حديث في سنده شيء من الضعف أن النبي ﷺ كان إذا أراد الخلاء وضع خاتمه؛ لأن نقشه فيه اسم الله، لكن الحديث في سنده ضعف.

وعلى كل حال، يأخذ منه العلماء أنه من أدب دخول الخلاء ألا يدخله بشيء فيه اسمه الله ﷻ إلا إذا خشي أن يُسرق أو يضيع كالدرهم والدنانير التي يكون عليها شيء من القرآن، ويخشى أن يضيع إذا تركها فلا حرج بالدخول بها، لكن يجتهد في سترها في هذه الحالة، وكذلك المرأة إذا كانت عندها سلسلة فيها شيء من القرآن، أو الرجل عنده خاتم فيه شيء فيه ذكر الله ﷻ فيستره أو يديره أو يضعه في داخل ثوبه، أو شيء من هذا فهذا من أدب دخول الخلاء.

باب ذِكْرِ فِرَاشِهِ ﷺ

- ١- فِرَاشُهُ: مِنْ أَدَمَ وَحَشَوُهُ لَيْفٌ، فَلَا يُلْهِى بِعُجْبِ زَهْوُهُ
- ٢- وَرَبَّمَا نَامَ عَلَى الْعَبَاءَةِ يَثْنِيَتَيْنِ عِنْدَ بَعْضِ النِّسْوَةِ
- ٣- وَرَبَّمَا نَامَ عَلَى الْحَصِيرِ مَا تَحْتَهُ شَيْءٌ سِوَى السَّرِيرِ

كان فراش النبي ﷺ من آدم، والأدم: جمع أديم، والأديم: هو الجلد المدبوغ. (وَحَشَوُهُ لَيْفٌ) جلد مدبوغ ومحشو بالليف، مثل: (المرتبة) التي يُنام عليها، كانت مصنوعة من الجلد وحشوها من الداخل من الليف.

قال: (فَلَا يُلْهِى بِعُجْبِ زَهْوُهُ) الزهو: هو حُسن المنظر، فكان فراش النبي ﷺ متواضعاً، كان فراشه ﷺ متواضعاً ليس مما يُلهي بالزهو، ما كان عنده أثاث فاخر كما يتباهى الناس بالأثاث، ولكن كان فراشاً من الجلد المحشو بالليف ينام عليه ﷺ.

قال: (وَرَبَّمَا نَامَ عَلَى الْعَبَاءَةِ يَثْنِيَتَيْنِ) أحياناً كان النبي ﷺ ينام على العباءة مشية ثنيتين، تُثنى ثنيتين وينام عليها ﷺ. (عِنْدَ بَعْضِ) نسائه.. وورد هذا في سُنن الترمذي عن حفصة أم المؤمنين ﷺ أن النبي ﷺ كان له فراش في بيت حفصة ﷺ من عباءة، والعباءة قماشة كبيرة ومطوية على اثنتين وينام عليها النبي ﷺ، وأنها قالت للنبي ﷺ ذات مرة: لو ثنيته بأربع ثنيات كان أوطأ لك، فثناه بأربع، فلما أصبح أمر برده لحالته الأولى، يعني نام مرة عليه أربع ثنيات، ثم أمر بعد ذلك برده على وضعه الأول يعني ثنيتين فقط.

قال: (وَرَبَّمَا نَامَ عَلَى الْحَصِيرِ) أحياناً كان النبي ﷺ ينام على الحصير.

(مَا تَحْتَهُ شَيْءٌ سِوَى السَّرِيرِ) السرير في لغة العرب: هو كل فراش يُنام عليه، السرير هو أي فراش يُنام عليه، فأَي بساط أو فراش تنام عليه فهو سرير.

والحصير معروف أنه خشن، أحياناً كان ربما نام على الحصير، فأثر في جلد النبي ﷺ، فإذا قام كان في جلده علامات من أثر الحصير.

باب ذِكْر طيبه وكُله .

- ١- الطَّيْبُ وَالنِّسَاءُ: حُبَّاهُ وَيَكْرَهُ: الرِّيحَ الْكَرِيهَ كُلَّهُ
- ٢- وَطَيْبُهُ غَالِيَةٌ، وَمِسْكُ وَعَيْنُهُ: يَكْحُلُهَا بِالْإِثْمِ
- ٣- بَحُورُهُ: الْكَافُورُ وَالْعُودُ النَّدِي
- ٤- ثَلَاثَةٌ فِي الْعَيْنِ لِلْإِتَارِ وَرُوي: اثْنَتَيْنِ فِي الْيَسَارِ

النبي ﷺ حُبَّ إليه من الدنيا: الطيب، والنساء، قال ﷺ: «حُبَّ إِلَيَّ من دنياكم: النساء والطيب، وجُعِلَتْ قُرَّة عيني في الصلاة».

توجد رواية ضعيفة أو البعض ينسبها إلى النبي ﷺ: «حُبَّ إِلَيَّ من دنياكم ثلاث» لكن هذا ليس بصحيح؛ لأن الصلاة ليست من أمور الدنيا، وإنما النبي ﷺ حُبَّ إليه من الدنيا أمران: هما: الطيب، والنساء فقط، فأمران من الدنيا، أما الصلاة فهذه ليست من أمور الدنيا.

قال: «وجُعِلَتْ قُرَّة عيني» يعني سعادتي وراحتي «في الصلاة».

قال: (وَيَكْرَهُ: الرِّيحَ الْكَرِيهَ كُلَّهُ) كان النبي ﷺ يكره الريح الكريه يكره أي رائحة كريهة.

طبعًا في أمر النساء كان النبي ﷺ قد أعطاه الله ﷻ قوة ليست لغيره ﷺ فجاء في حديث أنس ﷺ في صحيح البخاري، قال: «كُنَّا نتحدث أنه أوتي قوة ثلاثين ﷺ وكان يطوف على نسائه جميعًا، وهنَّ تسع نسوة، فيعاشرهن جميعًا ﷺ تسع نسوة بغسل

واحد ﷺ، كان ربما ﷺ عاشر أزواجه التسع كلهن في الليلة الواحدة بغسل واحد ﷺ ويقول أنس: وكنا نتحدث أنه أوتي قوة ثلاثين ﷺ. فهذا مما أعطاه الله ﷺ من القوة.

فكان يكره الريح الكريه كله، ومما كان يكرهه ﷺ: رائحة الثوم، ورائحة البصل، والكراث، ونحوها، فكان يقول: «من أكل ثومًا أو بصلاً أو كراثًا فليعتزل مسجدنا»، وقال: «إن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم»، وكان يحب الريح الطيب.

وحتى الحناء مثلاً، كانت أمهات المؤمنين يختضبن بالحناء فقالت: كان ﷺ يعجبه لونه، ولا يعجبه ريحه، كان يحب لون الحناء في المرأة إذا اختضبت بالحناء، لكن لا يحب رائحة الحناء ﷺ.

فكان يعني يحب الروائح الطيبة ويكره ﷺ الروائح الكريهة.

قال: (وَطِيبُهُ غَالِيَةٌ) الطيب الذي يتطيب به ﷺ الغالية، والغالية: نوع من الطيب مركب من المسك، والعنبر، والعود، والكافور، نوع يعني مخلوط فيه مسك، والمسك هذا، المسك كما قالوا: بعض دم الغزال.

فهذه أنواع الطيب التي كانت يُخلَط بعضها ببعض، ويُصَنَع منها دهن، يتطيب به ﷺ؛ فـ (طِيبُهُ غَالِيَةٌ).

(وَمِسْكٌ، وَالْمِسْكُ وَحْدَهُ) فكان أحياناً يتطيب بالغالية، والمسك.

والغالية أيضاً أحياناً تأتي بمعنى العود، فالعود فقط يقال له أيضاً الغالية، فكان يتطيب بنوع العود هو الفاخر، أو النفيس ذو الرائحة، فأفضل أنواع العود يقال لها: الغالية، فكان النبي ﷺ يتطيب بالغالية، وأحياناً بالمسك وحده ﷺ.

قال: (كَذَاكَ السُّكُّ) والسُّكُّ هو طيب مصنوع من المسك، ومن صبغ أسود.

لأن المسك الأصلي يكون لونه أبيض، مثل لون الزبد والسمن، هذا المسك الأصلي، ويكون طيب الرائحة، فأحياناً يُخلط المسك بنوع من الصبغ الأسود الطيب الرائحة أيضاً، ويقال له: السُّك في هذه الحالة.

قال: (بَخُورُهُ: الْكَافُورُ وَالْعُودُ النَّدِيُّ).

الأول هذا الطيب الدهني الذي يُتَطَيَّب به على الجلد والرأس والشعر، وكان النبي ﷺ يتطيب في رأسه ولحيته ﷺ يعني يضع الطيب في رأسه وفي لحيته ﷺ، وفي يديه وبدنه.

وكذلك بالنسبة للبخور، وهو الأعواد الخشبية التي يوضع معها الفحم وتُشعل؛ ليكون لها بخار يُتَطَيَّب به، فكان النبي ﷺ يتبخر بالكافور مع العود، وهما نوعان من الخشب، خشب الكافور، وأخشاب العود.

قال: (وَعَيْنُهُ: يَكْحُلُهَا بِالْإِثْمِدِ) حجر الإثمد، وهو كُحل الإثمد، فكان النبي ﷺ يكحل عينه بالإثمد ﷺ قبل النوم في الليل، (ثَلَاثَةٌ فِي الْعَيْنِ) يعني ثلاث مرات في كل عين في رواية، وفي رواية أخرى أنه: (ثلاث مرات في اليمنى، ومرتان في اليسرى) بحيث يكون المجموع وتراً، فكان يكتحل وتراً: إما وتراً في كل عين ثلاثة وثلاثة، أو وتراً في مجموعة العينين، يعني ثلاثة هنا واثنين هنا فيكون المجموع وتراً.

باب ذِكْرِ معجزاته ﷺ.

والمعجزات: جمع معجزة، وهي خوارق العادات التي يُجريها الله ﷻ على يد أنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم.

فخرق العادة للأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - إظهاراً لنبوتهم، وإقامة للحجة على أقوامهم يقال له: معجزات، ويقال له أيضاً: آيات، ومصطلح الآية أحسن من مصطلح المعجزة لاشك؛ لأنه المصطلح القرآني، دائماً في القرآن الكريم، مثلاً يقول - تعالى - عن معجزات موسى ﷺ: ﴿فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ﴾ [النمل: ١٢]..

وخرق العادة إذا أجراه الله ﷻ لنبي كريم من الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - فإنه يقال له: آية أو معجزة، وإذا أجراه الله ﷻ لولي من الأولياء الصالحين، يقال له: كرامة.

وإذا وقع خرق العادة لمشرك أو ساحر أو نحو ذلك، ففي هذه الحالة يكون هذا من عمل الشياطين والعياذ بالله ﷻ يضلون به الناس، والعياذ بالله تعالى.

فقد تنخرق العادة فتنة للناس على يد رجل ضال أو منحرف أو غير ذلك، فلا يُستدل بخرق العادة على صلاح فاعلها، وإنما صلاح الإنسان واستقامته هو الذي يدل على أن خرق العادة كرامة من الله ﷻ له، أو أنه من تلاعب الشياطين من السحر والشعوذة.

فخرق العادات الذي أجراه الله ﷻ لنبينا محمد ﷺ وقع كثيراً، وهناك من العلماء مَنْ عدَّ معجزات النبي ﷺ فجعلها بالآلاف، ولكن يمكن إرجاع هذه المعجزات إلى أنواع رئيسة ثم كل نوع من هذه الأنواع تحته أنواع، فهناك معجزة القرآن العظيم ويمكن

عُدُّها على أنها معجزة واحدة وتحتها معجزات كثيرة تندرج تحت كونها معجزة القرآن الكريم؛ لأن القرآن الكريم فيه إعجاز تشريعي، وإعجاز بلاغي، وإعجاز من جهة الإخبار عن الأمور المغيبة.

فكل آية من آيات القرآن الكريم فيها وجوه يعني من وجوه الإعجاز.

ذكر المؤلف رحمته عددًا من هذه المعجزات ليس على سبيل الحصر، وإنما على سبيل التمثيل، وذكر الأنواع الرئيسة التي يندرج تحتها أنواع أخرى.

١- أَعْظَمُهَا: مُعْجَزَةُ الْقُرْآنِ تَبْقَى عَلَى تَعَاقِبِ الْأَزْمَانِ

فهذه أعظم معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم معجزة القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ حيث حفظه الله صلى الله عليه وسلم من التحريف ومن التغيير على تعاقب الزمان، فكما أنزله الله صلى الله عليه وسلم على نبيه صلى الله عليه وسلم جعله الله تعالى محفوظًا في صدور حفاظ القرآن العظيم.

والقرآن - كما ذكرنا - إعجازه من وجوه عديدة؛ لما فيه من الإخبار عن الأمور المغيبة مثل قوله - تعالى - مثلاً: ﴿ غُلِبَتِ الرُّومُ ۚ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۚ فِي بَضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۚ ﴾ [الروم: ٢-٤].

وغير ذلك مما أخبر الله صلى الله عليه وسلم عنه أنه سيقع ووقع كما أخبر الله صلى الله عليه وسلم وكذلك ما فيه من الإعجاز التشريعي، وما فيه الشريعة الكاملة العادلة، والإعجاز من جهة الإخبار عن أحوال الأمم السابقة بما يطابق الحقيقة رغم كون النبي صلى الله عليه وسلم ما قرأ قبله كتابًا ولا خطَّ بيمينه صلى الله عليه وسلم كتابًا كما قال صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَمَا كُنْتُ نَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِي ۖ إِذَا لَازَتْكَ الْمُبْتَلُونَ ۚ ﴾ [٤٨] بَلْ هُوَ آيَاتٌ يَبْنِي فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَحْكُدُ بِأَيْدِينَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ۚ ﴾ [العنكبوت: ٤٨-٤٩].

فالنبي ﷺ ما تلا كتابًا قبله، ومع ذلك أخبر عن هذه الوقائع التي منها وقائع كان لا يعلمها إلا الأفراد من كبار علماء أهل الكتاب، وكانوا يأتون يسألون النبي ﷺ عن هذه الوقائع التي كانوا يُسرّونها فيما بينهم، مثلما سألوه عن الروح، وسألوه عن أصحاب الكهف، وسألوه عن ذي القرنين، وأمور كان لا يعلمها إلا الأفراد من أكابرهم، ويجعلونها سرًّا لا يطلع عليه غيرهم، وأخبر عنها النبي ﷺ على وجهها وصفتها، الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم كما ذكرنا.

الإعجاز البلاغي في هذا القرآن العظيم، وكان العرب أهل بلاغة وفصاحة ويُضرب بهم المثل في هذا وجاء القرآن الكريم، فشهدوا له أنهم لا يستطيعون أن يقولوا مثله، وأنه ليس بقول الإنس ولا الجن، ولا هو مثل الشعر ولا مثل سجع الكهان، وشهدوا له بأنه لا يُستطاع الإتيان بمثله.

٢- كَذَا انْشِقَاقُ الْبَدْرِ حَتَّى افْتَرَقَا يَفْرَقَتَيْنِ، رَأَى عَيْنٍ حَقَّقَا

هذه معجزة ثانية من معجزات النبي ﷺ وهي انشقاق القمر للنبي ﷺ فرقتين، وذلك كما مر بنا من قبل أن النبي ﷺ أرى المشركين آية عظيمة، وذلك أن القمر انشق فرقتين، وكان ذلك ليلة البدر، ورأوا فلقه من القمر في جهة، وفلقه في الجهة الأخرى فقالوا: سحر محمد أعيننا، وقال لهم بعضهم: لئن سحر أعينكم لن يسحر أعين الناس جميعًا، ثم قدم المسافرون وأخبروا أنهم رأوا القمر مشقوقًا في هذه الليلة التي أراهم فيها النبي ﷺ القمر مشقوقًا.

٣- وَقَدْ زَوَى لَهُ إِلَاهُ حَقًّا الْأَرْضَ، مَغْرِبًا لَهَا وَشَرْقًا

٤- وَقَالَ: «مَا زَوَاهُ لِي سَيَبْلُغُ إِلَيْهِ مُلْكُ أُمِّي»، فَبَلَّغُوا

كذلك من معجزات النبي ﷺ بصفة عامة إخباره عن الأمور الغيبية التي وقعت مثلما أخبر ﷺ، ومن هذا: أنه قال ﷺ: «إن الله زوى لي الأرض» يعني جمع لي الأرض وضم بعضها لبعض حتى رآها النبي ﷺ، قال: «فرايت مشارقها ومغاربها، وإن ملك أمتي سيبلغ ما زوي لي منها» ملك أمة النبي ﷺ سيبلغ في اتجاه الشرق إلى أقصى نقطة رآها النبي ﷺ جهة الشرق، وجهة الغرب أيضًا إلى آخر بقعة زويت للنبي ﷺ وطويت له من جهة الغرب.

ووقع هذا مثلما أخبر النبي ﷺ، ما مرت سنوات معدودة بعد إخبار النبي ﷺ بهذا حتى كانت جيوش المسلمين قد دخلت الصين شرقًا، وتوغلت غربًا حتى وصلت إلى المحيط الأطلسي، فبلغ ملك أمة النبي ﷺ أقصى المشرق وأقصى المغرب.

وقالوا هنا: من الإعجاز في هذا الحديث أن النبي ﷺ لم يذكر جهتي الشمال والجنوب، وذلك أن ملك أمة ﷺ لم يتوسع شمالًا وجنوبًا مثل توسعه شرقًا وغربًا، يعني أمة الإسلام اتسعت، واتسع ملكها في اتجاه الشرق وفي اتجاه الغرب بما لم يتسع إليه بنفس الكيفية في اتجاهي الشمال والجنوب مثلما أخبر ﷺ.

فالقصد: أن النبي ﷺ أخبر عن ملك أمة وأنه سيتسع اتساعًا عظيمًا في اتجاه الشرق وفي اتجاه الغرب، ووقع مثلما أخبر ﷺ.

٥- وَحَنَ جِذْعُ النَّحْلِ لَمَّا فَارَقَهُ لِمُنْبَرٍ إِلَيْهِ، حَتَّى اعْتَنَقَهُ

من معجزات النبي ﷺ: حنين الجذع إليه لما فارقه النبي ﷺ (لِمُنْبَرٍ) فصار يخطب على المنبر ﷺ.

فكان النبي ﷺ يخطب الجمعة على جذع، كان ﷺ يقف فوقه؛ ليخطب الجمعة ﷺ ثم إن امرأة من الأنصار ﷺ قالت للنبي ﷺ: إن لي غلامًا نجارًا، كان عندها غلام

نجار فقالت: يصنع لك منبراً تخطب عليه، فوافق النبي ﷺ على هذا، وهذا الغلام النجار صنع منبراً للنبي ﷺ.

فأول خطبة خطبها النبي ﷺ على المنبر سُمع للجذع حنين مثل: حنين العشار يعني مثل الناقة الحامل، وفي بعض الروايات مثل: أنين الصبي، فسمِع للجذع هذا الصوت حتى نزل النبي ﷺ عن المنبر أثناء الخطبة فالتزمه وسكن، وفي رواية: فاحتضنه النبي ﷺ وسارّه بشيء، وكلمه النبي ﷺ بشيء وربت عليه - ﷺ - فسكن هذا الجذع.

٦- وَنَبَعَ الْمَاءُ فَجَاشَ كَثْرَةً مِنْ بَيْنِ إصْبَعَيْهِ، غَيْرَ مَرَّةٍ

هذه معجزة أخرى لرسول الله ﷺ، أو هي نوع من أنواع المعجزات يضم تحته أكثر من واقعة؛ وهو نبع الماء من بين أصابع النبي ﷺ.

فجاء في صحيح البخاري: «وضع النبي ﷺ يده في ركة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون، فشربنا وتوضأنا»، ووقع هذا غير مرة، فمنها في صلح الحديبية، وفي غزوة تبوك، وفي غيرها من الوقائع، كان يحصل أحياناً نفاد الماء مع النبي ﷺ وأصحابه في سفر ونحوه ويحتاجون إلى الشراب، فيضع يده ﷺ في إناء، فيتفجر الماء من بين أصابعه ﷺ حتى يُصبح كالعيون يشربون ويملؤون أوانيهم، ويكفي هذا الماء لجيش كبير يشربون من هذا الماء.

٧- وَسَبَّحَ الْحَصَى بِكَفِّهِ بِحَقِّ كَذَا الطَّعَامُ عِنْدَهُ بِهِ نَطَقَ

كذلك من معجزاته ﷺ: تسبيح الحصى بكفه ﷺ فكان الحصى يُسبح بكف النبي ﷺ، يعني: يمسك الحصى بكفه فيُسمع للحصى صوت التسبيح يقول: سبحان الله، سبحان الله، وجاء هذا عند أبي داود وغيره.

وكذلك من معجزاته ﷺ: نُطق الطعام عند النبي ﷺ وهذا جاء في صحيح البخاري من حديث ابن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ وُضِعَ عنده طعام فسَبَّحَ أو فنطق بين يدي رسول الله ﷺ بالتسبيح، فالطعام سَبَّحَ وهو بحضور رسول الله ﷺ.

٨- وَشَجَرٌ وَحَجَرٌ قَدْ سَلَّمَا عَلَيْهِ نُطْقًا، وَالذَّرَاعُ كَلَّمَا

كذلك من معجزاته ﷺ: تسليم الحجر والشجر عليه - ﷺ - نطقًا، كان الشجر والحجر يقول للنبي ﷺ: السلام عليك يا رسول الله ﷺ، وهذا كان قبيل نزول الوحي على رسول الله ﷺ بمكة، فكان النبي ﷺ يمضي إلى الشعاب وبطون الأودية، فلم يمر بشجر ولا حجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله ﷺ.

وورد في بعض الروايات: أن هذا الأمر استمر ستة أشهر في بداية بعثته ﷺ، كان إذا مرَّ في الطريق يسمع الحجر والشجر يقول له: السلام عليك يا رسول الله ﷺ.

وكذلك من معجزاته ﷺ: تكليم الذراع للنبي ﷺ، وذلك في صحيح البخاري: أن المرأة اليهودية التي أهدت إلى النبي ﷺ شاة مسمومة وكثرت السم في ذراعها؛ لعلمها أن النبي ﷺ يحب أكل الذراع.

فكلَّم الذراع النبي ﷺ وأخبره أنه مسموم.

لكن الذي حصل أن رجلاً من الصحابة ﷺ وهو بشر ﷺ كان أول مَنْ أكل، النبي ﷺ قال: كلوا، وكان الصحابة ينتظرون عادةً أن يبدأ النبي ﷺ الطعام، لكن بشرًا كان ممَّنْ بدأ في نفس الوقت الذي بدأ النبي ﷺ فيه يقطع اللحم، فأكل بشر قطعة لحم، وابتلعها، والنبي ﷺ كان قد أخذ قطعة من اللحم ووضعها في فمه، ثم كلمه الذراع فقال: إنه مسموم، فقال ﷺ: «إنه يخبرني أنه مسموم» فلفظ النبي ﷺ الطعام الذي في فمه، وهذا السم من النوع الذي لا يظهر أثره عند الأكل، لا يظهر إلا بعد أن يدخل إلى

المعدة، ويبدأ يشعر بالألم في بطنه بعد أن يتخلعه، لكن النبي ﷺ وضع قطعة اللحم في فمه ثم أخرجها ﷺ ولم يأكلها، وقال: أخبرني أنه مسموم، ثم لم يلبث بشر أن تغير لونه، ومات في مكانه ﷺ من أثر هذا السم.

وطبعاً أتى بالمرأة وسألها النبي ﷺ، فقال: قلت: إن كنت نبياً فلن يضرك، وإن كنت كذاباً استرحنا منك.

وكثير من العلماء يقولون: إن النبي ﷺ جمع الله - تعالى - له أجر الشهادة إلى أجر النبوة، فكان النبي ﷺ بعد ذلك تصيبه الحمى، حتى إن الحمى التي أصابته في مرض وفاته ﷺ فقال: «ما زالت تلك الأكلة من الشاة مسمومة يوم خيبر تعاودني» يعني ما زال هذه القطعة اللحم الصغيرة التي وضعها في فمه وأخرجها ﷺ ما زالت تعاوده يعني تسبب له آلاماً، وتسبب له حمى على فترات من يوم غزوة خيبر في العام السابع إلى وفاته ﷺ في العام الحادي عشر.

فبعض العلماء أخذ من هذه الأحاديث أن السم كان سبب وفاة رسول الله ﷺ، فيقولون: مات ﷺ شهيداً من أثر السم الذي أكله يوم خيبر ووضعت له المرأة اليهودية.

٩- وَقَدْ شَكَاهُ الْبَعِيرُ إِذْ جُهِدَ وَبِالتُّبُوَّةِ لَهُ الدَّيْبُ شَهْدُ

من معجزات النبي ﷺ: أن البعير شكاه إليه الجُهد، أو الجُهد يعني المشقة، فجُهد البعير يعني أصابته المشقة فشكا إلى النبي ﷺ، وذلك في الحديث الذي رواه أبو داود عن عبد الله بن جعفر ﷺ أنه أردفه النبي ﷺ خلفه، يعني أركبه خلفه على الدابة فدخل حائطاً لرجل من الأنصار، بستاناً لرجل من الأنصار، فوجد بعيراً فلما رآه حنّ واغرورت عيناه، فمسح عليه النبي ﷺ فسكن، البعير جاء إلى النبي ﷺ وحن وبكى

البعير، فمسح النبي ﷺ على رأس البعير حتى سكت.

ثم نادى صاحبه فقال: «إنه شكا إليّ أنك تجيعه وتدئبه» الدأب: هو العمل المتواصل، تجعله يعمل عملاً متواصلاً لا تتيح له فرصة للراحة، وأنت تجيعه، فأمره النبي ﷺ أن يرفق بهذا البعير.

ذكر هنا أيضاً من المعجزات شهادة الذئب له ﷺ بالنبوة، قال: (وَبِالنُّبُوَّةِ لَهُ الذِّبُّ **شَهِدٌ**)، وذلك كما جاء في الحديث: «بينما راع يرعى إذ انتهز الذئب شاةً فتبعه الراعي فحال بينه وبينها، جاء الذئب فاختطف شاة من الراعي، فحال بينه وبينها، فقال له: ألا تتقي الله؟ تحول بيني وبين رزق ساقه الله إليّ؟ فقال الراعي: العجب من ذئب مُقِعٍ على ذنبه يكلمني!

فقال الذئب: أعجب من هذا: رسول الله ﷺ بين الحرتين يدعو الناس إلى أنباء ما قد سبق الذئب كلم الرجل، وقال: أعجب من هذا رسول الله ﷺ بين الحرتين، والحرّة: هي حجارة سوداء تحيط بالمدينة في الجهة الشرقية والغربية، والحرّة الشرقية والحرّة الغربية هما حدود للمدينة، فقال: رسول الله بين الحرتين، يعني: في المدينة يدعو الناس إلى أنباء ما قد سبق، فكان هذا أيضاً من معجزات رسول الله ﷺ.

النبي ﷺ قال: «ما بعث الله نبياً إلا وأعطاه من الآيات ما على مثله آمن البشر» يعني: ما من نبي بعثه الله ﷺ إلا وأعطاه من الآيات، أي: من الدلائل وخوراق العادات والحُجج، ما على مثله آمن البشر: يعني ما يجعله الله ﷻ سبباً في إيمان البشر بصدق رسالة نبيّهم.

ونبينا ﷺ - كما ذكر بعض العلماء - نجد أن الله ﷻ أعطاه وأعطى أمته، من جميع ما أعطى الأنبياء السابقين من المعجزات، قالوا: إذا تأملت معجزات الأنبياء السابقين،

فما من نوع منها إلا تجد له نظائر إما في معجزات النبي ﷺ أو في كرامات أمته.

يعني مثلاً: الآن مرّ بنا أن النبي ﷺ كان يُكلم الحيوان، والجماد، والنبات، ويسمع تكليمهم ﷺ ويفهم ما يقولون، فهذه كانت معجزة لسليمان ﷺ: ﴿عَلَّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ﴾ [النمل: ١٦] فنبينا ﷺ أوتي من جنس هذه المعجزة.

وإبراهيم ﷺ لما أُلقي في النار، وكانت عليه بردًا وسلامًا، هل هذا حصل للنبي ﷺ؟ هو ما حصل له، ولكن حصل لبعض أمته، وهو أبو مسلم الخولاني رضى الله عنه الذي ألقاه الأسود العنسي -الذي ادّعى النبوة- في النار، فكانت عليه بردًا وسلامًا، فلما لقيه عمر رضى الله عنه قال: الحمد لله الذي جعل في أمة محمد ﷺ مَنْ كانت النار عليه بردًا وسلامًا كما كانت على إبراهيم.

مسألة انشقاق البحر لموسى ﷺ وجيشه وكونهم يعبرون البحر، هذا حصل للصحابي العلاء بن الحضرمي رضى الله عنه، عبر بجيشه الخليج العربي لغزو بلاد فارس، فانشق البحر وعبر بجيشه البحر إلى الجهة الأخرى، وهذا حصل للصحابي من صحابة النبي ﷺ، فهو من معجزات نبينا ﷺ. فما يحصل لأُمته من الكرامات يندرج تحت معجزاته ﷺ.

فالقصد: أن جميع أصناف معجزات الأنبياء السابقين تجدها إما وقعت لنبينا ﷺ أو لبعض أفراد أمته على سبيل الكرامة لهم، وكرامات هؤلاء -يعني أتباع النبي ﷺ- تُعتبر معجزة لنبينا ﷺ.

١٠- وَجَاءَ مَرَّةً (قَضَاءً) الْحَاجَةَ وَلَمْ يَجِدْ شَيْئًا سِوَى أَشَاءَةٍ:

١١- وَمِثْلَهَا، لَكِنْ هُمَا بَعْدَتَا أَمَرَ كَلًّا مِنْهُمَا: فَأَتَتَا

١٢- تَخَذُ الْأَرْضُ ذِي وَذِي حَتَّى قَضَى حَاجَتَهُ: أَمَرَ كُلًّا فَمَضَى

من معجزات النبي ﷺ أنه أراد يوماً أن يقضي حاجته ﷺ في مكان خالٍ ولم يجد شيئاً يستتر به ﷺ (سَوَى أَشْأَةٍ)، والأشْأَةُ: هي النخلة الصغيرة التي لا تكفي لستره ﷺ، يعني في أرض صحراء مكشوفة، وليس فيها شيء يستتر النبي ﷺ خلفه لقضاء الحاجة إلا أشْأَةُ صغيرة، -نخلة صغيرة- لا تكفي لستره ﷺ.

(وَمِثْلَهَا) يعني وأشْأَةُ أخرى، لكنها بعيدة عنها، يعني الأرض ليس فيها إلا نخلتان صغيرتان متباعدتان، كل واحدة منهما لا تكفي لستره ﷺ ليقضي حاجته.

فأشار النبي ﷺ إليهما بيده الشريفة ﷺ أن تقاربا، فتحركت النخلتان، كل منهما (تَخَذُ الْأَرْضُ) يعني: تشق الأرض، ومنه: الأخدود، وهو الشق في الأرض، فالنبي ﷺ أشار إليهما أن تقاربا فإذا بالنخلتين تتحركان فتخدان الأرض حتى التصقتا واقتربت إحداهما من الأخرى، فقضى النبي ﷺ حاجته خلفهما مستتراً بهما، ثم أشار إليهما أن تباعدا فرجعت كل واحدة منهما إلى مكانها.

وكانت هذه من معجزات رسول الله ﷺ، والحديث رواه الإمام أحمد، والطبراني، والبيهقي، وغيرهم.

في رواية للحديث: عن يعلى بن مُرَّة عن أبيه قال: كنت مع النبي ﷺ في سفر فنزل منزلاً فقال لي: أيت تلك الأشْأَتَيْنِ فقل لهما: إن رسول الله ﷺ يأمركما أن تجتمعا، قال: فأتيتهما، فقلت لهما: ذلك، فوثبت إحداهما إلى الأخرى، فاجتمعتا فخرج النبي ﷺ فاستتر بهما فقضى حاجته، ثم وثبت كل واحدة منهما إلى مكانها.

وكما مرّ يعني له طرق، وفي بعضها أن النبي ﷺ أشار إليهما، ربما أنه أرسل الصحابي

إليهما؛ ليكلمهما وأشار إليهما النبي ﷺ فاجتمعتا، ثم بعد ذلك أشار إليهما، فرجعت كل واحدة منهما إلى مكانها.

١٣- وَازْدَلَفَتْ إِلَيْهِ سِتُّ بُدْنٍ لِلنَّحْرِ، كُلُّ سَابِقٍ لِلطَّعْنِ

من معجزات رسول الله ﷺ : أَيضًا أَنَّهُ (ازْدَلَفَتْ إِلَيْهِ سِتُّ بُدْنٍ) جمع بدنة وهي: (الناقة)، ازدلفت: من الازدلاف، وهو القرب والتنافس؛ لينحرهن النبي ﷺ، كان ذلك يوم عيد كما في سنن أبي داود وسُنن النسائي، أَنَّ النبي ﷺ قُرِبَ لَهُ بَدَنَاتُ خَمْسٍ، أَوْ سِتٍّ، أَوْ سَبْعٍ، فِي الرِّوَايَةِ: خَمْسٍ، أَوْ سِتٍّ، أَوْ سَبْعٍ؛ لينحرها يوم عيد فطفقن يزدفن إليه لآيتهن يبدأ.

والنحر: هو الطعن في اللبة، وهي في بداية العنق من جهة الصدر، فالإبل تُنَحَرُ؛ لأنها تُطَعَنُ فِي لُبَّتِهَا، والبقر والغنم يُذَبِّحُ، لكن الإبل تُنَحَرُ، فالنبي ﷺ أراد أن ينحرهن يوم عيد فجعلن يزدفن إليه، يتسابقن إليه، كل منها تريد أن يبدأ النبي ﷺ بها فينحرها قبل الأخرى؛ لتتال شرف أن ينحرها رسول الله ﷺ بيده الشريفة ﷺ.

١٤- وَنَدَرَتْ عَيْنُ قَتَادَةَ فَرَدَّ تِلْكَ، فَكَانَتْ مِنْ صَحِيحَةٍ أَحَدٍ

من معجزات رسول الله ﷺ أَنَّهُ عَيْنُ قَتَادَةَ بْنِ النُّعْمَانِ ﷺ نَدَرَتْ، يَعْنِي: سَقَطَتْ عَلَى وَجْهِهِ فِي غَزْوَةِ أَحَدٍ، أَصِيبَ يَوْمَ أَحَدٍ فَنَدَرَتْ عَيْنُهُ يَعْنِي سَقَطَتْ عَيْنُهُ عَلَى وَجْهِهِ، وَخَرَجَتْ عَيْنُهُ مِنْ مَكَانِهَا، فَرَدَّهَا النَّبِيُّ ﷺ بِيَدِهِ الشَّرِيفَةِ، النَّبِيُّ ﷺ إِلَى مَكَانِهَا، فَكَانَتْ أَحَدًا مِنَ الْعَيْنِ الصَّحِيحَةِ، فَكَانَتْ أَحَدًا عَيْنِيهِ، يَعْنِي: أَشَدَّهُمَا حِدَّةً فِي قُوَّةِ الْإِبْصَارِ.

١٥- وَبَرَّئْتُ عَيْنٌ عَلَيَّ إِذْ تَفَلَّ فِيهَا لَوْفَتِهِ، وَمَا عَادَ حَصْلُ

كذلك من إبراء النبي ﷺ للمرضى -بأمر الله تعالى-: أَنَّهُ يَوْمَ خَيْبَرَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله» فتشرف لها الصحابة عليهم السلام، كل منهم استشرف، أي: حاول أن ييدي نفسه؛ لعل النبي ﷺ يدعو أو يناديه، كل منهم يريد هذا الفضل وأن يكون هو المعني بهذا التكريم.

فأخذ النبي ﷺ ينظر في القوم يبحث عن علي ﷺ فلم يجده، فقال: «أين علي؟» فقالوا: رمدت عينه، كان علي ﷺ لم يكن جالساً مع الحاضرين؛ لأن بعينه رمداً، فدعاه النبي ﷺ فتفل في عينيه، قال: فما رمدتا حتى مات، يعني برئت عيناه وما أصابهما رمد من ذلك اليوم ﷺ.

١٦- وَأَبْنُ عَتِيكَ رَجُلُهُ أُصِيبَتْ فَهِيَ بِمَسْحِهِ سَرِيعًا: بَرِئَتْ

ابن عتيك: هو عبد الله بن عتيك الأنصاري ﷺ، كان النبي ﷺ قد أرسله ليقتل رافع بن أبي الحقيق، وكان رجلاً من زعماء اليهود وكان يؤذي المسلمين ويكيد لهم، فأرسل النبي ﷺ عبد الله بن عتيك؛ ليقته، فذهب عبد الله بن عتيك لقتله وهو متوجه إليه في حصنه الذي كان فيه فسقط من درج، يعني وهو نازل من درج إلى المكان الذي فيه رافع، فزلق من الدرج وانكسرت رجله، وتمكن في النهاية من قتل رافع بن أبي الحقيق، ولكنه رجع ورجله مكسورة من انزلاق الدرج، فمسح النبي ﷺ بيده الشريفة على رجله فبرئت كأن لم يكن بها بأس.

١٧- وَقَالَ: «أَقْتُلْ أَبِيَّ بَنَ خَلْفٍ» خَدَشَهُ خَدَشًا يَسِيرًا: فَاتَّخَذَ

فيقول: من معجزات النبي ﷺ أنه قال لأبي بن خلف: أنا أقتلك إن شاء الله، وكان أبي بن خلف من زعماء المشركين في مكة، فقال للنبي ﷺ يوماً: إن عندي قعوداً أعلفه كل يوم، أقتلك عليه، وتكرر هذا أكثر من مرة، كان يقول هذا للنبي ﷺ، فكان النبي ﷺ يرد عليه ويقول: بل أنا أقتلك إن شاء الله.

فدارت الأيام بعد هذا، وهاجر النبي ﷺ إلى المدينة، ولما جاءت غزوة بدر، فرأى النبي ﷺ أبي بن خلف، فضربه النبي في عنقه ضربةً خدشته خدشاً يسيراً في عنقه، فظل يصرخ ويصيح ويقول: قتلني محمد، قتلني محمد، فجعل قومه يقولون: إن بك لخوراً. يعني ما هذا الخور؟ ما نرى بك بأساً، يعني هذا خدش يسير فقال: إنه قال: أنا قاتلك، فلو بصق عليّ لقتلني. فظل يتلوى من ألم هذه الخدشة حتى مات في الطريق وهم راجعون، (فَانْحَتَفَ) يعني لقي حتفه وهلك.

١٨- كَذَاكُمُ أُمِيَّةٌ بَنُ خَلَفٍ قَتَلَ كَافِرًا بَدْرٍ، فَوُفِيَ

١٩- وَعَدِّي (بَدْرٍ) لَهُمْ مَصَارِعَا كُلُّ بِمَا سَمَى لَهُ: قَدْ صُرِعَا

كذلك أُمِيَّة بن خلف وهو أخو أبي بن خلف، هذا قُتِلَ في غزوة بدر، وكان أيضاً من أئمة الكفر، وكان هو الذي يعذب بلال بن رباح ﷺ.

فالقصد: أن أُمِيَّة بن خلف كان مَمَّنْ دعا عليه النبي ﷺ بالهلاك، وقال: «اللهم عليك بأُمِيَّة بن خلف» فكان مَمَّنْ قُتِلَ في غزوة بدر، دعا عليه النبي ﷺ فلقي مصرعه في غزوة بدر.

طبعاً الذي قتله هو بلال ﷺ، في غزوة بدر عبد الرحمن بن عوف أسر أُمِيَّة بن خلف، فرآه بلال مع عبد الرحمن بن عوف فقال: رأس الكفر أُمِيَّة بن خلف، لا نجوت إن نجا، فكان عبد الرحمن لا يريد أن يُقَتَلَ أُمِيَّة؛ لأنه من أئمة المشركين، وربما افتداه المسلمون بمال كثير فجعل يحوطه حتى لا يقتله بلال، وبلال يضربه بالسيف، حاول أن يجد أي فُرْجة بعيداً عن عبد الرحمن، ويطعن أُمِيَّة بن خلف حتى قتله بلال ﷺ.

فكان النبي ﷺ قد دعاء على أُمِيَّة، وكان هذا في اليوم الذي ألقى فيه عقبة بن أبي

معيط، قذراً على رأس رسول الله ﷺ وهو ساجد ﷻ في مكة، وجعل أمية بن خلف، وأبو جهل، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، يضحكون ويسخرون من النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: «اللهم عليك بأمية بن خلف، اللهم عليك بأبي جهل، اللهم عليك بعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة، وعقبة بن أبي معيط» فدعا عليهم النبي ﷺ قال عبد الله بن مسعود ﷺ: فقد رأيتهم صرعى في القلب يوم بدر، يعني ما مرت فترة طويلة حتى رآهم عبد الله بن مسعود، كان شهد تلك الواقعة يوم آذوا رسول الله ﷺ، فمرّت الأيام حتى رآهم صرعى يوم بدر في القلب، هؤلاء المجموعة كلهم الذين دعا عليهم النبي ﷺ.

ومن معجزات النبي ﷺ: أنه قبل غزوة بدر، قبل بداية المعركة النبي ﷺ وهو في أرض المعركة جعل ﷻ يشير لهم إلى أماكن معينة من الأرض، ويقول ﷻ: هنا مصرع أبي جهل، وهنا مصرع أمية بن خلف، وهنا مصرع الوليد بن عتبة، وهنا مصرع عتبة بن ربيعة، وهنا مصرع شيبة بن ربيعة، فحدد النبي ﷺ الأماكن التي سيصرعون فيها، وهذا قبل بداية المعركة.

فيقول الصحابة ﷺ: فما عدا واحد منهم الموضع الذي أشار إليه النبي ﷺ، كل واحد منهم مات في نفس الموضع الذي أشار إليه النبي ﷺ أنه سيموت فيه، ما تجاوز واحد منهم موضع يده ﷺ، الموضع الذي أشار إليه بيده كل منهم قُتل فيه.

٢٠- وَقَالَ عَنْ قَوْمٍ: «سَيَرْكَبُونَا ثَبَجَ هَذَا الْبَحْرُ»، أَي: يَغْزُونَا

٢١- وَمِنْهُمْ أُمُّ حَرَامٍ رَكِبَتْ الْبَحْرَ، ثُمَّ فِي رُجُوعِهِمْ قَصَتْ

فمن معجزات رسول الله ﷺ مما يتعلق بالإخبار عن المغيبات: أنه ﷺ كان نائماً ثم استيقظ ﷺ من النوم مستبشراً يتهلل وجهه ﷺ، وقال: «عَرِضَ عَلَيَّ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي

يركبون ثبج هذا البحر - يعني وسط هذا البحر - ملوكاً على الأسيرة، أو كالمملوك على الأسيرة».

وكانت بجواره أم حرام بنت ملحان رضي الله عنها، فقالت للنبي ﷺ: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: «أنت منهم».

ثم نام النبي ﷺ نومة أخرى، ثم استيقظ مستبشراً متهللاً، فقال: «عرض عليّ ناس من أمتي يركبون ثبج هذا البحر ملوكاً على الأسيرة أو كالمملوك على الأسيرة» فقالت أم حرام رضي الله عنها: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: «أنت من الأولين»، فهؤلاء مجموعة أخرى سيغزون في البحر.

فكان أول غزو في البحر خرج أيام عثمان بن عفان، وكان قد بعث جيشاً لفتح جزيرة قبرص في البحر، وكان الروم يحتلون قبرص، وقد أنشأ المسلمون أسطولاً بحرياً وغزوا في البحر ففتحوها جزيرة قبرص، وكانت أم حرام رضي الله عنها مع زوجها عبادة بن الصامت رضي الله عنه، فخرجت هي وزوجها لغزو قبرص، وتوفيت هناك رضي الله عنها وأرضاها، وقبرها لا يزال إلى الآن هناك، في قبرص إلى وقتنا هذا رضي الله عنها.

وأم حرام اسمها: الغميصاء أو الرميضاء، الغميصاء بالعين، أو بالراء، بنت ملحان، وهي أخت أم سليم رضي الله عنها. فلما قفلوا من غزوهم قُدمت لها دابة؛ لتركبها فصرعتها فماتت ودُفنت بقبرص رضي الله عنها، وكان أمير الجيش معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، في عدد من الصحابة كان منهم: أبو الدرداء، وعبادة بن الصامت، وزوجته أم حرام، وآخرون.

فالشاهد: أن النبي ﷺ أخبر عن هذا الأمر الغيبي، أن أمتة سيغزون في البحر، ووقت أن أخبر النبي ﷺ ما كان لأمتة لا أسطول، ولا سفن، ولا شيء، وأخبر أن أم حرام ستكون مع أول جيش يغزو في البحر، وأنها مع الأولين، وليست مع الجيش الثاني الذي

سيخرج، ووقع كل هذا كما أخبر ﷺ.

٢٢- وَقَالَ فِي الْحَسَنِ سَبْطٍ نَسَبِهِ يَوْمًا: «لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ

٢٣- مَا كَانَ بَيْنَ فِئَتَيْنِ، وَهُمَا عَظِيمَتَانِ، الْكُلُّ مِمَّنْ أَسْلَمَا»

٢٤- فَكَانَ ذَا، وَقَالَ فِي عُثْمَانَ: «تُصِيبُهُ الْبَلَوَى»، فَحَقًّا كَانَا

من معجزات رسول الله ﷺ التي تتعلق بإخباره بالمغيبات: أنه قال عن الحسن سبط النبي ﷺ يعني: ابن بنته - وكان طفلاً صغيراً - فقال النبي ﷺ: «إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يُصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»..

فدارت الأيام بعد هذا، ولما كانت سنة إحدى وأربعين من الهجرة وهي السنة التي يقال لها: عام الجماعة، وقالوا هذا؛ لأن النبي ﷺ قال: «تكون خلافة على منهاج النبوة ثلاثون عاماً» يعني قال: «تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ثلاثون عاماً».

فمدة خلافة أبي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ﷺ كانت تسعة وثلاثين عاماً وستة أشهر، يعني بعد مقتل علي ﷺ كان قد بقي ستة أشهر على إكمال ثلاثين عاماً، فلما قُتِل علي ﷺ ولي الخلافة ابنه الحسن - ابن علي - ﷺ.

وكان هناك صراع بين فئتين عظيمتين من المسلمين، أهل الشام كانوا مع معاوية بن أبي سفيان ﷺ، وأهل العراق مع علي ﷺ، وكان المسلمون منقسمين، فولي الحسن بعد مقتل أبيه الخلافة ستة أشهر، ثم إنه تنازل عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان ﷺ، وهو في الشام. بعث الحسن إلى معاوية يريد الصلح، وعرض عليه أن يتنازل له عن الخلافة، ووافق معاوية ﷺ وأكرم الحسن وأكرم آل البيت واستقبلهم، واجتمعت

كلمة المسلمين واصطلحت الفتان، وصار معاوية رضي الله عنه ملكاً على المسلمين جميعاً واجتمعت كلمتهم بعد أن كان المسلمون منقسمين.

وكان ذلك في شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين من الهجرة، وسُمي هذا العام بعام الجماعة، حقناً لدماء المسلمين.

فتحقق فيه ما أخبر عنه النبي ﷺ، قال: «إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يُصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين».

كذلك أخبر النبي ﷺ عن عثمان رضي الله عنه كما جاء في صحيح البخاري من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، أن النبي ﷺ كان جالساً، فاستأذن أبو بكر فأذن له، ثم استأذن عمر فأذن له، ثم جاء عثمان يستأذن فقال النبي ﷺ: «إيذن له وبشره بالجنة».

كان أبو موسى رضي الله عنه قال: كنت بواباً له يومئذٍ، يعني كان يذهب إلى الباب وينظر من الطارق، ويأذن لمن. فلما جاء يستأذن عثمان فجاء أبو موسى وقال للنبي ﷺ: إن عثمان يستأذن، فقال: «إيذن له وبشره بالجنة مع بلوى تصيبه». فحصل أن ابتلي عثمان بثورة الذين ثاروا عليه وحاصروا داره وقتلوه ظلماً رضي الله عنه.

٢٥- وَمَقْتَلَ الْأَسْوَدَ فِي صَنْعَا الْيَمَنِ ذَكَرَهُ لَيْلَةَ قَتْلِهِ، وَمَنْ:

٢٦- قَتَلَهُ، كَذَاكَ كِسْرَى أَخْبَرَا بِقَتْلِهِ: فَكَانَ ذَا بِلَا مِرَا

ومن معجزات النبي ﷺ: أنه أخبر بمقتل الأسود العنسي في صنعاء اليمن، وأخبر النبي ﷺ بمن قتلته، وذلك في نفس اليوم أو في نفس الليلة التي قُتل فيها الأسود العنسي، والأسود العنسي كان ممن ادّعى النبوة على عهد رسول الله ﷺ في أواخر حياة رسول الله ﷺ بدأ يظهر من يدعي النبوة، كمسيلمة الكذاب ادعى النبوة في الإمامة، والأسود العنسي

ادعى النبوة في صنعاء باليمن.

فلما قُتل الأسود العنسي أخبر النبي ﷺ أن الأسود العنسي قُتل في هذه الليلة، وكان الخبر حتى يصل إلى المدينة يحتاج إلى مدة حتى يصل إليها، فبعد ذلك جاءت الأخبار بمقتل الأسود العنسي في نفس الليلة التي أخبر فيها النبي ﷺ عن مقتله، وبنفس تفاصيل قصة قتله كما أخبر عنها الرسول ﷺ.

كذلك أخبر النبي ﷺ عن مقتل كسرى، وكلمة كسرى تُطلق على كل مَنْ ملك الفرس من الكافرين.

وكسرى الذي كان في زمن النبي ﷺ اسمه أبراويز بن هرمز.

وقد بعث النبي ﷺ إليه كتاباً يدعو فيه إلى الإسلام، فلما جاءه الكتاب مزقه، وبعث إلى عامله على اليمن، -وكانت اليمن محتلة من قِبَل الفرس- أن يبعث رجلين من قِبَله يأتياه برسول الله ﷺ، يعني بلغ به الكبر -والعياذ بالله- أنه بعث لعامله على اليمن أن يبعث رجلين يُحضران النبي ﷺ إلى كسرى.

فأرسل عامله على اليمن رجلين إلى النبي ﷺ من المجوس، وورد في الخبر أن النبي ﷺ لما رآهما كانا قد حلقا لحاهما وأعفيا شواربهما كعادة المجوس، وكان هذا أمراً غريباً على العرب، وكان العرب في الجاهلية، واليهود والنصارى كلهم يُطلقون لحاهم، فلما جاء هذان الرجلان المجوسيان كره رسول الله ﷺ أن ينظر إليهما، وقال: «ويلكما مَنْ أمركما بهذا؟» قالا: ربنا، يعنيان: كسرى، قال: «إن ربي قتل ربكما الليلة، عدا عليه ولده شيرويه فقتله» شيرويه ابن أبراويز هذا عدا على أبيه فقتله.

فجاء الخبر كما قال النبي ﷺ أن ابن كسرى قتله في نفس الليلة التي أخبر فيها النبي

٢٧- وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ عَنْ الشَّيْمَاءِ: «قَدْ رُفِعَتْ فِي بَغْلَةٍ شَهْبَاءُ

٢٨- خِمَارُهَا أَسْوَدُ»، حَتَّى أَخَذَتْ عَهْدَ أَبِي بَكْرٍ: كَمَا قَدْ وُصِفَتْ

ومن معجزات النبي ﷺ: أنه أخبر عن الشيماء بنت نفيلة الأزديّة، وهذه كانت من نصارى العرب في الحيرة بالعراق، وكانت تُدعى أميرة الحيرة-منطقة الحيرة في العراق- وكانت أميرة على تلك المنطقة هي وأخوها، وأخوها كان من علماء النصارى، يعني من قساوسة النصارى الكبار.

فعن خريم بن أوس ﷺ قال: قدمت على النبي ﷺ مُنصرفه من تبوك-وهو راجع من غزوة تبوك- فأسلمتُ، قال: فسمعتُه يقول ﷺ: «هذه الحيرة البيضاء» النبي ﷺ يشير إلى جهة الحيرة، «قد رُفِعَتْ لي، وهذه الشيماء بنت نفيلة الأزديّة على بغلة شهباء معتجرة بخمار أسود» فالنبي ﷺ قال: رُفِعَتْ لي، يعني: لعلها صُوِّرَتْ للنبي ﷺ يعني منطقة الحيرة رُفِعَتْ للنبي ﷺ حتى رآها، وقد يكون المعنى: أنه رُفِعَ مثالها أو صورتها للنبي ﷺ، ورُفِعَتْ له أميرتهم الشيماء بنت نفيلة الأزديّة، على بغلة شهباء: يعني على بغلة بيضاء، معتجرة بخمار أسود: وعليها خمار أسود تلبسه.

قال خريم ﷺ: فقلت: يا رسول الله، إن دخلنا الحيرة فوجدناها كما تصف فهي لي؟ قال: «هي لك»، قال: فلما دخلناها كانت أول مَنْ تَلَقَّانَا وقالوا: إنها أُخِذَتْ في السبي، وكان هذا في عهد أبي بكر الصديق ﷺ، وكان أمير الجيش هو خالد بن الوليد ﷺ، فذهب إلى خالد بن الوليد، وقال له: إن النبي ﷺ وعدني بكذا، فقال له خالد: ايت بشاهدين، فجاء بشاهدين فشهدا له، فأعطاه خالد الشيماء.

والشيماء بنت نفيلة هذه غير الشيماء بنت الحارث السعدية التي هي أخت النبي ﷺ من الرضاعة.

٢٩- وَقَدْ دَعَا لِوَلَدِ الْخَطَّابِ بِعِزَّةِ الدِّينِ بِهِ، أَوْ بِأَيِّ:

٣٠- جَهْلٍ، أَصَابَتْ عُمَرَا: فَأَسْلَمَا عَزَّ بِهِ مَنْ كَانَ أَضْحَى مُسْلِمًا

ومن معجزات النبي ﷺ: أنه دعا فقال: «اللهم أعز الإسلام بأحب العمرين إليك» يعني عمر بن الخطاب وأبا جهل بن هشام، فأصابت دعوته عمر بن الخطاب ﷺ، فأسلم فعزَّ بإسلامه كل مَنْ كان مسلمًا، ولذلك كان عبد الله بن مسعود ﷺ يقول عن عمر بن الخطاب: ما زلنا أذلة حتى أسلم عمر. وقال: كنا لا نستطيع أن نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر، كان الصحابة لا يستطيعون أن يصلي أحدهم عند الكعبة حتى أسلم عمر ﷺ.

وقال ابن مسعود أيضًا قال: كان إسلامه فتحًا، وهجرته نصرًا وخلافته رحمةً.

٣١- وَلَعَلِّي بِذَهَابِ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ: لَمْ يَكُنْ بِذَيْنِ يَدْرِي

دعا النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب ﷺ أن يُذهِبَ الله عنه الحر والبرد، كان يشتكي مرة من حر أو برد فدعا له النبي ﷺ أن يُذهِبَ الله عنه الحر والبرد، فكان لا يدري بحر ولا برد، فقالوا: كان ربما لبس في البرد ثوبين خفيفين، وربما لبس في الحر ثوبًا محشواً ولا يبدو عليه أي شعور بالحر ولا عرق ولا أي شيء، وفي البرد ربما خرج بثوبين خفيفين والناس حوله يعانون من البرد وهو لا يحس بأي برودة ولا أي شيء ﷺ.

٣٢- وَ(لَا بَنَ عَبَّاسٍ) بِفَقْهِ الدِّينِ مَعَ عِلْمٍ بِتَأْوِيلٍ: فَبَحْرًا اتَّسَعَ

دعا النبي ﷺ لعبد الله بن عباس ﷺ فقال: «اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل»؛ اللهم فقهه في الدين: الفقه بمعنى الفهم، اللهم فقهه في الدين: المعنى اللغوي للفقه هو الفهم، طبعًا بعد ذلك صار هناك معنى اصطلاحى للفقه، لكن ما كان هذا المعنى

الاصطلاحى موجودًا زمن النبي ﷺ، إنما في الفقه في الدين: بمعنى الفهم في الدين.

وعلمه التأويل: التأويل يعني تفسير القرآن الكريم.

يقول: (فَبَحْرًا أَسْعًا) يعني فصار بحرًا واسعًا من العلم، وصار ترجمان القرآن كما قال فيه ابن مسعود ؓ: نَعَمْ ترجمان القرآن عبد الله بن عباس.

وصار بحرًا واسعًا في الفقه في الدين، وكذلك في العلم بتفسير القرآن الكريم.

٣٣- وَثَابِتٍ بِعَيْشِهِ سَعِيدًا حَيَاتَهُ، وَمَوْتِهِ شَهِيدًا:

٣٤- فَكَانَ ذَا، وَأَنْسٍ بِكَثْرَةِ الْمَالِ وَالْوُلْدِ وَطُولِ الْمُدَّةِ:

٣٥- فِي عُمُرِهِ، فَعَاشَ نَحْوَ الْمِئَةِ وَكَانَ يُؤْتِي نَحْلَهُ فِي السَّنَةِ:

٣٦- حِمْلَيْنِ، وَالْوُلْدُ لَصْلَبٍ مِئَةً مِنْ بَعْدِ عِشْرَيْنَ ذُكُورًا أُثْبِتُوا

هنا يذكر من دعوات النبي ﷺ التي ظهر فيها إكرام الله ﷻ له بإجابة دعائه ﷺ، ومن ذلك: دعاؤه لثابت بن قيس بن شماس ؓ، من الأنصار ؓ، وهو واحد من المبشرين بالجنة، غير العشرة المبشرين هناك آخرون بشرهم النبي ﷺ بالجنة منهم ثابت بن قيس ؓ.

فدعا له النبي ﷺ فقال: «عِشْ سَعِيدًا وَمُتْ شَهِيدًا» فدعا له النبي ﷺ أن يعيش سعيدًا وأن يموت شهيدًا، فعاش ﷺ سعيدًا، وقُتِلَ يوم اليمامة شهيدًا.

كذلك دعاؤه ﷺ لأنس بن مالك ؓ، دعا له النبي ﷺ فقال: «اللهم أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ، وَبَارِكْ فِيهِ» وفي رواية قال: «اللهم كَثِّرْ مَالَهُ، وَكَثِّرْ وَلَدَهُ، وَأَطِلْ عُمُرَهُ»، فدعا له النبي ﷺ بطول العمر، وكثرة المال، وكثرة الولد.

وأنس رضي الله عنه كان خادماً رسول الله ﷺ، لما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة كان عمر أنس عشر سنين، وظل يخدم النبي ﷺ عشر سنين إلى أن توفي النبي ﷺ.
فعاش أنس ابن مالك رضي الله عنه مائة وثلاث سنوات رضي الله عنه فمات سنة ثلاث وتسعين للهجرة رضي الله عنه؛ فطال عمره كما دعا له النبي ﷺ.

وقال: «اللهم كثر ماله» دعا له بكثرة المال، فكان أنس رضي الله عنه كان أكثر أهل البصرة مالاً، قضى أنس رضي الله عنه جزءاً كبيراً في حياته إلى وفاته رضي الله عنه في البصرة، فكان له مزارع وله قصور في البصرة، وكان من أكثر أهلها مالاً.

وكان له بستان يحمل نخله في السنة مرتين، قال: وليس في البصرة بستان يحمل مرتين غير بستاني رضي الله عنه، يعني النخل يحمل مرتين التمر ويُجنى، ويرجع يحمل التمر (البلح) مرة أخرى ويُجنى مرة أخرى، فكثّر الله ﷻ ماله.

وكثّر الله ﷻ أولاده فكان له مائة وعشرون ذكراً، أو أبناؤه الذكور كانوا مائة وعشرين لصلبه ثم أولاد أبنائه، يعني هؤلاء أولاده الذكور كانوا مائة وعشرين ابناً، غير البنات وغير أولاد الأولاد..

وورد أنه دفن لصلبه من بين أولاده، يعني أولاده بنين وبنات كانوا بالمئات.. ففي صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه، في صحيح البخاري قال: أخبرني ابنتي أمينة أني دفنت لصلبي مائة وعشرين من الولد.

وأما أولاد أولاده فكان لا يُحصيهم، يعني لا يعلم عددهم ولا يعرفهم، أحياناً يلقونه في الطريق يقولون له: أنا ابن ابنك فلان، وابن ابنتك فلان، يعني من كثرة أولاد أولاده لا يُحصي عددهم رضي الله عنه.

وكان له زوجات وله إماء كثيرات، وله أولاد من زوجاته وإماءه ﷺ.

قال: (وَالْوُلْدُ) بمعنى الولد، دعا له بكثرة المال وكثرة الولد يعني كثرة الأولاد، (وَطُولِ الْمُدَّةِ) (فَعَاشَ نَحْوَ الْمِئَةِ وَكَانَ يُؤْتِي نَحْلَهُ فِي السَّنَةِ حِمْلَيْنِ).

(وَالْوُلْدُ لِصُلْبٍ) هم أولاده مباشرة، فأولاده لصلبه (مِئَةٌ مِنْ بَعْدِ عِشْرِينَ ذَكَورًا) الذكور ١٢٠ غير البنات.

٣٧- وَقَالَ فِيمَنْ ادَّعَى الْإِسْلَامَا وَقَدْ غَرَا مَعَهُ الْعِدَا وَحَامَا

٣٨- مَعَ شِدَّةِ الْقِتَالِ لِلْكَفَّارِ مَعَهُ: «بِأَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ»

٣٩- فَصَدَّقَ اللَّهُ مَقَالَ السَّيِّدِ بَنَحْرِهِ لِنَفْسِهِ عَمَدَ الْيَدِ

يقول: في غزوة من الغزوات كان رجل ظاهره الإسلام، يقاتل مع النبي ﷺ، أعداءه، وقال النبي ﷺ عن هذا الرجل: «هو من أهل النار».

فشق ذلك على الصحابة ﷺ، هذا رجل يجاهد مع المسلمين، والنبي ﷺ يقول: «هو من أهل النار» ثم وجدوه في القتلى، وإذا به قد أخبر عنه مَنْ رآه أنه أصابه جرح ففقط عروق يديه وقتل نفسه -والعياذ بالله تعالى- يعني أصابه جرح في المعركة فقطع عروق يديه حتى نحر نفسه بيده عمدًا.. قتل نفسه.. فصدق الله مقالة النبي ﷺ، يعني أظهر الله -تعالى- صدق هذه المقالة وجعل الواقع يطابق ما أخبر عنه النبي ﷺ، وهذا الرجل قتل نفسه.

٤٠- وَكَانَ مِنْ عُتْبَةَ بْنِ أَبِي لَهَبٍ أَذَى لَهُ: دَعَا عَلَيْهِ فَوَجَبَ

٤١- يُسَلِّطُ اللَّهُ عَلَيْهِ كَلْبًا قَتَلَهُ الْأَسَدُ قَتْلًا صَعَبًا

بعض النسخ (عتبة) وفي بعضها (عتيبة) مصغراً (عتيبة بن أبي لهب)، وكانا أخوين عتبة بن أبي لهب وعتيبة بن أبي لهب، فيقول: كان منه أذى للنبي ﷺ، وذلك أنه بصق على رسول الله ﷺ، فدعا عليه النبي ﷺ قال: «اللهم سلط عليه كلباً من كلابك» فأكله الأسد في الزرقاء من أرض اليمامة، قتله الأسد قتلاً صعباً، جاء الأسد فأكله في الزرقاء باليمامة.

فقالوا هنا: المخلوق إذا أُضيف إلى الله ﷻ يكون تشريفاً لهذا المخلوق، فقالوا: لما قال كلباً من كلابك كان أسداً ضخماً كبيراً، قال: «اللهم سلط عليه كلباً من كلابك» فدعا عليه الأسد فأكله.

٤٢- وَقَدْ (شَكَ) لَهُ قُحُوطُ الْمَطَرِ شَاكِ أَتَاهُ وَهُوَ فَوْقَ الْمِنْبَرِ

٤٣- فَرَفَعَ الْيَدَيْنِ لِلَّهِ وَمَا قَرَعَةً وَلَا سَحَابٌ فِي السَّمَاءِ

٤٤- فَطَلَعَتْ سَحَابَةٌ وَأَنْتَشَرَتْ: فَأُمْطَرُوا جُمُعَةً تَوَاتَرَتْ

٤٥- حَتَّى شَكَ لَهُ انْقِطَاعُ السُّبُلِ: فَأَقْلَعَتْ لَمَّا دَعَا اللَّهُ الْعَلِيَّ

من معجزات النبي ﷺ المتعلقة باستجابة دعائه ﷺ: أنه كان يخطب ﷺ يوم الجمعة، وكان الناس قد أصابهم جَدْبٌ وَقَلَّةُ مَطَرٍ، فجاء رجل إلى النبي ﷺ وهو على المنبر فشكا إليه شاك قحوط المطر، وقال: هلكت الدواب، ادعُ الله أن يسقينا، فرفع النبي ﷺ يديه وهو على المنبر فدعا، وقالوا: هذا الموضع الوحيد الذي حُفِظ فيه عن النبي ﷺ أنه كان يرفع يديه إذا دعا وهو على المنبر يوم الجمعة، إذا دعا بالاستسقاء أو بالاستصحاء، بنزول المطر أو بإيقاف المطر، كان يرفع يديه، فيما عدا ذلك كان إذا دعا على المنبر لا يرفع يديه ﷺ كما روى الصحابة عنه ﷺ أنه كان لا يرفع يديه إذا دعا

على المنبر، وإنما يقول بسبأته هكذا، أي: كان النبي ﷺ لا يزيد عن الإشارة بالسبابة وهو يخطب على المنبر ﷺ.

ولما رأى بعض الصحابة رجلاً من أمراء بني أمية يخطب ويرفع يديه يدعو على المنبر، قال الصحابي: قبح الله هاتين اليدين، ما زاد رسول الله ﷺ على أن قال بسبأته هكذا، وهذا إنكار الصحابة للإحداث في الدين.

لكن رفع النبي ﷺ يديه في الدعاء على المنبر في الاستسقاء في ذلك اليوم لما طلب نزول المطر، وكذلك في الجمعة التي بعدها لما دعا بالاستصحاء (بإيقاف المطر) رفع يديه أيضاً ﷺ.

لكن في غير الخطبة إذا كان الإنسان يدعو في غير خطبة وصلاة يكون من السنة رفع اليدين عند الدعاء.

المهم أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فشكا إليه الجذب وقلة المطر، فيقول الصحابي: وما في السماء قزعة، والقزعة هي السحابة الصغيرة، يعني السماء صافية تماماً فرفع النبي ﷺ يديه ودعا فرجعوا من الجمعة أقدامهم تغوص في الماء، بمجرد أن دعا النبي ﷺ إذا بالسماء تهطل مطراً متواتراً متتابعاً إلى الجمعة التي تليها، ظلوا جمعة كاملة المطر ما توقف منذ أن دعا النبي ﷺ إلى الجمعة التي بعدها.

الراوي يقول: فجاء وقال للنبي ﷺ وهو على المنبر: يا رسول الله، ادعُ الله لنا، انقطعت السبل، وأخذ يشكو الأذى الذي أصابهم بسبب كثرة المطر، فرفع النبي ﷺ يديه وقال: «اللهم حوالينا ولا علينا».

فدعا النبي ﷺ أن يجعل المطر حولهم ولا عليهم، «اللهم على الآكام والظراب وبطون الأودية» دعا أن يكون المطر بعيداً عن سقوف بيوتهم وعن أماكن السكنى،

وإنما على المرتفعات التي ينحدر منها الماء إلى أماكن الزرع وأماكن الحاجة إليه.
بمجرد أن دعا النبي ﷺ إذا بالمطر ينكشف وإذا بالشمس ساطعة وليس في السماء
قزعة، ورجعوا والجو صحو.

- ٤٦- وَأَطْعَمَ الْأَلْفَ زَمَانَ الْخَنْدَقِ مِنْ دُونِ صَاعٍ وَبُهِيمَةٍ، بَقِيَ:
٤٧- بَعْدَ انْصِرَافِهِمْ عَنِ الطَّعَامِ: أَكْثَرُ مِمَّا كَانَ مِنْ طَعَامِ
٤٨- كَذَلِكَ: قَدْ أَطْعَمَهُمْ مِنْ تَمْرِ أَتَتْ بِهِ جَارِيَهُ فِي صُغْرِ
٤٩- وَأَمَرَ الْفَارُوقَ أَنْ يُزَوِّدَا مِئِينَ أَرْبَعًا أَتَوْا: فَزَوَّدَا
٥٠- وَالتَّمْرُ كَانَ كَالْفَصِيلِ الرَّابِضِ كَأَنَّهُ مَا مَسَّهُ مِنْ قَابِضٍ

هذه عدة وقائع حصلت يشير إليها المؤلف، كلها ترجع إلى موضوع تكثير الطعام
ببركة دعاء النبي ﷺ، وبركة وضع يده الشريفة في هذا الطعام.

فذكر هنا عدة وقائع، الواقعة الأولى يقول: (وَأَطْعَمَ الْأَلْفَ زَمَانَ الْخَنْدَقِ) في
غزوة الخندق أطعم النبي ﷺ ألف رجل كانوا معه في غزوة الخندق (مِنْ دُونِ صَاعٍ)
دون الصاع: يعني أقل من صاع من الشعير، (وَبُهِيمَةٍ) تصغير بهمة وهي ولد الضأن،
البهيمة: المقصود بها هنا الشاة الصغيرة، فمن شاة صغيرة وأقل من صاع من الشعير
أطعم النبي ﷺ ألف رجل كان معه يوم الخندق، فأكلوا وشربوا وانصرفوا، وبقي بعد
انصرافهم من الطعام (أَكْثَرُ مِمَّا كَانَ) قبل أن يأكلوا.

وجاء هذا في الصحيحين من حديث جابر بن عبد الله ﷺ أن أهل جابر كانوا صنعوا
طعامًا قليلًا وقالوا له: ادعُ رسول الله ﷺ، وأروه الطعام يعني أنه قليل، يعني لا يكفي

إلا للنبي ﷺ ونفر قليل معه.

فذهب جابر ودعا النبي ﷺ فدعا الجيش كله، وكانوا ألف رجل، فقال تعالوا، فحضرُوا ودعا النبي ﷺ وجعلوا يأكلون يعني في إحدى الروايات: دخل عشرة فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا، ثم دخل عشرة فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا، وظلوا يأكلون حتى أكل ألف رجل، كل منهم أكل حتى شبع وخرج، والأكل بعد انصرافهم أكثر مما كان عليه قبل أن يبدؤوا في الطعام، فهذا كان في غزوة الخندق.

وكذلك في الواقعة الأخرى:

٤٨- كَذَآكَ: قَدْ أَطْعَمَهُمْ مِنْ تَمْرٍ أَتَتْ بِهِ جَارِيَةٌ فِي صُغْرِ

وهذه الجارية الصغيرة هي بنت بشير بن سعد ﷺ، فأنت بتمر قليل إلى النبي ﷺ فأطعم منه ثلاثة آلاف رجل من هذا التمر القليل، أكلوا منه حتى شبعوا.

٤٩- وَأَمَرَ الْفَارُوقُ أَنْ يُزَوَّدَا مِئِينَ أَرْبَعًا أَتَوْا: فَزَوَّدَا

النبي ﷺ أمر الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ أن يزود أربعمئة راكب أتوا إليه من تمر كان عنده، فزودهم، الزاد: هو الطعام الذي يحملونه معهم في أسفارهم، فأعطى أربعمئة راكب، كل راكب أعطاه زادًا، أعطاه تمرًا يكفيه يعني في طريقه، وكمية كبيرة من التمر.

(وَالْتَمُرُ كَانَ كَالْفَصِيلِ الرَّابِضِ) الفصيل هو ولد الناقة، يعني مثل: الناقة الصغيرة الرابضة، يعني كومة من التمر.

فزودهم جميعًا و(كَأَنَّهُ مَا مَسَّهُ مِنْ قَابِضٍ) كأنه لم يقبض منه ثمرة واحدة، فظل عمر ﷺ يغترف من التمر ويحمل هؤلاء الركاب، أربعمئة شخص كل واحد أعطاه كمية من

التمر كبيرة، والتمر كالفصيل الرابض أمام عمر عليه السلام، كأنه لم تُقبَض منه ثمرة واحدة، بعد ما عباً الأربعمئة وظل التمر كما هو.

٥١- (كَذَاكَ) أَقْرَاصُ شَعِيرٍ جُعِلَتْ مِنْ تَحْتِ إِبْطِ أَنْسٍ، فَأَكَلَتْ:

٥٢- جَمَاعَةٌ مِنْهَا ثَمَانُونَ، وَهُمْ قَدْ شَبِعُوا، وَهُوَ كَمَا أَتَى لَهُمْ

وأطعم النبي عليه السلام جماعة من أقراص شعير قليلة جعلها أنس تحت إبطه، القرص هو قرص الخبز من خبز الشعير، فجعلها أنس تحت إبطه لقلتها. (أربعة أرغفة، خمسة أرغفة). فأكل منها ثمانون رجلاً وشبعوا، (كَمَا أَتَى لَهُمْ) يعني كأنه لم يمسه أحد منهم، وبعد أن أكلوا، وشبعوا بقيت أقراص الشعير كما هي كأنه ما مسها أحد.

٥٣- وَأَطْعَمَ الْجَيْشَ: فَكُلُّ شَبِعَا مِنْ مَزُودٍ، وَمَا بَقِيَ فِيهِ دَعَا:

٥٤- لِصَاحِبِ الْمَزُودِ فِيهِ، فَأَكَلَ مِنْهُ حَيَاتَهُ إِلَى حَيْنٍ قُتِلَ:

٥٥- عُثْمَانُ ضَاعَ، وَرَوَوْا: أَنْ حَمَلَا خَمْسِينَ وَسَقَا مِنْهُ لِلَّهِ عَلاَ

هذه معجزة لرسول الله عليه السلام متعلقة بأبي هريرة عليه السلام، فهو صاحب هذا المزود المحكي عنه.

والمزود: هو وعاء التمر، وعاء وعاء من قماش، أو نحوه. يوضع فيه التمر.

فكان مع أبي هريرة عليه السلام مزود فيه تمر، فأخذ النبي عليه السلام مزود أبي هريرة عليه السلام، وأطعم منه الجيش، كانوا جيشاً كبيراً في إحدى غزوات النبي عليه السلام فأطعم الجيش كله من هذا المزود، يعني جعل يغرف لهم التمر ويعطيهم عليه السلام حتى أكل الجيش كله من هذا المزود.

(دَعَا: لِصَاحِبِ الْمَزُودِ) أي: لأبي هريرة عليه السلام. دعا له النبي عليه السلام أن يبارك الله له فيه،

قال: «بارك الله لك فيه»، فظل أبو هريرة رضي الله عنه يأكل من هذا المزود ثلاثين سنة، لا ينفد منه التمر إلى السنة التي قُتِلَ فيها عثمان رضي الله عنه، قُتِلَ عثمان سنة ٣٥ هـ يعني نحو ثلاثين سنة تقريباً، رضي الله عنه ولما قُتِلَ عثمان رضي الله عنه نُهَبَ بيت أبي هريرة، وسُرِقَ المزود، ففقدته يومئذ، وكان النبي ﷺ دعا له أن يبارك الله له فيه.

وجاء عن محمد بن سيرين أن أبا هريرة رضي الله عنه حمل خمسين وسقاً منه ﷺ، يعني تصدق من هذا المزود بخمسين وسقاً، والوسق: ستون صاعاً. المزود أصلاً لا يكاد يتسع لأكثر من صاع، فتصدق منه بخمسين وسقاً في سبيل الله، كان يحمل منها للمجاهدين.

خمسون وسقاً، الوسق: ستون صاعاً تقريباً.

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: أُصِبت بثلاث مصائب في الإسلام: موت النبي ﷺ، وقُتِلَ عثمان، وفُتِقَ المزود.

٥٦- وَفِي بَنَائِهِ بَزِينَبَ اطْعَمَا خَلَقًا كَثِيرًا مِنْ طَعَامٍ قَدَمَا

٥٧- أَهَدَتْ لَهُ أُمُّ سُلَيْمٍ، رُفَعَا مِنْ بَيْنِهِمْ وَهُوَ كَمَا قَدْ وُضِعَا

كذلك أيضاً مما وقع لرسول الله ﷺ من البركة في الطعام: أنه لما بنى بزينب بنت جحش أم المؤمنين رضي الله عنها، أهدت إليه أم سليم والدة أنس قصعة من طعام، فأطعم منها خلقاً كثيراً، فدعا النبي ﷺ خلقاً كثيراً، وأكلوا من هذه القصعة حتى شبعوا ثم رُفِعَ الطعام من بينهم وهو كما وُضِعَ أو أكثر.

فهذه وقائع ولها نظائر أخرى كلها ترجع إلى البركة في الطعام الذي دعا فيه النبي ﷺ، دعا له النبي ﷺ، أو وضع فيه يده الشريفة ﷺ.

٥٨- وَالْجَيْشُ فِي يَوْمٍ حُنَيْنٍ: إِذْ رُمُوا مِنْهُ بِقَبْضَةِ تُرَابٍ هُزِمُوا

٥٩- وَأَنْزَلَ اللَّهُ بِهِ كِتَابًا وَامْتَلَأَتْ أَعْيُنُهُمْ تُرَابًا

فيقول: في يوم حنين، في غزوة حنين رمى النبي ﷺ الكفار بقبضة من تراب، وقال: «شاهت الوجوه» بمعنى: تشوهت، فامتلات أعينهم كلهم تراباً، والجيش كانوا بالآلاف، وما منهم أحد إلا وامتلات عينه تراباً من قبضة رسول الله ﷺ التي ألقاها عليهم، وهزموا عن آخرهم، يعني امتلات أعينهم تراباً وكانت سبباً في هزيمتهم وولوا الأدبار.

وأنزل الله ﷻ في ذلك كتاباً: يعني أنزل الله ﷻ هذا المعنى في القرآن الكريم؛ حيث قال ﷻ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧] في تلك الرمية التي رماها النبي ﷺ من تراب.

٦٠- كَذَّالْتُرَابُ فِي رُؤُوسِ الْقَوْمِ: قَدْ وَضَعَهُ وَلَمْ يَرَهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ

كذلك من معجزاته ﷻ: أنه في يوم هجرة النبي ﷺ من مكة إلى المدينة، اجتمعت قريش وقالوا: نأخذ من كل قبيلة رجلاً جلدًا شاباً، يضربون النبي ﷺ ضربة رجل واحد؛ حتى يتفرق دمه في القبائل، فأحاطوا ببيت رسول الله ﷺ في الليلة التي هاجر فيها، ينتظرون خروجه؛ ليقتلوه ﷻ، فخرج النبي ﷺ ووضع التراب على رأس كل واحد منهم، ويقرأ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: ٩] فكانوا لا يرونه ﷻ وألقى الله عليهم النوم، وجعل يضع التراب على رؤوسهم، فوضع على رأس كل واحد منهم تراباً، وقرأ الآية وخرج ﷻ لم يروه ولم يشعروا بخروجه.

٦١- وَكَمْ لَهُ مِنْ مُعْجَزَاتٍ بَيَّنَّةٌ تَضِيقُ عَنْهَا الْكُتُبُ الْمُدَوَّنَةُ

له ﷺ معجزات كثيرة بيّنة واضحة تضيق الكتب عن جمعها وإحصائها، ولكن هذا الذي ذُكر شيء منها.